الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد لمين دباغين. سطيف2
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: علم الاجتماع

مطبوعة الدعم البيداغوجي
بعنوان:

محاضرات في مادة:

تحليل نقدي للنظريات الأساسية في علم الاجتماع الحضري

موجهة لطلبة السنة الأولى ماستر التخصص : علم الاجتماع الحضري

إعداد الأستاذ (ة): السعيد رشيدي
الرتبة العلمية : أستاذ محاضر "أ"

UNIVERSITE SETIF2

السنة الجامعية: 2022/ 20023

الفهرس:..... 02
مقدمة:.....07
المحاضرة الأولى: المدينة عند ماكس فيبر 10
تمهيد: 11
1 ـ التعريف بماكس فيبر. 11
2 ـ علم الاجتماع عند ماكس فيبر. 11
3 ـ المدينة عند ماكس فيبر. 12
أولا: ـ الطرح الأول.....15
1ـ ماكس فيبر والنموذج المثالي. 15
2 ـ النقد الموجه لماكس فيبر فيما يتعلق بالنموذج المثالي. 17
ثانيا: ـ الطرح الثاني.....18
1 ـ ماكس فيبر والتسوية الحضرية. 18
2. النقد الموجه لماكس فيبر فيما يتعلق بالتسوية الحضرية. 21
مراجع المحاضرة:.....22
المحاضرة الثانية: المدينة عند جورج زيمل 25
تمهيد: 26
1 ـ التعريف بجورج زيمل (Georg Simmel): (1858-1918) 25
2 ـ علم الاجتماع عند جورج زيمل: 27
3 ـ طبيعة المجتمع عند زيمل: 28
4 ـ المدينة عند جورج زيمل: 29
أ ـ خصائص المدينة: 32
ب ـ استجابة الفرد: 32
ج ـ خلاصة لما يتعلق بالتنظيم الاجتماعي للحياة اليومية: 34
5 ـ النقد الموجه لزيمل: 35
مراجع المحاضرة: 35
المحاضرة الثالثة: المدينة عند موريس هالبواش.....38
تمهيد: 39
1 ـ التعريف بموريس هالبواش (1877- 1945): 39
2 ـ موريس هالبوش وعلم الاجتماع الفرنسي (1945-2015). 39
3 ـ هالبواش، دور كايم والنهج المورفولوجي: 40
4 ـ هالبواش، بيرجس ومدرسة شيكاغو: 42
5 ـ هالبواش والتحول من المورفولوجيا الحضرية إلى المورفولوجيا الاجتماعية: 43
6 ـ هالبواش والمدينة: 45
1.6 ـ المدينة، والمِزاج (الشكل) الاجتماعي: 45
2.6 ـ المدينة كتعبير عن الاحتياجات الجماعية: 46
3.6 ـ سوق الأراضي، انعكاس للتمثيل الجماعي للفضاء: 46
4.6 ـ التحولات الحضرية والجهات الفاعلة فيها: 47

7 ـ هالبواش والطبقات الاجتماعية: 47
8 ـ هالبواش والذاكرة: 50
1.8 ـ هالبواش من الذاكرة الفردية إلى الذاكرة الجماعية: 50
2.8 ـ هالبواش الذاكرة كمحاولة لتملك الماضي: 51
3.8 ـ هالبواش الذاكرة الجمعية، الزمن والمكان: 51
9 ـ هالبواش، الذاكرة الجماعية والهوية: 52
1.9 ـ الذاكرة الجماعية والفضاء، يدعمان الهويات الجماعية: 52
2.9 ـ الذاكرة والهوية عند هالبواش: 53
10 ـ النقد الموجه لموريس هالبواش: 53
مراجع المحاضرة: 56
المحاضرة الرابعة مدرسة شيكاغو، ونظرية ارنست بيرجس (Ernest Burgess)..59
تمهيد: 60
I: ـ مدرسة شيكاغو، روادها إبداعاتها المفاهمية والمنهجية: **60**
أولا: ـ مدرسة شيكاغو والنظرية الايكولوجية الكلاسيكية: 60
1 ـ التعريف بمدرسة شيكاغو لعلم الاجتماع: 60
2 ـ النظرية الايكولوجية الكلاسيكية: 63
3 ـ النقد الموجه للنظرية الايكولوجية: 64
ثانيا: ـ القضايا الأساسية لمدرسة شيكاغو: 66
1 ـ القضية الأولى: التقاليد البحثية لمدرسة شيكاغو. 66
2 ـ القضية الثانية: (المدينة كـ "مختبر اجتماعي").....69
3 ـ القضية الثالثة: مدرسة شيكاغو والتفاعلية الرمزية. 73
ثالثا: ـ تقييم التراث النظري الأمريكي الكلاسيكي. 74
II: ـ نظرية (Burgess)، الاندماج الاجتماعي وعلاقته بالحراك المجالي والاجتماعي...**76**
أولا: ـ ارنست بيرجس ونظرية الدوائر المركزية: 76
1 ـ التعريف ارنست بيرجس (1886-1966): 76
2 ـ ارنست بيرجس ونظرية الدوائر المركزية (1886-1966): 77
3 ـ النقد الموجه لنظرية بيرجس حول الدوائر المركزية: 79
ثانيا: ـ الاندماج الاجتماعي عند رواد مدرسة شيكاغو: 80
1 ـ مدرسة شيكاغو وإشكالية الاندماج الاجتماعي: 80
2 ـ بيرجس والاندماج الاجتماعي: 82
3 ـ النقد الموجه لارنست بيرجس:.....84
مراجع المحاضرة: 86
المحاضرة الخامسة: المدينة عند بول هنري شمبارت دو لاو.....**89**
تمهيد: 90
1 ـ بول هنري شمبارت دي لاو والمدرسة الفرنسية.....90
1.1 ـ التعريف ببول هنري شمبارت دي لاو (1913-**1998**): 90
2.1 ـ أسس التفكير عند المدرسة الفرنسية: 92
2 ـ بول هنري شمبارت دي لاو بين مدرسة شيكاغو والأفكار المسيحية: 93

1.2 ـ شمبارت ومدرسة شيكاغو: 93
2.2 ـ شمبارت والأفكار المسيحية: 94
3 ـ شمبارت وتطبيق نموذج "المناطق متحدة المركز لبيرجس":.....95
4 ـ المدينة عند شمبار دو لاو: 96
5 ـ شمبارت والمجمعات السكنية الجديدة للطبقة العاملة: 98
1.5 ـ شمبارت والمجمعات السكنية الجديدة: 98
2.5 ـ شمبارت والطبقة العاملة: 99
6 ـ منهجية البحث عند شمبارت دو لاو: 100
7 ـ شميارت والديناميات المجتمعية: 102
1.7ـ شمبارت والديناميات الاجتماعية: 103
2.7ـ شمبارت والدياميات الثقافية:.....104
3.7ـ شمبارت والديناميات السياسية: 106
4.7ـ شمبارت والديناميات النفسية:.....108
8 ـ مجمل اهتمامات شمبارت: 110
9 ـ النقد الموجه لشمبارت: 112
مراجع المحاضرة: 113
خاتمة:.....115
قائمة المراجع:.....119

المقدمة

مقدمة:

تعد النظرية الحضرية، مجموعة فرعية من النظرية الاجتماعية، تمتلك إلى جانب إيديولوجياتها، وأطرها التنظيمية، مفرداتها المفاهيمية كذلك، غير أن النظرية الحضرية تتميز عن هذه الأخيرة بإقتناعها بأن الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية مختلفة في المدينة مقارنة مع أنواع أخرى من المجتمعات، وبين كل مدينة وأخرى كذلك، وهي غير مستقرة ومعرضة للخطر من قبل العالم غير الحضري. ولذلك التمييز الأول الذي يجب علينا أن نلاحظه هو أن الحياة الحضرية ليست عالمية ولا في كل مكان، وأنه نتيجة لذلك، فإنه يتشكل بعض الغموض، والإلتباس بالنسبة لأولئك الذين يرغبون في فهم مجمل الأنشطة والوظائف بشكل أفضل.

ذلك أنه من المعلوم بداهة أن النشأة الأولى للنظرية الاجتماعية ارتبطت بعاملين هما: تاريخية النظرية وارتباطها بالأحداث والوقائع، أي البحث عن التفاعلات الواقعية وعلاقتها ببناء النظرية وتأثير الأحداث عليها. أما العامل الثاني فهو مرتبط بالأصول الفكرية للنظرية ومدى قدرتها في التعبير عن انتماءاتها الاجتماعية والسياسية.[1]

وعلى هذا يمكن القول بأن النظرية ليست ثابتة، ولا جامدة، فقد تتكشف من خلال الأبحاث العلمية نقائص أو ثغرات أو عيوب، والتي من الممكن أن يعمل المنظرون على ضبطها أو تعديلها أو حتى صياغة تفسيرات جديدة للظواهر، ذلك أن النظرية هي صورة مصغرة للواقع بتحولاته وتبدلاته الفكرية والواقعية. ومن ثم فكل تغير وتحول وتبدل في هذا الواقع، يجاريه تغير وتبدل في التصورات والأفكار. ومن ثم فإن التصورات النظرية ينبغي أن تكون مرنة وقابلة للتعديل والتطوير والتنقيح حتى تظل هذه النظرية متماشية مع الواقع المجتمعية.

ومع ذلك النظرية العلمية تضمن تنظيم الظواهر المادية والاجتماعية والنفسية والاقتصادية والسياسية المتداخلة، والتي تحفل بها المدينة، وهي تستهدف بذلك فهما وتفسيرها، وهو ما يسمح بالتنبؤ بها تمهيدا للتحكم فيها. والاستفادة منها خدمة للمجتمعات البشرية. ولأجل كل ذلك، فهي تؤدي إلى طرح أفكار وتصورات وتساؤلات ومشكلات تحتاج إلى بحوث. وهو ما من شأنه أن يؤدي إلى التراكم المعرفي.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا كذلك، هو أن المنظرين الاجتماعيين لم يكونوا بعيدين عن الواقع المعيش الذي حاولوا تفسيره، لا فكرا ولا معايشة، بل تأثرو وأثرو فيه، بشكل ما، بحكم انتماءاتهم سواء أكانت عرقية أو طبقية أو فئوية، وتأثرو بهذه الانتماءات ومالوا إليها، في تفسيراتهم لظواهر هذا الواقع.

ومن هذا المنطلق تحاول هذه المطبوعة والموجهة لطلبة السنة الأولى ماستر، علم الاجتماع الحضري بالدرجة الأولى، والتي تهدف أساسا إلى التعرف عن النظريات والمقاربات الأساسية الكلاسيكية قي علم الاجتماع الحضري والتعرف عن الأدوات والمفاهيم التحليلية الأساسية المشتركة فيما بينها.

من خلال التعرض أولا إلى المدينة عند ماكس فيبر (Max Weber) بربط هذا المفهوم بنظريته حول العصرنة أو الحداثة (La modernité)، وثانيا مقاربة جورج زيمل (Georg Simmel) للإنسان الحضري الجديد والحضرية (l'urbanité)، مرورا بمقاربة موريس

---

[1] ياس خضير البياتي، **النظرية الاجتماعية جذورها التاريخية وروادها**، ط1، (طرابلس: الجامعة المفتوحة، 2002)، ص.43.

هالبواش (Maurice Halbwachs) للمرفولوجية الحضرية، للعلاقة بين المضاربة العقارية ومخططات التهيئة الحضرية، الذاكرة الجماعية و علاقتها بالإقامة.... وصولا، إلى مدرسة شيكاغو: روادها إبداعاتها المفاهمية والمنهجية: المدينة كنظام إيكولوجي، الحضرية، نظرية ارنست بيرجس (Ernest Burgess)، الاندماج الاجتماعي وعلاقته بالحراك المجالي والاجتماعي، وأخيرا، المدرسة الفرنسية التقليدية مع بول هنري شمبارت دو لاو (P.-H. Chombart de Lauwe) في مقاربته للصراع بين النماذج الثقافية المبلورة قي المجال و الممارسات السكانية.

ومن المؤكد هنا، وفي نهاية المطاف هذا، أننا أشرنا من خلال ذلك، إلى تراث ثلاث مدارس فكرية سادت خلال النصف الأول من القرن العشرين، إذا أخذنا ماكس فيبر وجورج زيمل كممثلين عن المدرسة الألمانية، في حين مدرسة شيكاغو وإرنست بيرجس بالأساس كممثل عن المدرسة الأمريكية، في الوقت الذي يمثل موريس هالبواش وبول هنري شمبارت دو لاو المدرسة الفرنسية.

المحاضرة الأولى
المدينة عند ماكس فيبر

بربط هذا المفهوم بنظريته حول العصرنة أو الحداثة (La modernité)

المحاضرة الأولى: المدينة عند ماكس فيبر

بربط هذا المفهوم بنظريته حول العصرنة أو الحداثة (La modernité)

تمهيد:

1 ـ التعريف بماكس فيبر.

2 ـ علم الاجتماع عند ماكس فيبر.

3 ـ المدينة عند ماكس فيبر.

أولا: ـ الطرح الأول.

1 ـ ماكس فيبر والنموذج المثالي.

2 ـ النقد الموجه لماكس فيبر فيما يتعلق بالنموذج المثالي.

ثانيا:ـ الطرح الثاني.

1 ـ ماكس فيبر والتسوية الحضرية.

2. النقد الموجه لفيبر.

خلاصة.

تمهيد:

تتناول هذه المحاضرة الظاهرة الحضرية عند ماكس فيبر (Max Weber) من خلال التعريف به، ونظرته للمجتمع والمدينة، والتي ضمنها طرحين متميزين، الأول تناول النموذج المثالي، في حين تناول طرحه الثاني التسوية الحضرية وانتهاء بالنقد الموجه له.

1 ـ التعريف بماكس فيبر:

يعتبر كارل إميل ماكسيميليان المعروف باسم ماكس فيبر أحد أهم رواد السوسيولوجيا الغربية المعاصرة، وهو الذي ولد بمقاطعة ايرفيرت بألمانيا سنة 1864 إلا أنه لم يعش فيها أكثر من خمس سنوات بفعل انتقاله بمعية أسرته إلى مدينة برلين سنة 1869. نشأ ماكس فيبر في أسرة تتبنى البورجوازية موضعا وتوجها، حيث يعد أجداده من أشهر تجار مقاطعة بيلفيلد، أين امتد نشاطهم حتى منطقتي فرانكفورت ومانشستر، أما والده فكان محاميا وسياسيا من الطراز الأول حيث يعد من زعماء الحزب الحر آنذاك (الحزب القومي الليبرالي) فضلا عن عضويته بالبرلمان، أما عن مرجعيتهم الدينية فقد كانت البروتستانتية حيث كان يجري إعداده ليكون عضوا بالكنيسة البروتستانتية مطلع عام 1879.. وتجدر الإشارة إلى أن فيبر كان مولعا بالسياسة، وكم تمنى أن يكون زعيما سياسيا أو حتى عضوا بالبرلمان، لكنه اخفق في حياته السياسية والعملية فحاول أن يفهم مجتمعه.[1]

درس فيبر الاقتصاد والقانون في مطلع حياته وتفوق فيهما، وقد عين في عام 1893 أستاذا للاقتصاد بالجامعة.[2] تأثر بفكر كل من كارل ماركس ونيتشه، المهيمنين في تلك الفترة في ألمانيا، وعارضهما بعد ذلك، إذا اكتفى بفهم العالم وتأويله.

ومن ثم فإن الإحاطة بفكر ماكس فيبر حول الظاهرة الحضرية، تستلزم الإشارة إلى منظوره لعلم الاجتماع في الأول، وإلى منظوره للمدينة ثانيا.

2 ـ علم الاجتماع عند ماكس فيبر:

يعرف **فيبر** علم الاجتماع بأنه ذلك العلم الذي يحاول الوصول إلى فهم تفسيري للفعل الاجتماعي، لكي يتمكن من تقديم تفسير سببي لمجراه ونتائجه. ولذا سميت سوسيولوجيا ماكس فيبر بالسوسيولوجيا الفهمية، لأنه يرى أن المهمة المتخصصة لعلم الاجتماع هي تفسير السلوك في ضوء المعنى الذاتي، وأن موضوع دراسة هذا العلم هي الظواهر التي يمكن فهمها فهما ذاتيا. بمعنى أنه ليس كل سلوك إنساني يشكل فعلا اجتماعيا؛ فالفعل الاجتماعي الذي يجب أن يكون موضوع دراسة علم الاجتماع هو السلوك الذي يضفي عليه الفاعل معنى ذاتيا، والفاعل حين يقوم بهذا الفعل الاجتماعي فإنه يضع سلوك الآخرين دائما في اعتباره، ويكون فعله موجها نحو الآخرين.[3]

ومن ثم اعتقد ماكس فير أن علم الاجتماع يجب أن يركز على الفعل الاجتماعي لا على البنية الاجتماعية، وأن الدوافع والأفكار البشرية هي التي تقف وراء التغير الاجتماعي.. ووفقا لمنظوره هذا لا بد من فهم السلوك الاجتماعي أو الظواهر الاجتماعية على مستويين، المستوى الأول أن نفهم الفعل الاجتماعي على مستوى المعنى للأفراد أنفسهم، أما المستوى

---

[1] عبد الباسط عبد المعطي، **اتجاهات نظرية في علم الاجتماع**، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون، 1981، ص.90-91.

[2] عبد الهادي محمد والي، **المدخل إلى علم الاجتماع**، (مصر: دار الكتب، 2003)، ص.280.

[3] إبراهيم أبراش: **المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية**، ط1، عمان، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2009، ص.105.

الثاني فهو أن نفهم هذا الفعل الاجتماعي على المستوى الجمعي بين جماعات الأفراد.. ولكي نفهم عمل الفرد وأفعاله أو سلوكه الاجتماعي على مستوى المعنى لا بد من النظر إلى دوافع الفرد ونواياه وإهتماماته والمعاني الذاتية التي يعطيها لأفعاله والتي لم تكمن خلف سلوكه، أي أنه لا بد من فهم معنى الفعل أو السلوك على المستوى الفردي ومن وجهة نظر الفرد نفسه صاحب هذا السلوك وبنفس الطريقة لا بد من النظر إلى النوايا والدوافع والأسباب والاهتمامات التي تكمن وراء سلوك الجماعة التي يعتبر الفرد عضوا فيها، أي أنه لا بد من فهم الفعل الاجتماعي على المستوى الجمعي ومن وجهة نظر الفرد كعضو في جماعة.[1]

ومن ثم فهدف السوسيولوجيا عند ماكس فيبر هو فهم الفعل الاجتماعي وتأويله، مع تفسير هذا الفعل المرصود سببيا بربطه بالآثار والنتائج.[2] ذلك أن، هذا الفعل - أثناء التواصل والتفاعل – يتخذ معنى ذاتيا لدى الآخر أو الآخرين، فالفعل الإنساني عند فيبر هو السلوك الذي يحمل دلالة ومعنى وهدفا. وأما الفعل المجتمعي، فهو السلوك الذي يسلك تجاه الآخرين من خلال ما يراه، في سلوك الآخرين، من دلالة ومعنى وهدف.[3]

3 - المدينة عند ماكس فيبر:

يعتبر فيبر من أوائل الباحثين الذين سعوا لإيجاد صياغة واضحة ومضبوطة لمفهوم المدينة، إلا أن فيبر يقر منذ الوهلة الأولى أنه من وجهة النظر السوسيولوجية لا يوجد تعريف واحد للمدينة، ولذلك سيقترح في محاولته لصياغة تعريف نموذجي للمدينة، مختلف أصناف التعاريف التي ستصاغ فيما بعد بشأنها ،حيث نجده يقول في هذا الصدد: "يمكننا أن نحاول تعريف المدينة بطرائق متعددة، فكل التعاريف تشترك في نقطة واحدة وهي أن المدينة لا تكمن في سكن واحد أو سكنات متعددة منتشرة بشكل مبعثر. فالمدينة على كل حال تتشكل من السكن المتجمع (ولو نسبيا)، أي من محلة. وفي المدن تبنى الدور بالقرب من بعضها البعض، والقاعدة العامة هي أن تبنى حائطا لحائط. إن التصور الشائع في الوقت الحاضر يربط المدينة بخصائص كمية محضة: إن المدينة هي المحلة الكبرى."[4]

ومن هنا يذهب ماكس فيبر إلى أن المدينة هي الشكل الاجتماعي الذي يسمح بدرجة عالية من الفردية والتميز في كل مظهر واقعي من المظاهر الموجودة في العالم. ولتحديد معنى المدينة لا يمكن الاقتصار على وصف نمط حياة منفرد، ولكن باعتبار أنها أحد البناءات الاجتماعية التي تعمل على إيجاد أساليب حياة ملموسة ومتعددة، وهكذا تصبح المدينة مجموعة من البناءات الاجتماعية التي تعمل على تشجيع الفردية والتجديد.[5] ويعرفها بأنها "مكان إقامة يعيش السكان فيها على أساس التبادل والتجارة أكثر من الزراعة ويرى أن السوق المحلية جزء أساسي من حياة الناس".[6]

ولم يكتف فيبر بهذا التعريف السوسيولوجي النموذجي للمدينة، بل حدد المدينة من خلال الأبعاد التالية:

---

[1] إسماعيل محمد الزيود، **علم الاجتماع**، ط1، كنوز المعرفة، عمان، 2011، ص.58- 59.

[2] Catherine Colliot, **la sociologie de Max Weber**, (Paris: La découverte, 2006), p.50.

[3] عبد الله إبراهيم، **الاتجاهات والمدارس في علم الاجتماع**، ط2، (بيروت: المركز الثقافي العربي، 2010)، ص.96.

[4] عبد الرحمان المالكي، **مدرسة شيكاغو، ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة**، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2016، ص28-29.

[5] غريب محمد سيد احمد، غريب محمد سيد احمد، **علم الاجتماع الحضري**، (الازاريطة: دار المعرفة الجامعية، 2006)، ص.23.

[6] محمد عاطف غيث، **علم الاجتماع الحضري، (مدخل نظري)**، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2009)، ص.124.

المدينة ككيان اقتصادي: فالوظيفة الأولى والأساسية للمدينة وظيفة اقتصادية، إنها أولا وقبل كل شيء سوق دائم.
المدينة ككيان سياسي: على اعتبار أن مختلف الأنشطة الاقتصادية والإدارية في المدينة غالبا ما تكون في خدمة السلطة.
المدينة ككيان إداري/ قانوني: فالمدينة تشكل إلى جانب دورها الاقتصادي والسياسي مركزا إداريا.[1]

ويقول محمد عاطف غيث أن ماكس فيبر من خلال مؤلفه "المدينة" خاض في موضوع جديد عليه كلية، باعتبار أنه اعتاد على الخوض في مسائل التنظيمات، السياسة، الدين... إلخ كما أن طريقة تناوله له اختلفت كثيرا عن كتابات الذين سبقوه ممن تسنى لهم معالجة مثل هذا الموضوع، حيث نجده نحى في معالجته منحى مغايرا كلية لذلك الذي سار عليه الكثير من الباحثين قبله، والذين اكتفوا بتسليط الضوء على أثر العوامل الحضرية على بعض جوانب الحياة الاجتماعية ومع ذلك فشلوا في تقديم صياغة نظرية متكاملة خاصة بالحياة الحضرية في ذاتها، حيث وبخلافهم لم يسع فيبر خلف عملية وصف لأثر المدينة في خلق الشعور بالعزلة والفقدان عند سكانها ولكنه سعى لتبيين الظروف التي تجعل دور المدينة إيجابيا وابتكاريا في الحياة العامة للإنسان.[2]

ويعتبر فيبر من أوائل علماء الاجتماع الذين قدموا محاولة علمية منظمة لدراسة المجتمع الحضري، ولعل أهم ما قدمه في هذا السياق:

1 ـ اهتمامه بدراسة المدن في مختلف أجزاء العالم وفي مراحل تاريخية متفاوتة، الأمر الذي مكنه من تطوير طريقة المقارنة بين مختلف الظواهر الحضرية.
2 ـ تحديده لخصائص المدينة (منطقة مستقرة، ذات كثافة عالية، ينعدم فيها التعارف الشخصي والمتبادل بين سكانها،.. الخ).
3 ـ تمثل المدينة بناءات اجتماعية تشجع الفردية الاجتماعية والتجديد، وهي بذلك وسيلة التغير التاريخي.
4 ـ يقوم المجتمع الحضري الكامل على علاقات تجارية، تبادل اقتصادي، الاستقلال الذاتي من الناحية السياسية والعسكرية، تطوير الروابط الاجتماعية...الخ.
5 ـ الاستناد إلى النموذج المثالي يمكن من تقديم وصف عقلاني رشيد لظاهرة المدينة (المنظور التاريخي) التي ربط نموها بالتغيرات الأساسية التي طرأت على الثقافة الغربية وعلى الأخص القيم الدينية.
6 ـ يسود المدينة الحديثة أساليب متنوعة من الحياة الحضرية، تنظيمات بيروقراطية، علاقات جزئية ورسمية، سيطرة اقتصاد السوق، وهذه السمات ظهرت بتأثير قوى اقتصادية متضمنة في الرأسمالية.[3]

ولا يعتقد ماكس فيبر بوجود طبقتين اجتماعيتين متخاصمتين كما يعتقد ماركس، بل يعتقد بوجود طبقات اجتماعية متعددة يعتمد وجودها على معايير معينة وثابتة أهمها التربية والتعليم والمهنة والدخل والملكية وأسلوب الحياة. إن الصنوف الطبقية التي يعتمدها ماكس فيبر تعتمد بالأساس على متغير المهنة، فالمهنة كما يعتقد فيبر هي التي تحدد الانتماءات

---

[1] عبد الرحمان المالكي، **مدرسة شيكاغو، ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة**، مرجع سابق، ص.30-32.
[2] محمد عاطف غيث، **علم الاجتماع الحضري: مدخل نظري**، دار النهضة العربية، بيروت، 1983، ص 31-32.
[3] إسماعيل قيرة، **علم الاجتماع الحضري ونظرياته**، (قسنطينة: منشورات جامعة منتوري، 2004)، ص.107.

الفئوية أو الطبقية للأفراد بالرغم من أنها تعتمد على التربية والتعليم والتخصص والمهارة والموهبة في أداء العمل الإنتاجي أو الخدمي. إن هناك طبقة القادة والإداريين وطبقة أصحاب المصانع والتجار وطبقة المزارعين وطبقة الصناع وطبقة الكتبة والطبقة الكادحة التي تمثل البائع المتجول ومنظف الشوارع وسائق العربية والاسكافي.. الخ.[1]

وإلى جانب ذلك نجده ينسب أشكال التنظيم والوعي الاجتماعي إلى العمليات الاقتصادية، إذ يرى بأن المحرك هو علاقات التبادل في السوق.[2] كما يعتقد بإمكانية أن تكون المدن عوامل ايجابية وقوى تحريرية في الحياة الإنسانية... لذلك نجده قد حاول توضيح الظروف الايجابية المؤثرة على الحياة العامة للناس.[3] مع تسليط الضوء على الاختفاء التدريجي للعلاقات الاجتماعية الحميمة والمستدامة. إذ يشير إلى أن العدد الكبير من السكان والكثافة السكانية (في المدن) يدفعان لزيادة احتمال العلاقات غير الشخصية والمجهولة.[4] وهذا في الوقت الذي فقدت فيه المدن استقلالها الذاتي عسكريا وتشريعيا وسياسيا، وعندما توحد سكانها مع وحدات أخرى في المجتمع كالدولة والأمة. وإلى جانب ذلك يرى أن السبب الأساسي في فشل المدن الحديثة، يتمثل في إتباعها لعقلانيات متطرفة ومبالغ فيها، وإعتمادها على الرأسمالية التي تؤكد على مبدأ الربح والمنفعة كدافع وحيد للحياة.[5]

ففي الوقت الذي أراد ماركس تغيير العالم، فضل دور كايم التكيف مع العالم – والحفاظ على الحرية الفردية وتعزيز وضع الدولة- الأمة بهدف صياغة نظام أخلاقي جديد من شأنه إلحاق الهزيمة بالميول الطاردة للعلاقات الاجتماعية التي خلقتها السوق، أما فيبر فقد كان مهتما بالتطور التاريخي للإنسانية وتنوع علاقاتها الاجتماعية والعراقيل التي تفرضها البيروقراطيات والعقلانية الذرائعية على تطورها اللاحق في المستقبل.[6] ولهذا نجد عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر يؤكد على عدم كفاية النظريات السابقة. ولهذا كان مهتما بتطوير نموذج عام للمدينة، نموذج شامل وموجز.

وعلى العموم فإن مراجعتنا للتراث النظري في علم الاجتماع الحضري، المتعلق بماكس فيبر، قد أوضح بما لا يترك مجالا للشك، أن هناك طرحين متميزين يتميز بهما في تناوله للمدينة والظاهرة الحضرية عموما، يتعلق الأول بفكرة النموذج المثالي، ويتعلق الثاني بطرحه لفكرة التسوية الحضرية.

أولا: - الطرح الأول.

1 - ماكس فيبر والنموذج المثالي:

يذهب فيبر إلى أن ظهور المجتمع الحديث قد تزامن مع بروز تغيرات مهمة في أنماط الفعل الاجتماعي، لقد أخذ الناس في تلك الفترة بالتحول عن المعتقدات التقليدية التي ترتكز على الشعوذة والدين والعادات والمواضعات الاجتماعية. وبدأ الأفراد عوضا عن ذلك بتبني

---

[1] إحسان محمد الحسن، **النظريات الاجتماعية المتقدمة، دراسة تحليلية في النظريات الاجتماعية المعاصرة**، ط3، دار وائل للنشر، عمان، 2015، ص.289.

[2] توماس س. باترسون، **التغيير والعولمة في القرن العشرين**، ترجمة عزة الخميسي، ط1، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2005)، ص.20.

[3] غريب محمد سيد احمد، **مرجع سابق**، ص.22.

[4] David A. Karp, et al, **Being Urban, A Sociology Of City Life**, 3 edition, Praeger, Usa, 2015, p.54.

[5] سعيد ناصف، **علم الاجتماع الحضري، المفاهيم والقضايا والمشكلات**، ط1، (مصر: دار الكتب والوثائق القومية، 2006)، ص.64.

[6] توماس س. باترسون، **مرجع سابق**، ص.58.

أساليب التفكير العقلاني والترشيد والحساب التي تأخذ بالاعتبار معايير الكفاءة وتوقعات المستقبل. ولم يكن في المجتمعات الصناعية متسع للعواطف أو للاستمرار في القيام بأعمال معينة لمجرد أن الآخرين قد درجوا على انتهاجها في الماضي لأجيال عديدة..[1]

وفي الوقت الذي كانت المنظورات الوظيفية والصراعية تؤكد أهمية البنى التي توجه المجتمع وتؤثر في السلوك البشري، فإن نظريات الفعل الاجتماعي تولي قدرا أكبر من الأهمية لدور الفعل والتفاعل بين أعضاء المجتمع في تكوين هذه البنى. ويبرز دور علم الاجتماع هنا في استيعاب المعاني التي ينطوي عليها الفعل الاجتماعي والتفاعل، لا تفسير طبيعة القوى الخارجية التي تدفع الناس إلى نمط معين من الأفعال. وإذا كانت المقاربات الوظيفية والصراعية تطرح النماذج النظرية حول الطريقة التي يعمل بها المجتمع برمته، فإن الملتزمون بطريقة الفعل الاجتماعي يركزون على تحليل الأسلوب الذي يتصرف به الفاعلون الأفراد أو يتفاعلون به فيما بينهم من جهة وفيما بينهم وبين المجتمع من جهة أخرى.[2]

فقد تطورت أفكار فيبر من خلال تعريفه للمدينة فيما يمكن إن نطلق عليه الآن تعريفا لحياة المدينة، أطلق عليه فيبر مصطلح النموذج المثالي للمدينة، ويعني به حالة معينة للحياة الحضرية التي تفي بالمتطلبات الاجتماعية المتوارثة في تنظيم الاستيطان البشري. ويفترض مفهوم النموذج المثالي هذا إمكانية إيجاد وصف رشيد (عقلي) لأية ظاهرة اجتماعية مثل ظاهرة المدينة.[3]

حيث ارتبط النموذج المثالي باسم ماكس فيبر الذي رأى فيه أداة منهجية تعين الباحث في دراسة الفعل الاجتماعي.. ويقول أن النموذج المثالي هو بناء وتشييد عقلي يتشكل من خلال ظهور أو وضوح سمة أو أكثر، أو وجهات نظر يمكن ملاحظتها في الواقع...وهو أداة لتحليل الأحداث والمواقف التاريخية الملموسة.. فهو نموذج محدد نقارن به المواقف الواقعية في الحياة، والأفعال التي ندرسها، وهذه الدراسة للواقع الملموس تمكننا من الحصول على العلاقات السببية بين عناصر النموذج المثالي.[4] كما يعرف النموذج المثالي بأنه تصور عقلي يتشكل من خلال ظهور سمة أو أكثر من صفات وخصائص الأشياء أو الظواهر موضع الملاحظة في الحياة الواقعية، كذلك فإن النموذج المثالي ليس غرضا، إنما هو أداة أو وسيلة لتحليل الأحداث التاريخية الملموسة والمواقف.[5] وتتم صياغة النمط المثالي من خلال إبراز متميز عمدا لوجهة نظر معينة أو أكثر، والتأليف بين عدد كبير جدا من الظواهر (أي تجسيدات النمط) الفردية الواقعية الشاسعة إلى حد ما – ولكنها قد تغيب أحيانا – ويتم ترتيب هذه الظواهر (أو التجسيدات الواقعية) طبقا لوجهات النظر المختارة عمدا بحيث يصبح وحدة تحليلية موحدة. ومثل هذا البناء العقلي (أي المفهوم) ليس له أي وجود في صورته الخالصة على صعيد الواقع الملموس في أي مكان.[6] ومن ثم فالنماذج المثالية، ما هي إلا تصورات

---

[1] أنتوني جيدنز، **علم الاجتماع، مع مدخلات عربية**، ترجمة فايز الصباغ، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005، ص.72.

[2] أنتوني جيدنز، **المرجع السابق**، ص.76.

[3] غريب محمد سيد احمد، **علم الاجتماع الحضري**، (الازاريطة: دار المعرفة الجامعية، 2006)، ص.23.

[4] عبد الهادي محمد والي، **المدخل إلى علم الاجتماع**، (مصر: دار الكتب، 2003)، ص.289.288.

[5] محمد احمد بيومي، **تاريخ التفكير الاجتماعي**، (الإسكندرية: 1998)، ص.202.

[6] محمد الجوهري وآخرون، **تاريخ التفكير الاجتماعي، الرواد**، ط1، (الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2011)، ص.195.

عقلية خالصة، يطرحها الباحث، لتكون بمثابة مرشد له، وللباحثين الإجتماعيين عموما، الذين يسعون لفهم الواقع، ومعرفة العلاقات السببية، التي تؤدي إلى حدوث الظواهر وتكرارها.

ذلك أنه بفهم وتفسير السلوك الاجتماعي يعني فيبر الأسباب الدافعة للسلوك وأنماطه الأساسية. فالسلوك الاجتماعي قد يكون سببه العاطفة أو الانفعال أو العادات والتقاليد الاجتماعية أو العقل والمنطق والبصيرة والإدراك الواعي.[1] وانطلاقا من هذا وضع فيبر تصنيفا لأنماط الفعل الاجتماعي والتي يمكن الاستعانة بها في بناء النماذج المثالية للسلوك حيث حدد أربعة أنماط للفعل الاجتماعي وفقا لمساره واتجاهاته على النحو التالي: الفعل العقلي، الفعل القيمي، الفعل العاطفي، الفعل التقليدي.[2]

وقد أقام فيبر نظريته على أساس التمييز بين أربعة أنماط أساسية من الفعل الاجتماعي وهي: الفعل العقلاني الذي يرتبط بهدف ما، والفعل العقلاني الذي يرتبط بقيمة ما، والفعل الوجداني أو العاطفي، والفعل التقليدي.

1 ـ الفعل العقلاني الذي يرتبط بهدف ما: يتصف بأن الفاعل فيه يدرك بوضوح هدفا معينا يريد تحقيقه وتكون لديه أساليب مناسبة لتحقيق هذا الهدف. ومثال هذا النوع من الأفعال ما يقوم به المهندس الذي يصمم بناءا معينا أو الشخص المضارب في سوق الأوراق المالية الذي يهدف إلى تحقيق مكسب مالي أو القائد الحربي الذي يريد أن يحقق نصرا ما. أفعال هؤلاء جميعا أمثلة على الأفعال العقلانية التي ترتبط بتحقيق هدف معين.

2 ـ أما الفعل العقلاني الذي يرتبط بقيمة ما: فهو الفعل الذي لا يهدف إلى تحقيق هدف خارجي معين بالنسبة للفرد بقدر ما يهدف إلى التمسك بقيمة معينة لها أهمية عظمى عند الفرد. ومثال ذلك الفعل ما يقرره قبطان السفينة من ألا يدعها تغرق وحدها بل يغرق معها. أو حين يشترك فرد ما في مبارزة يعلم أنه سيقتل فيها.

3 ـ أما ما يسميه ماكس فيبر الفعل الوجداني أو العاطفي: فهو ذلك الفعل الذي ينجم عن حالة عاطفية أو نفسية مباشرة للفرد. مثال ذلك حين تصفع الأم طفلها لأنه أتى سلوكا سيئا أو حين يضرب أحد لاعبي الكرة زميلا له في المباراة. هذه الأفعال أفعالا وجدانية وليست أفعالا عقلانية لأنها ليست موجهة إلى هدف ولا مرتبطة بقيمة معينة ولكنها عبارة عن ردود أفعال عاطفية للفاعل الذي يجد نفسه في ظروف معينة.

4 ـ أما الفعل التقليدي: فإنه ذلك الفعل الذي تمليه التقاليد، والعادات الجمعية والمعتقدات. والفاعل في هذه الحالة لا يأتي فعله من أجل تحقيق هدف ما، أو من أجل تمسكه بقيمة معينة، أو لأنه مثار انفعاليا، ولكن فعله يكون مجرد إطاعة لأفكار تم له اكتسابها من خلال عملية التطبيع الاجتماعي.[3]

وبإختصار صنف فيبر الفعل كما يحدده العقل، والقيم، والعاطفة، والتقاليد، أو بمزيج من بعضهم. وقد قصد فيبر من تنميطه للفعل أن يشمل مدى يراوح بين الرشيد وغير الرشيد.[4]

2 ـ النقد الموجه لفيبر فيما يتعلق بالنموذج المثالي:

---

[1] احسان محمد الحسن، **مرجع سابق**، ص.274.

[2] محمد سعيد عبد المجيد ووجدي شفيق عبد اللطيف، **المدخل إلى علم الاجتماع**، (القاهرة: دار الكتب، 2005)، ص.140.

[3] سمير نعيم أحمد، **النظرية في علم الاجتماع، دراسة نقدية**، مصر: دار الهاني للطباعة والنشر، ، 2006، ص ص.119-120.

[4] مصطفى خلف عبد الجواد، **قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع**، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، جامعة القاهرة، 2002، ص.152.

على الرغم من أهمية النماذج المثالية التي يمكن الاستفادة منها عمليا في الدراسات السوسيولوجية، يرى هوراس مينر (Horace miner) أن النموذج المثالي بناء عقلي خالص لا يتطابق مع الواقع، ولذلك فهو ضرب من الخيال ليس له وجود واقعي ومن ثم يزيد الوضع من الصعوبة والغموض والتعقيد، ولكن يذهب بيرجس (Burgess) ومان (Mann) على العكس من ذلك تماما حيث يؤكدان على أهمية النماذج المثالية وضرورتها لعلم الاجتماع لأنها تعتبر أدق من عملية الوصف التحليلي.[1]

وهكذا فرغم أهمية المنظور التاريخي عند فيبر في تناول الظاهرة الحضرية من منظور متعدد الأبعاد، فإنه بتعريفه النموذجي المثالي للمدينة يسقط في النزعة المركزية عندما اعتبر أن مفهوم المدينة لا توجد إلا في أوربا الغربية، ورغم تركيز فيبر في دراسته على مدن حقيقية من منظور ثقافي وتاريخي مقارن، ولكنه للأسف لم يقدم عن المدينة الحديثة إلا القليل.[2] وعلى هذا إهتم بالمدينة في الماضي أكثر من اهتمامه بها في الحاضر.[3]

إذا كانت المنظورات الأخرى في علم الاجتماع يمكن انتقادها لتشديدها المفرط فيه على جانب أو أخر من جوانب العلاقة بين الذات/البناء، فإن النقد الموجه إلى فيبر هو أنه لم يحقق المهمة العسيرة بدمج هذين الجانبين معا، وبدلا من ذلك تأرجح بينهما.[4]

ثانيا: ـ الطرح الثاني.

1 ـ ماكس فيبر والتسوية الحضرية (1864-1920):

بصدد الحديث عن المجتمع المحلي الحضري وجد فيبر أن ما قدم قبله من تفسيرات كانت عبارة عن تصورات جزئية للمدينة، فالمدينة ككيان اقتصادي أو بمعني ككيان سياسي أو ككيان إداري قانوني لا تكون مجتمعاً حضرياً كاملاً، لذا يذهب البعض إلى أن فيبر وانطلاقا من النموذج المثالي السالف الذكر، والذي من شأنه "أن يحدد العناصر الأساسية التي تشكل المدينة، بعد النظر في مجموعة متنوعة من الخصائص التي تم العثور عليها مرتبطة بالمدن تاريخيا، وصل إلى الصيغة التالية: يشكل المجتمع الحضري الكامل تسوية يجب أن تعرض الغلبة النسبية لعلاقات التبادل التجاري ومع التسوية ككل عرض الميزات التالية:

1 ـ التحصينات،

2 ـ السوق،

3 ـ محكمة خاصة بها ـ المدينة ـ، وقانون مستقل جزئيا على الأقل؛

4 ـ الأخذ بأحد أشكال تكوين الجمعيات؛

5 ـ ثم الحكم الذاتي، والاستقلال السياسي الجزئي على الأقل، وبالتالي أيضا إدارة من قبل سلطات ناجمة عن المشاركة في الانتخابات".[5]

---

[1] السيد رشاد غنيم والسيد محمد الرامخ ونادية محمد عمر، **النظرية المعاصرة في علم الاجتماع**، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ص.34.

[2] سعيد ناصف، **علم الاجتماع الحضري، المفاهيم والقضايا والمشكلات**، ط1، (مصر: دار الكتب والوثائق القومية، 2006)، ص.84.

[3] غريب محمد سيد احمد، **علم الاجتماع الحضري**، (الازاريطة: دار المعرفة الجامعية، 2006)، ص.22.

[4] مصطفى خلف عبد الجواد، **قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع**، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، جامعة القاهرة، 2002، ص.154.

[5] William G. Flanagan, **Urban Sociology, Images and Structure,** 5Ed, (USA: Rowman & littlefield publishers, Inc, 2010), P77.

في نموذجه هذا، قدم فيبر المدينة مزيج من القلعة والسوق بشكل منهجي كمكونات متشابكة في المجتمع الحضري الكامل .. وسط المدينة يمكن أن تكون بالتناوب كسوق أو كمجال للعمل. وبالعبارة الخاصة لفيبر، "القلعة ذات الطابع السياسي والموجه نحو السوق من الناحية الاقتصادية... في كثير من الأحيان تقف في ثنائية بجانب بعضها البعض. ويترتب على ذلك أن التسوية تكون بشكل واعي، إلى حد ما، من خلال تحديد وتنظيم السياسات والقوانين الخاصة بها. وبسبب هذه التسوية الواعية يضمن فيبر المعيار الثالث ("محكمة خاصة بها، وقانون الحكم الذاتي الجزئي على الأقل") والمعيار الخامس (على الأقل استقلال سياسي جزئيا ليكون هناك توجيه ذاتي) في قائمته.[1] فمن وجهة نظر فيبر المدينة يجب أن تكون مستقلة نسبيا، بأن تقيم محكمة وقانونا خاصا بها، أو على الأقل استقلال سياسي جزئي.[2] وفي هذا الإطار أوضح فيبر أن أوربا في وقته قد بدت تشهد مجتمعات محلية حضرية تعتمد أساسا على التجارة وتتمتع بقدر ملحوظ من الاستقلال الذاتي.[3]

ذلك أنه وفي مجال وضع السياسات أو إدارة الإيرادات والنفقات، فضلا عن تنظيم ظروف تنفيذ الإنتاج والتبادل في السوق من قبل وكلاء المدينة. والذين يشكلون ما يعرف عادة "بالسلطة الحضرية"، والذي أي مفهوم للمدينة يجب أن يأخذه بعين الاعتبار. قدم فيبر نقطة بسيطة ولكنها ذات أهمية حاسمة لتأسيس فهم واضح لطبيعة المدينة هنا: "إن المفهوم الاقتصادي التي نوقش سابقا يجب أن تكون مفصولة تماما عن المفهوم الإداري السياسي للمدينة. فقط في المعنى الأخير قد تنتمي منطقة خاصة إلى المدينة. وهذا هو، عن طريق تمييز الميزات الاقتصادية في المدينة عن الميزات السياسية، فمن الممكن أن نرى أن المدينة تتكون نتيجة التدخل السياسي المدبر رسميا والمحدود في المجال الاقتصادي. ذلك أن تأثير المجال الاقتصادي يمتد إلى الخارج لأجل غير مسمى.[4]

المعيار المتبقي للنظر، هو "الشق المتعلق بتكوين الجمعيات،" والمتصلة بالمكونات الأخرى بحسب تعريف فيبر. وما كان يبحث عنه فيبر هنا هو عناصر التنظيم الاجتماعي التي تتميز بها المدينة. وأعرب عن اعتقاده بأن ظهور طبقة الساكنة الكبيرة، وهي قوية سياسيا ومتميزة، المواطن والتاجر والجندي، الشرائح السكانية التي كانت قادرة على إدراك مصالحها واتخاذ الإجراءات اللازمة، كانت سمة هذه المجتمعات الحضرية صحيح. تشكيل التجار والحرفيين إلى "الشركات الحضرية"، مثل النقابات، هو مثال واحد من هذا الشكل الحضري المميز من المجتمع.[5] ليخلص في النهاية إلى ضرورة أن يكون المجتمع الحضري على شكل متصل من الرابطة بمعنى أن يقيم سكان المدينة علاقات تقوم على المشاركة في حياة مدينتهم.[6]

وباختصار، فإن النموذج الذي شيده فيبر هو اقتصاد السوق المتنوع الذي يقوم على أكبر عدد من السكان بشكل منتظم. والغرض منه نموذج يقاس عليه، قياس أي مدينة في أي فترة

---

[1] William G. Flanagan, **ibid**, P.77.

[2] محمد ياسر الخواجة، **علم الاجتماع الحضري، بين الرؤية النظرية والتحليل الواقعي**، (القاهرة: مصر العربية للنشر والتوزيع، 2010)، ص.46.

[3] رجاء مكي طبارة، **مقاربة نفس ـ اجتماعية للمجال السكني**، دراسة ميدانية، ط1، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1995)، ص.60.

[4] William G. Flanagan, **op.cit**, P.77-78.

[5] William G. Flanagan, **ibid**, P.78.

[6] محمد ياسر الخواجة، **مرجع سابق**، ص.46.

زمنية. على الرغم من أن أي مدينة، سوف تعكس صفات معينة من هذا النموذج. وعلى الرغم من أننا يمكن أن نستمر في مراقبة الزيادة في حجم السكان في المناطق الحضرية، لكن لا ينبغي لنا الخلط بين التجميع المادي مع نمو المدينة بالمعنى السوسيولوجي. المدينة لم تعد تدافع عن نفسها عسكريا، كانت تابعة قانونيا وسياسيا لفترة طويلة لسلطة الدولة. بالإضافة إلى ذلك، المصالح الفردية والولاءات مجزأة وضعت في اتجاهات عديدة وراء تلك ذات الطابع المحلي.[1]

ففيبر يعتقد بأن التغيير الاجتماعي يبدأ بتحولات في الأنساق والانتظام السلوكي للناس. لكن بما أن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية أبعد من قدرة الناس على التحكم فيها، ذلك أنها تقيد أفعال الأفراد...لقد أرست المصالح الأساس لأشكال جديدة من الفعل الاجتماعي. وكما لاحظ فيبر ليست الأفكار، بل المصالح المادية والفكرية هي التي تحكم مباشرة تصرفات الناس. ولكن يحدث كثيرا جدا أن يقرر "عالم الصور" التي تخلقها "الأفكار" المسارات، التي تقف المصالح الحيوية خلف اتخاذ الفعل الإنساني لها. وبينما ينطوي الفعل الاجتماعي الذي تحركه المثل على طابع ثوري، يتسم الفعل الاجتماعي الذي تحركه بشكل رئيسي المصالح المادية بالميل إلى التكيف وترسيخ الروتين. ويشتمل الفعلان على أشكال مختلفة من السلوك.[2]

وفي كتابه المدينة كان فيبر معنيا بالتحديات السياسية والاقتصادية التي مثلت أمام الاستقرار الاجتماعي في خضم تطور المدن الغربية في القرن الثاني عشر. ويقول فيبر في هذا الصدد إنه عندما اصطدمت المصالح الاقتصادية لمواطني المدن مع مصالح اللوردات المحليين استخدم المواطنون الوسائل السياسية والعسكرية لانتزاع استقلالهم ولإقامة اتحاداتهم الحضرية. وعندما احتكر الأثرياء المواقع القيادية في هذه الاتحادات واستبعدوا من كان عاجزا عن دفع حصته من الضرائب، تبددت المساواة السياسية التي قامت من قبل بينهم. ورغم ذلك ظل الأعضاء المبعدون يعتبرون أنفسهم وينظر إليهم المسئولون كمواطنين. وحين يبلغ تقدير المستبعدين لأنفسهم...حد أنهم ليس بوسعهم احتمال فكرة أنهم مطرودون من السلطة، تتوفر في هذه اللحظة إمكانية القيام بثورة جديدة...ويقول في موضع أخر أن قام هؤلاء مثلهم مثل أجدادهم، بتنظيم اتحادات مواطنين لصد مظالم السلطات المحلية ضدهم.[3]

ولهذا يعتبر فيبر من أوائل علماء الاجتماع الذين قدموا محاولة علمية منظمة لدراسة المجتمع الحضري في كتابه "المدينة"، ولعل أهم ما قدمه في هذا السياق:

1 ـ اهتمامه بدراسة المدن في مختلف أجزاء العالم وفي مراحل تاريخية متفاوتة، الأمر الذي مكنه من تطوير طريقة المقارنة بين مختلف الظواهر الحضرية.

2 ـ تحديده لخصائص المدينة (منطقة مستقرة، ذات كثافة عالية، ينعدم فيها التعارف الشخصي والمتبادل بين سكانها،...الخ).

3 ـ تمثل المدينة بناءات اجتماعية تشجع الفردية الاجتماعية والتجديد، وهي بذلك وسيلة التغير التاريخي.

4 ـ يقوم المجتمع الحضري الكامل على علاقات تجارية، تبادل اقتصادي، الاستقلال الذاتي من الناحية السياسية والعسكرية، تطوير الروابط الاجتماعية،...الخ.

---

[1] William G. Flanagan, **op.cit**, P.78.

[2] توماس س. باترسون، **مرجع سابق**، ص.86.

[3] توماس س. باترسون، **مرجع سابق**، ص.89.

5 ـ الاستناد إلى النموذج المثالي يمكن من تقديم وصف عقلاني رشيد لظاهرة المدينة (المنظور التاريخي) التي ربط نموها بالتغيرات الأساسية التي طرأت على الثقافة الغربية وعلى الأخص القيم الدينية.
6 ـ يسود المدينة الحديثة أساليب متنوعة من الحياة الحضرية، تنظيمات بيروقراطية، علاقات جزائية ورسمية، سيطرة اقتصاد السوق، وهذه السمات ظهرت بتأثير قوى اقتصادية متضمنة في الرأسمالية.[1]

2 ـ النقد الموجه لفيبر:

- من خلال عرض أفكار ماكس فيبر يتضح لنا التزامه الإيديولوجي الواضح بالنظام الرأسمالي وتمجيده، واعتباره النظام الأمثل للبشرية الذي يجب الحفاظ عليه وإدخال التحسينات والتعديلات به.[2]
- افتقار تعميمات ماكس فيبر إلى الصدق الامبريقي: ذهب فيبر في دراسته إلى أن النمو الرأسمالي الرشيد في المجتمعات الغربية قد تشكل من خلال العقيدة البروتستانتية التي يرجع إليها الفضل في صياغة روح الرأسمالية. وهذا معناه أن النمو الاقتصادي قد اقتصر على المجتمعات التي تدين بالديانة المسيحية، ولا سيما المجتمعات التي يدين أهلها بالمذهب البروتستانتي الذي اهتم به فيبر.[3]
- إن ماكس فيبر أكد أن مدن العصور الوسطى المحصنة والمكتفية بذاتها هي وحدها التي يمكن تصدق عليها صفة المجتمع الحضري على عكس أنه لم يعلق آمالا كبيرة على مدن القرن العشرين.[4]
- وهكذا فرغم أهمية المنظور التاريخي عند فيبر في تناول الظاهرة الحضرية من منظور متعدد الأبعاد، فإنه بتعريفه النموذجي المثالي للمدينة يسقط في النزعة المركزية عندما اعتبر أن مفهوم المدينة لا توجد إلا في أوربا الغربية، ورغم تركيز فيبر في دراسته على مدن حقيقية من منظور ثقافي وتاريخي مقارن، ولكنه للأسف لم يقدم عن المدينة الحديثة إلا القليل.[5] وعلى هذا إهتم بالمدينة في الماضي أكثر من اهتمامه بها في الحاضر.[6]
- بالإضافة إلى غياب النمط الايكولوجي في تحليله للظاهرة الحضرية كما هو الحال عند رواد مدرسة شيكاغو. لكن رغم كل الانتقادات التي وجهت إلى التحليل الفيبري للمدينة، يبقى ماكس فيبر أحد علماء الاجتماع، الذين كان لهم الفضل في تدشين نمط جديد من التناول الفكري للظاهرة الحضرية.
- بالإضافة أيضا إلى القطيعة بين المضمون التاريخي وأعماله.

---

[1] إسماعيل قيرة، **علم الاجتماع الحضري ونظرياته**، (قسنطينة: منشورات جامعة منتوري، 2004)، ص.107.
[2] محمد سعيد عبد المجيد ووجدي شفيق عبد اللطيف، **مرجع سابق**، ص.146.
[3] كمال التابعي، **تغريب العالم الثالث**، دراسة نقدية في علم اجتماع التنمية، (القاهرة: كتب عربية، 1991)، ص.185.
[4] السيد عبد العاطي السيد، **علم الاجتماع الحضري بين النظرية والتطبيق مشكلات وتطبيقات**، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1997)، ص.47.
[5] سعيد ناصف، **مرجع سابق**، ص.84.
[6] غريب محمد سيد احمد، **مرجع سابق**، ص.22.

- ومما يؤخذ على فيبر مغالاته في التشديد على الجوانب الذاتية في الحياة الاجتماعية، أي مرامي الأفراد ودوافعهم، الأمر الذي اقترب به من حافة التفسيرات السيكولوجية للظاهرات الاجتماعية، فقد أكد على قيم الأفراد ومصالحهم ومشاعرهم.[1]

مراجع المحاضرة:

1. إسماعيل محمد الزيود، **علم الاجتماع**، ط1، كنوز المعرفة، عمان، 2011.
2. إحسان محمد الحسن، **النظريات الاجتماعية المتقدمة، دراسة تحليلية في النظريات الاجتماعية المعاصرة**، ط3، دار وائل للنشر، عمان، 2015.
3. السيد رشاد غنيم والسيد محمد الرامخ ونادية محمد عمر، **النظرية المعاصرة في علم الاجتماع**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
4. السيد عبد العاطي السيد، **علم الاجتماع الحضري بين النظرية والتطبيق مشكلات وتطبيقات**، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1997).
5. أنتوني جيدنز، **علم الاجتماع، مع مدخلات عربية**، ترجمة فايز الصباغ، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005.
6. توماس س. باترسون، **التغيير والعولمة في القرن العشرين**، ترجمة عزة الخميسي، ط1، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2005).
7. رجاء مكي طبارة، **مقاربة نفس ـ اجتماعية للمجال السكني**، دراسة ميدانية، ط1، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1995).
8. سعيد ناصف، **علم الاجتماع الحضري، المفاهيم والقضايا والمشكلات**، ط1، (مصر: دار الكتب والوثائق القومية، 2006).
9. سمير نعيم أحمد، **النظرية في علم الاجتماع، دراسة نقدية**، مصر: دار الهاني للطباعة والنشر، 2006.
10. عبد الله إبراهيم، **الاتجاهات والمدارس في علم الاجتماع**، ط2، (بيروت: المركز الثقافي العربي، 2010).
11. عبد الباسط عبد المعطي، **اتجاهات نظرية في علم الاجتماع**، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1981.
12. عبد الهادي محمد والي، **المدخل إلى علم الاجتماع**، (مصر: دار الكتب، 2003).
13. غريب محمد سيد احمد، **علم الاجتماع الحضري**، (الازاريطة: دار المعرفة الجامعية، 2006).
14. كمال التابعي، **تغريب العالم الثالث**، دراسة نقدية في علم اجتماع التنمية، (القاهرة: كتب عربية، 1991).
15. محمد احمد بيومي، **تاريخ التفكير الاجتماعي**، (الإسكندرية: 1998).
16. محمد الجوهري وآخرون، **تاريخ التفكير الاجتماعي، الرواد**، ط1، (الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2011).
17. محمد سعيد عبد المجيد ووجدي شفيق عبد اللطيف، **المدخل إلى علم الاجتماع**، (القاهرة: دار الكتب، 2005).

[1] عبد الباسط عبد المعطي، **مرجع سابق**، ص.96.

18. محمد عاطف غيث، **علم الاجتماع الحضري، (مدخل نظري)**، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2009).
19. محمد ياسر الخواجة، **علم الاجتماع الحضري، بين الرؤية النظرية والتحليل الواقعي**، (القاهرة: مصر العربية للنشر والتوزيع، 2010).
20. مصطفى خلف عبد الجواد، **قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع**، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، جامعة القاهرة، 2002.

21. Catherine Colliot, **la sociologie de Max Weber**, (Paris: La découverte, 2006).
22. David A. Karp, et al, **Being Urban, a Sociology of City Life**, third edition, Praeger, USA, 2015.
23. William G. Flanagan, **Urban Sociology, Images and Structure,** 5Ed, (USA: Rowman & littlefield publishers, Inc, 2010).

المحاضرة الثانية
المدينة عند جورج زيمل

مقاربة Georg Simmel للإنسان الحضري الجديد والحضرية (l'urbanité)

المحاضرة الثانية: المدينة عند جورج زيمل

مقاربة **Georg Simmel** للإنسان الحضري الجديد والحضرية **(l'urbanité)**

تمهيد:

1 ـ التعريف بجورج زيمل (Georg Simmel**): (1858-1918)**

2 ـ علم الاجتماع عند جورج زيمل:

3 ـ طبيعة المجتمع عند زيمل:

4 ـ المدينة عند جورج زيمل:

أ ـ خصائص المدينة:

ب ـ استجابة الفرد:

ج ـ خلاصة لما يتعلق بالتنظيم الاجتماعي للحياة اليومية:

5 ـ النقد الموجه لزيمل:

مراجع المحاضرة:

تمهيد:

تهدف هذه المحاضرة إلى التعريف بجورج زيمل (Georg Simmel): (1858-1918)، ونظرته إلى علم الاجتماع، وإلى طبيعة المجتمع والمدينة ، مبرزا خصائصها، واستجابة الأفراد تجاه هذه الخصائص، ثم معقبا وكخلاصة بما يتعلق بالتنظيم الاجتماعي للحياة اليومية، وأخيراالنقد الموجه لزيمل.

فإذا كانت المدينة بالنسبة لماركس، هي المكان الذي يمكن أن تؤدي فيه الصراعات (النضالات) الاجتماعية إلى تحرير أكثر الناس فقرا؛ والتي تجعل من الممكن أن تتحرر من "غباء الحياة الريفية". وحتى لو كان دوركهايم، يطرح مشاكل الاندماج، فالمدينة عنده تجمع كل الشروط لنشر الكثافة الأخلاقية، والتي تسمح للفرد بالحصول على الحرية وتصبح قيمة مرجعية. وبالنسبة لفيبر، ففي المدينة ولدت الرأسمالية، جنبا إلى جنب مع ترشيد العالم. فإنها، أي المدينة الحديثة عند زيمل، هي مسرح لتجسيد الثقافة: الوقت المقاس، أين تصبح المؤسسات والقواعد غير شخصية، لدرجة أنها تنتهي بخلق نوع جديد من "الشخصية الحضرية".[1]

وإذا ما تأملنا هذه العناوين يمكن أن نعتبرها إما تعاريف سوسيولوجية للمدينة، أو بعض خصائص الحياة المتروبولية، وعلى كل حال فإن هذه العناوين تحيلنا من جهة إلى مواضيع كانت مشتركة بين زيمل ومعاصريه من العلماء كفيبر (العقلنة)، ودور كايم (تقسيم العمل، والحرية الفردية، والأنومي)، وتونيز (مسألة الفروق بين ثقافة المجتمع المحلي والمجتمع الكلي). إلا أن ما يستنتج من كتابات زيمل وما يشكل تميزها هو إقرانها للحياة المتربولية بهذه الخصائص كلها مجتمعة، وفي الوقت نفسه تضمنها العديد من الإضاءات الجديدة، والتحاليل الطريفة والعميقة معا.[2]

1 ـ التعريف بجورج زيمل (Georg Simmel): (1858-1918)

ألماني ينتمي لأسرة يهودية، نشأ يهوديا وتحول إلى المسيحية.[3] يعد واحد من أهم رواد السوسيولوجيا الألمانية وعلم من أعلامها إلى جانب كل من: فرديناند تونيز، ماكس فيبر، نوربرت إلياس، كارل ماركس وآخرون غيرهم. انصب اهتمامه على موضوعات اجتماعية لافتة، مثل النقود والموضة، والمرأة والمدينة، والفقراء والتفاعل الاجتماعي. ومع ذلك فقد أعتبر من قبل العديد من الباحثين بأنه أكثر المغمورين من مؤسسي علم الاجتماع المعاصر قياسا بفيبر، دوركايم، سبنسر...إلخ، حتى وإن كان ذلك يصدق على بريطانيا بشكل أكبر مما يصدق على الولايات المتحدة الأمريكية.

ولكن وتحت تأثير انتقادات دور كايم تجاهلت مختلف الأوساط الأكاديمية السوسيولوجية التقليدية ولفترة طويلة كتابات جورج زيمل، وذلك إلى أن اكتشفه الأمريكيون وردوا إليه الكثير من الاعتبار.[4]

2 ـ علم الاجتماع عند جورج زيمل:

---

[1] Jean-marc Stebe, Herve Marchal**, la sociologie urbaine,** que sais-je ?, puf, p.21.

[2] عبد الرحمان المالكي، **مدرسة شيكاغو، ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة**، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2016، ص.45.

[3] محمد شهاب، **رواد علم الاجتماع**، (كتب عربية)، ص.36.

[4] عبد الرحمان المالكي، **مدرسة شيكاغو، ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة**، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2016، ص.38.

في الوقت الذي كان المفهوم الألماني لعلم الاجتماع يتمتع بتعاطف حقيقي في فرنسا في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر، فإن الانفصال جاء من دوركهايم وتلاميذه: إنه ينطوي على إمكانية التوسع إلى الواقع التاريخي والاجتماعي للنماذج الموروثة من العلوم الطبيعية، أو على العكس من ذلك، الحاجة إلى زيادة استقلالية العلوم الإنسانية.[1]

ولهذا يتسائل زيمل ومنذ البداية وهو ذو التكوين في الفلسفة والتاريخ والسيكولوجيا والفنون حول المكانة التي تحتلها السوسيولوجيا بين علوم الفكر التي قامت بثورتها معترفا بفشل الطروحات الفردانية لفائدة القوى الاجتماعية والحركات الاجتماعية.[2] ويقول تدرس السوسيولوجيا بالمعنى التام للكلمة ما هو اجتماعي بشكل خصوصي، ومعناه شكل وأشكال التجمع على هذا النحو.[3]

حيث أكدت التحليلات السوسيولوجية التي قدمها على مدى أهمية علم الاجتماع في فهم وتحليل العلاقات الاجتماعية بين الأفراد وخاصة في مجال التفاعلات الانتقالية التي كانت مهملة... ولقد تضمنت نظريته فكرتين أساسيتين هما الأولى وتدور حول مميزات المدينة والثانية ترتبط باستجابات سكانها.[4]

حيث اقترح منهجية لمقاربة الظواهر الاجتماعية تهتم بالأساس بوصف ما يجري في الواقع.[5] ذلك أن "وظيفة علم الاجتماع هي تحليل هذه الظواهر المختلفة للعلاقات الاجتماعية حتى تصل إلى مقوماتها الأساسية، وخصائصها الذاتية، ثم تحاول تفسيرها في صورها المجردة بعيدا عن تجسيداتها أي مادتها في المجتمع".[6]

وعلى هذا الأساس، انطلق من فكرة مفادها أن تشكّل المجتمع وتركيبته الاجتماعية يقومان على الربط بين الأفراد والأشياء ترابطًا يكون بالضرورة في حيّز أو مكان جغرافي معيّن ومحدّد. ويعني هذا في نظره أن المجتمع لا يتكوّن من الأفراد فحسب، ولا يمكن ردّه إلى مجموع هؤلاء، بل يتجاوز عدد أفراده، ليتحدد من خلال طبيعة العلاقات الاجتماعية التي تُبنى في مجال علائقي معيّن عبر ممارسة تأثيراتٍ والخضوع لها أيضًا، بغرض تحقيق غايات مختلفة اقتصادية، وجمالية، ودينية، تتمظهر في أشكال اجتماعية، حتى يتسنّى البحث في السيرورات الخاصة التي يجب قطعها لتحقيق تلك الغايات ودراسة مضامينها. وإذا كان التحديد الأولي للسوسيولوجيا، بحسب زيمل، يميل إلى دراسة أشكال الحياة الاجتماعية، فإن موضوعها يجب ألا يقتصر على التجميع الخارجي للظواهر، بل أن يُخضِع هذه الظواهر السوسيوتاريخية لتجريد وتنظيم جديدين، وفق منهج علمي خاص لا يمكنه بأي حال تطبيقه على جميع القضايا. ومعنى هذا أنه يجب على علم الاجتماع ألا يبحث موضوعه في مادة

---

[1] Mesure Sylvie. **Sociologie allemande, sociologie française : la guerre a eu lieu**. In: Espaces Temps, 53-54, 1993. Le rendezvous allemand. Sciences sociales début du siècle : Dilthey, Weber, Elias... pp. 19-27;

[2] جان بيير دوران وروبرت ويل، **علم الاجتماع المعاصر**، ترجمة ميلود طواهري، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2019، ص.46.

[3] جان بيير دوران وروبرت ويل، **المرجع السابق**، ص.47.

[4] سعيد ناصف، **علم الاجتماع الحضري، المفاهيم والقضايا والمشكلات**، ط1، (مصر: دار الكتب والوثائق القومية، 2006)، ص.65.

[5] عبد الرحمان المالكي، **مدرسة شيكاغو، ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة**، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2016، ص.39.

[6] عبد الهادي محمد والي، **المدخل إلى علم الاجتماع**، (القاهرة: دار المصطفى للنشر والتوزيع، 2003)، ص.271.

الحياة الاجتماعية، بل في شكلها، وأن هذا الاهتمام المجرد بالأشكال الاجتماعية هو الذي يعطي علم الاجتماع شرطه الوجودي.[1]

ولهذا تُبنى نظريته على مقاربة بنائية واضحة، تنظر إلى المجال بوصفه محددًا للعلاقات الإنسانية والاجتماعية بما هي أيضًا محدِّدة له. وقد حاول بناء هذه المقاربة، انطلاقًا من دراسته أثر الأشكال المجالية في طبيعة العلاقات الاجتماعية...كما تعكس نظرية المجال في سوسيولوجيا زيمل مجموع سيرورة الحياة الاجتماعية والنشاطات الإنسانية المرتبطة بها، باعتباره عاملً محددًا للتجربة الإنسانية وشرطًا لها. ولهذا فهو مبني اجتماعيًا عن طريق هذه التجارب الإنسانية التي لا تتوقف على التشكل وإعادة التشكل.هذه الدينامية التي يحملها المجال، والتي تعكس في الآن نفسه دينامية العلاقات الاجتماعية المشكّلة له، تمنحه خاصية التعدد والانفتاح على اللامتوقع.[2]

3 ـ طبيعة المجتمع عند زيمل:

أقام زيمل نظريته الاجتماعية من خلال محاولته الإجابة عن سؤال محوري هو: ما المجتمع؟ وفي محاولة الإجابة عن هذا السؤال اضطر إلى تحليل العلاقات الاجتماعية في صورها وأشكالها المتعددة والمتكثرة وهي العلاقات التي كان يرى أنها تنشأ بين الناس بسبب الرغبات النوعية المختلفة التي قد تكون دينية أو اجتماعية فطرية وغريزية ومكتسبة.. وذهب إلى أنه لم يتم بعد التحليل الكامل لكل صور العلاقات الاجتماعية، إذ أن التركيز قد ظل دائما على العلاقات الاقتصادية والسياسية، ذلك في الوقت الذي يعتقد أنه يمكن فهم المجتمع إذا ما نظرنا إليه على انه وحدة سوسيولوجية لها وجود مستقل عن عقول الأفراد، أو حتى أن نجعل للأفراد وجودا حقيقيا وواقعيا.[3]

ومن ثم ينشأ المجتمع من وجهة نظره عن التفاعل النفسي بين الكائنات الإنسانية كأفراد، وكأعضاء في جماعات.[4] فهو يرى أن المجتمع ذو وظيفة ظاهرة في دينامية العلاقات بين الأفراد وفي التفاعل بين عقولهم... ولذلك عرف المجتمع على أنه عدد من الأفراد يرتبطون بينهم بالتفاعل، أو المجموع الكلي لتلك التفاعلات. أو بمعنى أخر أن المجتمع عبارة عن مجموع تلك الأشكال من العلاقات التي يتحول الأفراد بفضلها... ولذلك ميز زيمل بين نوعين من المجتمعات هما المجتمع المحلي الريفي والمجتمع المحلي الحضري من خلال مقارنته بين حياة المدينة الصغيرة وحياة المدينة الكبيرة. أو ما يعرف بالمجتمع المحلي والمجتمع من خلال التحليل الذي قدمه بين الجماعات الصغيرة وغيرها من الجماعات الكبيرة.[5] ومن ثم ينتهي زيمل من تحليلاته المختلفة إلى أن هناك نوعين من المجتمعات لكل منهما خصائصه التي تميزه عن غيره، حيث يتميز المجتمع الأول بالتفاعل المباشر بين أعضائه، والحجم المحدد نسبيا في حين تزداد العلاقات الاجتماعية تعقيدا بين الجماعات

---

[1] احمد الخطابي، **نظرية المجال عند جورج زيمل، المجال بوصفه شرطًا قبليًا للبناء وإعادة البناء الاجتماعي**، مجلة عمران، م09، ع35، ص.166.

[2] احمد الخطابي، **نظرية المجال عند جورج زيمل، المجال بوصفه شرطًا قبليًا للبناء وإعادة البناء الاجتماعي**، مجلة عمران، المجلد09، العدد35، (188-165)، ص.186.

[3] محمود أبو زيد، **أعلام الفكر الاجتماعي والانثروبولوجي المعاصر**، ج3، (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 1998)، ص.111.

[4] عبد الهادي محمد والي، **المدخل إلى علم الاجتماع**، (القاهرة: دار المصطفى للنشر والتوزيع، 2003)، ص.271.

[5] السيد رشاد غنيم والسيد محمد الرامخ ونادية محمد عمر، **النظرية المعاصرة في علم الاجتماع**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص.28.

الكبيرة، كما أنها تخلق لأعضائها وسائل مساعدة للتفاعل الإنساني أو بعبارة أخرى يتم التفاعل بينهم من خلال وسيط ويسود بين أعضائها اختلافات في المكانة، والأوضاع، وتفويض في المهام والسلطات، وهذه الخاصية الأخيرة تؤكد على أن الجماعات كبيرة الحجم تصبح بمثابة تعبير عن مجتمعات متباينة أو وحدات اجتماعية.[1]

ولهذا يؤكد زيمل أن الحياة الاجتماعية لا تتوقف على التشكّل وإعادة التشكّل، في كل مرة تحدث فيها تفاعلات اجتماعية، ويعاد بناء علاقات اجتماعية جديدة؛ ذلك أن المجتمع ليس مادة جامدة، بل سيرورة دائمة الحركة والتشكّل وإعادة التشكّل. في هذه السيرورة، تتطور العلاقات الاجتماعية، وتتطور معها مصائر الأفراد من خلال شبكة علاقاتهم وطبيعة أفعالهم المتبادلة؛ إذ في الوقت الذي تحدث هذه الحركات وتتحقق الغايات الاجتماعية، يعبُر الأفراد من مجال اجتماعي إلى آخر، ومن سياق اجتماعي إلى آخر. وشبّه هذه الحركية والتبادلات الاجتماعية التي تحدث بين الأفراد بالجسر Bridge لأنه يسمح بالعبور من مجال اجتماعي إلى آخر، أي من ضفة اجتماعية إلى أخرى تُمكّن من إقامة علاقات تبادل.[2]

وإلى جانب ذلك يرى زيمل أن الصراع هو عملية اجتماعية أساسية من عمليات التفاعل الاجتماعي، ونوعا من المنافسة المباشرة بين الأفراد حول رغبات وحاجات ومصالح متعارضة. وحيث يجمع زيمل في دراسته للصراع بين بناء الفرد وبناء المجتمع، فالبناء الاجتماعي لأي جماعة يعتمد على التباين واللاتجانس، كما أن بناء الفرد يحتوي على عدد من الإحساسات غير المتجانسة والانفعالات، الأمر الذي جعله يرى أن البناء الاجتماعي يشتمل على مجموعة متباينة من القوى والعلاقات الاجتماعية، وأن الصراع الاجتماعي يحدث نتيجة ردود الأفعال بين القوى الاجتماعية المتباينة. وفي هذا الصدد يميز زيمل بين نوعين من الصراع: أحدهما شرعي والأخر غير شرعي وقانوني. الأول يتمثل في الصراع الاقتصادي، أما الأخر فهو فردي. فإذا كان الأول يتم على المستوى القومي، فإن الأخر يتم على مستوى الأفراد. إن الرائي لأفكار زيمل يجده يحاول أن يبرز هنا ما للصراع من وظائف ايجابية أو سلبية وصعوبة الفصل بينهما، بعكس ماركس الذي ركز على دور الصراع في التغير والتطور الاجتماعيين.[3]

4 ـ المدينة عند جورج زيمل:

يمكن النظر إلى كتابات زيمل عن المدينة على أنها رابط انتقالي بين النماذج المفاهيمية التي قدمها علماء الاجتماع في القرن التاسع عشر وملاحظات الحياة الحضرية التي قام بها علماء الاجتماع في جامعة شيكاغو في الجزء الأول من القرن العشرين. أدرك عالم الاجتماع الألماني جورج زيمل، مثل دوركهايم وتونيز، أن دراسة التجلي التاريخي للتضامن الاجتماعي في الحضارة الغربية مشكلة مشروعة. تركز مناقشة زيمل للمدينة وما يمكن تسميته بنوع الشخصية الحضرية على مسألة كيف يحافظ الفرد على "وجوده ضد السلطات السيادية للمجتمع" (في هذه الحالة، القوى التي تمارسها البيئة الحضرية). من الواضح أن مثل هذا السؤال مهم لعلم النفس الاجتماعي للحياة الحضرية. عزل زيمل العديد من السمات

---

[1] السيد رشاد غنيم والسيد محمد الرامخ ونادية محمد عمر، **المرجع السابق**، ص.31.

[2] احمد الخطابي، **نظرية المجال عند جورج زيمل، المجال بوصفه شرطًا قبليًا للبناء وإعادة البناء الاجتماعي**، مجلة عمران، م09، ع35، ص.178.

[3] شحاتة صيام، **النظرية الاجتماعية من المرحلة الكلاسيكية إلى ما بعد الحداثة**، مصر العربية للنشر والتوزيع، 2009، ص.82.

المميزة للمدينة التي تثير عند سكان العاصمة نمطًا فريدًا من الاستجابات لم يتم العثور عليها بين سكان المدن الصغيرة. في المقام الأول، يمكن اعتبار المدينة الكبيرة مكانًا لمقارنة المحفزات الجسدية والاجتماعية المتعددة والمتنوعة لدرجة أن أي فرد يتعرض لها لا يمكن أن يستجيب لها جميعًا، ولا يمكن لأحد أن يفلت من الوعي اللاشعوري بوجودهم. وبالتالي، فإن الاختلاف الأول الذي قد يكتشفه المرء بين ساكن المدينة وسكان البلدة الصغيرة هو الوعي المتزايد والفطنة النقدية الأكبر للأول على النقيض من الوعي بالاكتئاب والسذاجة الأكبر للأخير: "فبدلاً من أن يتفاعل نوع الشخصية الحضرية عاطفياً في المقام الأول فإنه يتفاعل بطريقة عقلانية. وبالتالي يخلق هيمنة عقلية من خلال تكثيف الوعي. قد يُعزى هذا إلى حقيقة أن الساكن الحضري يجب أن يختار من الزخم المنتشر من المحفزات المتنوعة للغاية تلك المناسبة لاستجابة معينة. إن كون العاصمة هي مقر الاقتصاد النقدي بشكل مميز يعطي زخمًا إضافيًا للتطور في الشخص الحضري بنظرة عقلانية منفصلة للعالم: "اقتصاد المال وهيمنة الفكر هما أقرب علاقة لبعضهما البعض". علاوة على ذلك، يعد الوقت في المدينة منسقًا مهمًا للنشاط البشري. بدون التفاني الدقيق في الالتزام بالمواعيد من جانب معظم سكانها، ستصبح المدينة مكانا يسوده الهرج. إن ضرورة ترتيب جدول زمني للنقل من وإلى مكان العمل، على سبيل المثال، يزيد من أهمية الالتزام بالمواعيد بالنسبة لسكان المدن. تعزز الأنشطة المتشابكة للشركات المتنوعة في المنطقة الحضرية أيضًا احترام الالتزام بالمواعيد، وذلك لزيادة كفاءة التشغيل إلى أقصى حد.[1]

ومن ثم فقد اهتم زيمل بالتغيرات الاجتماعية الكبرى التي فجرها التصنيع في ألمانيا وباقي الدول الأوروبية الأخرى التي كانت تشهد عملية الانتقال السريع والمثير من الحياة القروية البسيطة إلى الحياة الحضرية المعقدة. ومن ثم سيجعل زيمل من المدينة الكبرى الحديثة موضوعا لدراساته، وسيعتبرها المجال الذي يستطيع فيه المجتمع التعبير عن نفسه بطريقة أشمل، والذي منه يمكن أن نستشف كل المنطق الذي فيه ومن خلاله يتحرك هذا المجتمع.[2]

والإضافة الكبرى لزيمل بالمقارنة مع علماء الاجتماع الآخرين هو سبقه للقول وبصراحة ووضوح أن هذه المدينة الكبرى اليوم وفي المستقبل تشكل وستظل تشكل المتغير المستقل المحدد لباقي المتغيرات الاجتماعية الأخرى.[3]

وفي هذا الإطار يذهب عبد الرحمان المالكي إلى أنه مع زيمل ستنتقل السوسيولوجيا من محاولة تعريف المدينة إلى تحليلها، ومن دراسة مدينة الماضي إلى دراسة مدينة الحاضر.[4] فقد ركز في تحليله للمدينة على صور التفاعل الاجتماعي، الذي يتجاوز الجانب الفيزيقي منه إلى الجانب الفكري والاتجاهات والمشاعر، ومن ثم يرى أن الاهتمام بالتفاصيل الديموغرافية والخصائص الفيزيقية للمناطق والمجاورات والضواحي يصبح مضيعة للوقت وعملا يهبط إلى مرتبة العبث. إن التحليل السوسيولوجي للمدينة يجب أن يتجه إلى دراسة

---

[1] David A. Karp, et al, **Being Urban, A Sociology Of City Life**, 3 edition, Praeger, Usa, 2015, p.24-25.

[2] عبد الرحمان المالكي، **مدرسة شيكاغو، ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة**، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2016، ص.40-41.

[3] عبد الرحمان المالكي، **مدرسة شيكاغو، المرجع السابق**، ص.50.

[4] عبد الرحمان المالكي، **مدرسة شيكاغو، المرجع السابق**، ص.36.

الصور النفسية للحياة الإنسانية في بيئة حضرية، وبإختصار تصبح عقلية (mentality) الحضري هي الموضوع الأساسي لهذا التحليل.[1]

ويذهب في تحليله لعقلية الفرد الحضري إلى أن ساكن الميتروبوليس يواجه دائما بالعديد من التوترات، وأن من المتعين عليه أن ينمي في ذاته (عقلية) تقيه عناصر البيئة الخارجية التي تحاول دائما اقتلاعه والإطاحة به، وتتمثل هذه العقلية في ضرورة أن يستجيب ساكن الميتروبوليس أو يتفاعل (بعقله) لا (بقلبه) لأنه إذا استسلم لعواطفه ومشاعره في تفاعلاته كان الضياع قدره لا محالة. إن البيئة التي من حوله تكثف لديه دائما ادراكاته وليس مشاعره أو عواطفه وتؤدي باستمرار إلى غلبة الذكاء وسيطرته. كما أن الذكاء، الذي يسير جنبا إلى جنب مع تخصص البيئة الحضرية، يصبح في نهاية الأمر من أهم الخصائص المميزة للمدينة. وفي المقابل يعمل التنظيم الاجتماعي للمدينة على تدعيم هذه العقلية المميزة....إن ما تتميز به حياة المدينة من تعقيد جعل سمات مثل (التوقيت) و(الدقة) و(الحساب) خصائص مميزة وجوهرية، هذا على المستوى التنظيمي أما على المستوى الفردي، فإن انجذاب ساكن الميتروبوليس نحو الآخرين يميل في نظره إلى الاتصاف (بالرسمية) و(التحفظ). أن الظروف التي تحيط بالمتروبوليس قد حولت حياة المدينة من صراع مع الطبيعة من أجل العيش والبقاء، إلى صراع ما بين البشر من أجل الربح أو الكسب.

وهكذا فإن المدينة تصنع عقلية أفراها التي بدورها تصنع المدينة مرة أخرى، الذي يتجلى في تنظيمها، وذلك من خلال ثلاث مستويات أساسية هي:

1 ـ المستوى المادي الهيكلي التخطيطي للمدينة الذي يلاحظ في المسكن أو الشارع أو الحي، أو المدينة ككل.

2 ـ المستوى الاقتصادي القائم على الصناعة والتبادل، وعلاقات المصلحة والمنفعة والتعاقد.

3 ـ مستوى المؤسسات الرسمية التي تنظم الحياة في المدينة، مثل مؤسسات الضبط وحفظ الأمن والسهر على مصالح السكان.[2]

ومن هذا المنطلق فقد تضمنت نظريته فكرتين أساسيتين هما الأولى وتدور حول مميزات المدينة والثانية ترتبط باستجابات سكانها.[3] حيث ركز جورج زيمل على تحديد خصائص الحياة الحضرية واستجابات ساكنيها، وذلك في ضوء جملة من المفاهيم المتعلقة بـ الأنماط السلوكية، التكيف الحضري، العلاقات غير الشخصية، انقسام الحياة الاجتماعية إلى مجالات منفصلة (الأسرة، العمل، الأصدقاء، ...الخ)، التنظيم العقلاني للوقت في المدينة، التنظيم العقلاني للنشاط (تقسيم العمل)، اللامبالاة، الانعزال والتحفظ الاجتماعي، وإذا كانت هذه المفاهيم تشكل في جوهرها خصائص الحياة الحضرية واستجابات ساكنيها لضغوط هذه الحياة الصعبة والمعقدة المستندة إلى العقلانية والواقعية.[4] ذلك أن المجتمع ينشأ من وجهة نظره من خلال التفاعل النفسي بين الكائنات الإنسانية كأفراد، وكأعضاء في جماعات.. وعلى هذا الأساس ركز زيمل على التمييز بين طبيعة العلاقات الاجتماعية من ناحية الشكل

---

[1] محمد بومخلوف، **التحضر، التوطين الصناعي وقضاياه المعاصرة الفكرية والتنظيمية والعمرانية والتنموية**، ط1، (الجزائر: دار الأمة، 2001)، ص.72.

[2] محمد بومخلوف، **المرجع السابق**، ص.73.

[3] سعيد ناصف، **علم الاجتماع الحضري، المفاهيم والقضايا والمشكلات**، ط1، (مصر: دار الكتب والوثائق القومية، 2006)، ، ص.65.

[4] إسماعيل قيرة، **علم الاجتماع الحضري ونظرياته**، (قسنطينة: منشورات جامعة منتوري، 2004)، ص: 05.

أو الصورة، وما تنطوي عليه من مضمون اجتماعي، لأن العلاقات التي تنشأ بين الأفراد في المجتمع كالصراع، والتنافس، والخضوع وتقسيم العمل، والتقسيم الطبقي وغيرها موجودة في مختلف ميادين الحياة الاجتماعية.[1]

ولهذا يرى أن أهم ما يميز المدينة الحديثة هو ما أطلق عليه تكثيف الإثارة النفسية والعصبية التي ينبغي على ساكن المدينة أن يتغلب عليها. وأن المدينة تهاجم الفرد باستمرار بأشكال مختلفة، وأنه لكي يسيطر الفرد على الموقف، فانه يتعلم أو يكتسب القدرة على التمييز الدقيق، بحيث يستطيع أن يتمشى مع ما هو هام، ويبتعد عن كل ما هو غير ذلك. ومن خلال هذه العملية يصبح سكان الحضر، وبمرور الوقت أكثر تفكيرا وعقلانية وواقعية من سكان الريف.[2]

ومن هذا المنطلق رأى زيمل– مثل من عاصروه- في ظهور العالم الحديث سببا للاهتمام بكيفية قدرة الفرد أو هل يمكن للفرد إبقاء روح الحرية والإبداع قلب العوامل الاجتماعية الشاملة. وذهب زيمل إلى أن الشخصية ستتعلم تكييف نفسها مع المدينة.[3]

أ ـ خصائص المدينة:

يعتبر تكثيف المؤثرات العصبية هو العنصر الوحيد للمدينة الحديثة الذي عمل على تفعيل التكيف، حيث يجب على ساكن المدينة أن يقاومها. فعلى عكس النظم الريفية حيث يكون رتم الحياة والتدفقات التخيلية الشعورية أكثر بطئا واعتيادا وحدوثا، فإن المدينة تمطر الفرد بصورة مستمرة بالكثير من الرؤى والأصوات والروائح، ومن أجل مقاومتها يجب أن يتعلم الفرد كيفية التمييز بينهما بدقة.[4]

ب ـ استجابة الفرد:

في البداية تساءل زيمل عن كيفية السلوك الحضري إزاء هذه المؤثرات الشاملة، والطلب المتزايد للاستجابة الرشيدة. فهل تستطيع التوقف عن مساعدة أي شخص تشاهده في الشارع؟ لا يعتقد زيمل ذلك. ونتيجة لذلك فقد ذهب إلى تكيف الإنسان الحضري مع حياة المدينة عن طريق تطوير ما أسماه الاتجاه "المتعجرف" – البديل الاجتماعي- وهو الانفصال. فالحال في المدينة هو أننا نستجيب بعقولنا وليس بقلوبنا ونتعلم أن نأخذ الاتجاه الواقعي نحو العالم حولنا، فنحن ببساطة لا نهتم ولا نريد أن نندمج.

وذهب إلى أنه ربما تزيد اللامبالاة الناتجة كضرورة للعيش في المدينة من العدائية المقاسة كجانب سيئ أخر. فقد ذكر أنه في الواقع لو أنني لا أخدع نفسي، فإن الجوانب الداخلية لهذا البديل الخارجي ليست اللامبالاة فقط، بل تكون في الغالب أكثر مما ندرك.[5]

ولهذا يرى زيمل أن الإفراط في الحافز النفسي يقود الناس إلى محاولة الدفاع عن أنفسهم بطرق سلبية رد الفعل العاطفي بالنسبة لمن يحيطون بهم في المدينة، وكدفاع ضد تعقيد الحياة الحضرية، يحاول الناس أن يعيشوا في علاقة غير عاطفية وعقلية، ووظيفية مع الآخرين، وهذا الدفاع يجعل الحياة منفصلة، وإذا حاول الناس أن يعيشوا حياتهم في الأسرة وفي العمل وفي الصداقة، فإنهم

---

[1] عبد الهادي محمد والي، **المدخل إلى علم الاجتماع**، (القاهرة: دار المصطفى للنشر والتوزيع، 2003)، ص.271.

[2] سعيد ناصف، **مرجع سابق**، ص.66.

[3] وجدي شفيق عبد اللطيف، **علم الاجتماع الحضري والصناعي**، (مصر: دار المصطفى للنشر والتوزيع، 2005)،، ص.54.

[4] وجدي شفيق عبد اللطيف، **المرجع السابق**، ص.54.

[5] وجدي شفيق عبد اللطيف، **المرجع السابق**، ص55-56.

يتحطمون عن طريق التعقيدات الكامنة في كل من هذه الوقائع التي يعيشونها في الوسط الحضري.[1]

ومن هذا المنطلق نجد أن زيمل سعى، لفهم ما فعلته الخبرة في المناطق الحضرية على طريقة تفكير الناس وتصرفهم. وأعرب عن اعتقاده بأن هناك إثنين من الميزات الهامة في الحياة الحضرية والمتمثلة في كيف يفكر سكان المدن وكيف يتصرفون؟ من شدة المؤثرات العصبية أو الضجة الكبيرة في المدينة، وإنتشار تأثير السوق على العلاقات الحضرية. حيث لاحظ أن سكان المدن ليس لديهم خيار سوى أن يصبحوا حساسين للأحداث والناس من حولهم. وعلل ذلك بـ: الازدحام السريع للصور المتغيرة، والانقطاع الحاد في فهم لمحة واحدة، وعدم توقع الانطباعات المتسارعة، وهذه هي الحالات النفسية التي تخلق المدينة، مع كل عبور للشارع. فمع تعدد وتيرة الحياة الاقتصادية والمهنية، والاجتماعية، المدينة تصبح في تناقض عميق مع بلدة صغيرة والحياة الريفية، فيما يتعلق بالأسس الحسية للحياة النفسية.. ومن ثم يجب أن يطور سكان الحضر الحقيقيون قدرة خاصة لتجنب التورط العاطفي في كل ما يحدث من حولهم. هذه القدرة تكمن في "الفكر" وتنميته بعناية ويظهر نفسه في موقف "اللامبالي"، "المحجوز دون قيد أو شرط للمدينة." وعلى النقيض من أولئك الذين يقيمون في المدن والقرى الصغيرة، الذين لديهم القدرة على احتضان بعضهم البعض في علاقات أكثر عمق وعاطفية، يجب على الكائنات الحضرية أن تفصل نفسها عن بعضها البعض. وقال زيمل عن طبيعة الرجل الحضري "إنه يتفاعل بعقله بدلا من قلبه".. هذا الميل نحو الاحتياط، الناجم عن كثافة الخبرة، يعززه الأساس الاقتصادي للحياة في المدينة. ففي الوقت الذي لاحظ فيبر المدينة كسوق، تسائل زيمل ما ستفعل الحياة في السوق للعلاقات الاجتماعية. وكان جوابه أنها جذبت الناس إلى علاقات تتسم بالتوتر والحسابات. وعلى ذلك كان زيمل يشك في أننا إذا تجرأنا على دراسة الخصائص المتحفظ عليها لسكان المدن عن كثب، فسنجد أنها مجرد غطاء للرفض، وحتى النفور المتبادل، الذي ينظر به الناس إلى بعضهم البعض في المدينة. ينبع هذا من الاستحالة المطلقة للانخراط اجتماعيًا مع الجميع في المدينة وأيضًا من "الحق في عدم الثقة..." بعد عزل المدن الكبرى وعزلها عن بعضها البعض بهذه الطريقة، قد يتوقع المرء أن يأس زيمل من الحالة الحضرية. لم يكن هذا هو الحال، مع ذلك. إذا كان الأفراد معزولين اجتماعيًا في المدينة، فهذا يعني أنهم قد تحرروا أيضًا من بعضهم البعض.[2]

ج ـ خلاصة لما يتعلق بالتنظيم الاجتماعي للحياة اليومية:

وحتى هذه اللحظة، كان ينبغي علينا أن نفهم بشكل أفضل كيفية تطور أنماط التفاعل في المدن ـ شبكات التفاعل الاجتماعي غير المقيدة مكانياً. يجب علينا أيضًا أن ندرك كيف يستخدم سكان المدن مؤسسات المدينة لتحقيق مصدر للهوية مع بعضهم البعض ومع المدينة نفسها. ومع ذلك، لم نفكر بعد في كيفية التعامل مع الأشخاص في المدينة، أو فهمهم، أو إدارة اللقاءات العامة المجهولة. إذا أردنا، الكشف عن أولئك الذين ندرسهم "في شروطهم الخاصة"، فعلينا أن نسأل كيف يتصور الأشخاص الحضريون ويتفاعلون مع زملائهم من الحضر على أساس يومي. في الأماكن العامة. بعد كل شيء، يتعامل سكان الحضر مع أعداد

---

[1] غريب محمد سيد احمد، **علم الاجتماع الحضري**، (الازاريطة: دار المعرفة الجامعية، 2006)، ص.25.

[2] William G. Flanagan, **Urban Sociology, Images and Structure**, 5 ed, (uk: Rowman & Littlefield Publishers, Inc, 2010), p.79.

كبيرة من الأشخاص يوميًا في شوارع المدينة، وفي وسائل المواصلات العامة، والانتظار في المحطات، وما إلى ذلك. شهد زيمل الإيقاع اليومي لحياة المدينة كما يؤثر بشكل مهم على علم النفس الاجتماعي للأشخاص في المناطق الحضرية.[1]

ومن ثم وباختصار فإن أهم طروحات زيمل في السوسيولوجيا الحضرية تتمحور في أساسها في:

1 ـ دراسة وتحليل الأسس النفسية التي تكمن وراء الحياة الحضرية (التوترات، العواطف، نوع الذكاء...الخ).

2 ـ دراسة التنظيم الاجتماعي الحضري.

3 ـ الروابط والجماعات المتباينة وتكاملها.

4 ـ تقسيم العمل.

5 ـ تطوير عقلية حضرية (تقوم على العد والحساب) لمواجهة ضغوط البيئة الحضرية.

6 ـ سيطرة اقتصاد المال الذي يتطلب الدقة في تقدير الأمور وحسابها.

7 ـ يحقق الميتروبوليس للفرد قدرا من الحرية الشخصية، كما يفسح المجال واسعا للتنافس والصراع من أجل الكسب.

8 ـ في الميتروبوليس تسيطر حالة الضياع، الاستجابات المعقلنة، العلاقات الجزئية، سيطرة البيروقراطية، إدارة السوق، هذه السمات الأساسية للحياة الحضرية هي نتاج ظروف حضرية ذات طبيعة نفسية واجتماعية في الأساس.[2]

5 ـ النقد الموجه لزيمل:

ومع ذلك فهناك اعتراضات كثيرة وانتقادات أثيرت حول تأكيده على أن علم الاجتماع يدرس الصور الاجتماعية، ويرون أن دراسة العلاقات الاجتماعية دراسة مجردة وردها لعناصرها الأولية يخرجها عن طبيعتها ويجردها من معانيها الاجتماعية، فتبقى غير ذات دلالة مادية أو شيئية.[3]

كذلك يرى النقاد أن تجريد العلاقات الاجتماعية وإرجاعها إلى عناصر أولية مجردة يقطع صلتها ويمزق وحدتها، لأن هذه العلاقات متداخلة ومتشابكة وسريعة التغير، ودائمة التفاعل. ومن الملاحظ أن كل تغير يصيب ناحية من نواحيها لا بد أن يتردد صداها في باقي العلاقات، فلا يمكن دراسة العلاقات منعزلة أو مجردة.[4]

وإذا كان زيمل قد أضاف البعدين الاجتماعي والنفسي، إلا أنه اهتم فقط بمدن في مكان وزمان واحد.[5] وكما قرأ Blumenberg زيمل، فقد تبين أن الحياة نفسها كانت عبارة عن تداول خالص اجتماعي وتفاعلي، وهي حلقة لا نهاية لها من الامتدادات وتكثيف القيمة الناشئة من خلال عمليات التبادل الاجتماعي.[6]

---

[1] David A. Karp, et al, **Being Urban, A Sociology Of City Life**, 3 edition, Praeger, Usa, 2015, p.87.

[2] إسماعيل قيرة، **علم الاجتماع الحضري ونظرياته**، (قسنطينة: منشورات جامعة منتوري، 2004)، ص.107-108.

[3] عبد الهادي محمد والي، **المدخل إلى علم الاجتماع**، (القاهرة: دار المصطفى للنشر والتوزيع، 2003)، ص.278.

[4] عبد الهادي محمد والي، **المرجع السابق**، ص.278.

[5] سعيد ناصف، **علم الاجتماع الحضري، المفاهيم والقضايا والمشكلات**، ط1، (مصر: دار الكتب والوثائق القومية، 2006)، ص.84.

[6] Hans Blumenberg, **Money or Life: Metaphors of Georg Simmel's Philosophy**, Theory, Culture & Society 29(7/8) 249–262! The Author(s) 2012 Reprints and permissions: sagepub.co.uk/journalsPermissions.nav DOI: 10.1177/0263276412455230 tcs.sagepub.com, p.249.

مراجع المحاضرة:

1. احمد الخطابي، **نظرية المجال عند جورج زيمل، المجال بوصفه شرطًا قبليًا للبناء وإعادة البناء الاجتماعي**، مجلة عمران، المجلد09، العدد35.
2. جان بيير دوران وروبرت ويل، **علم الاجتماع المعاصر**، ترجمة ميلود طواهري، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2019.
3. إسماعيل قيرة، **علم الاجتماع الحضري ونظرياته**، (قسنطينة: منشورات جامعة منتوري، 2004).
4. سعيد ناصف، **علم الاجتماع الحضري، المفاهيم والقضايا والمشكلات**، ط1، (مصر: دار الكتب والوثائق القومية، 2006).
5. السيد رشاد غنيم والسيد محمد الرامخ ونادية محمد عمر، **النظرية المعاصرة في علم الاجتماع**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
6. شحاتة صيام، **النظرية الاجتماعية من المرحلة الكلاسيكية الى ما بعد الحداثة**، مصر العربية للنشر والتوزيع، 2009.
7. عبد الرحمان المالكي، **مدرسة شيكاغو، ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة**، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2016.
8. عبد الهادي محمد والي، **المدخل إلى علم الاجتماع**، (القاهرة: دار المصطفى للنشر والتوزيع، 2003).
9. غريب محمد سيد احمد، **علم الاجتماع الحضري**، (الازاريطة: دار المعرفة الجامعية، 2006).
10. محمد بومخلوف، **التحضر، التوطين الصناعي وقضاياه المعاصرة الفكرية والتنظيمية والعمرانية والتنموية**، ط1، (الجزائر: دار الأمة، 2001).
11. محمد شهاب، **رواد علم الاجتماع**، (كتب عربية).
12. محمود أبو زيد، **أعلام الفكر الاجتماعي والانثروبولوجي المعاصر**، ج3، (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 1998).
13. وجدي شفيق عبد اللطيف، **علم الاجتماع الحضري والصناعي**، (مصر: دار المصطفى للنشر والتوزيع، 2005).
14. David A. Karp, et al, **Being Urban, A Sociology Of City Life**, 3ed, Praeger, Usa, 2015.
15. Hans Blumenberg, **Money or Life: Metaphors of Georg Simmel's Philosophy**, Theory, Culture & Society 29(7/8) 249–262! The Author(s) 2012 Reprints and permissions: sagepub.co.uk/journalsPermissions.nav DOI: 10.1177/0263276412455230 tcs.sagepub.com.
16. Jean-marc Stebe, Herve Marchal**, la sociologie urbaine,** que sais-je ?, puf.
17. Mesure Sylvie. **Sociologie allemande, sociologie française : la guerre a eu lieu**. In: Espaces Temps, 53-54, 1993. Le rendezvous allemand. Sciences sociales début du siècle : Dilthey, Weber, Elias.
18. William G. Flanagan, **Urban Sociology, Images and Structure**, 5 ed, (uk: Rowman & Littlefield Publishers, Inc, 2010).

المحاضرة الثالثة
المدينة عند موريس هالبواش

مقاربة **Maurice Halbwachs** للمرفولوجية الحضرية,
للعلاقة بين المضاربة العقارية ومخططات التهيئة الحضرية،
الذاكرة الجماعية و علاقتها بالإقامة....

المحاضرة الثالثة

المدينة عند موريس هالبواش

مقاربة **Maurice Halbwachs** للمرفولوجية الحضرية, للعلاقة بين المضاربة العقارية ومخططات التهيئة الحضرية، الذاكرة الجماعية و علاقتها بالإقامة....

تمهيد:

1 ـ التعريف بموريس هالبواش (1877- 1945):

2 ـ موريس هالبوش وعلم الاجتماع الفرنسي (1945-2015).

3 ـ هالبواش، دور كايم والنهج المورفولوجي:

4 ـ هالبواش، بيرجس ومدرسة شيكاغو:

5 ـ هالبواش والتحول من المورفولوجيا الحضرية إلى المورفولوجيا الاجتماعية:

6 ـ هالبواش والمدينة:

1.6 ـ المدينة، والمِزاج (الشكل) الاجتماعي:

2.6 ـ المدينة كتعبير عن الاحتياجات الجماعية:

3.6 ـ سوق الأراضي، انعكاس للتمثيل الجماعي للفضاء:

4.6 ـ التحولات الحضرية والجهات الفاعلة فيها:

7 ـ هالبواش والطبقات الاجتماعية:

8 ـ هالبواش والذاكرة:

1.8 ـ هالبواش من الذاكرة الفردية إلى الذاكرة الجماعية:

2.8 ـ هالبواش الذاكرة كمحاولة لتملك الماضي:

3.8 ـ هالبواش الذاكرة الجمعية، الزمن والمكان:

9 ـ هالبواش، الذاكرة الجماعية والهوية:

1.9 ـ الذاكرة الجماعية والفضاء، يدعمان الهويات الجماعية:

2.9 ـ الذاكرة والهوية عند هالبواش:

10 ـ النقد الموجه لهالبواش:

مراجع المحاضرة:

تمهيد:

تهدف هذه المحاضرة إلى التعريف بموريس هالبواش (1877- 1945)، وعلاقته بكل من علم الاجتماع الفرنسي والأمريكي، ومن ثم التطرق إلى التحول من المورفولوجيا الحضرية إلى المورفولوجيا الاجتماعية، مرورا بتصور هالبواش للمدينة، باعتباره شكلا اجتماعيا، وكتعبير عن الاحتياجات الجماعية، وأن سوق الأراضي، ما هو إلا انعكاس للتمثيل الجماعي للفضاء، باحثا عن الجهات الفاعلة فيها. ثم نظرته للطبقات الاجتماعية. ثم نقف بعدها عند الذاكرة، وتحوله من الذاكرة الفردية إلى الذاكرة الجماعية، وأن الذاكرة عنده ما هي إلا محاولة لتملك الماضي. لنقف بعدها أيضا عند علاقة الذاكرة الجماعية بالهوية كما يتصورها هالبواش انطلاقا من كون الذاكرة الجماعية والفضاء، يدعمان الهويات الجماعية، وانتهاء بالنقد الموجه لهالبواش.

1 ـ التعريف بموريس هالبواش (1877- 1945):

ولد موريس هالبواش في مدينة ريمس سنة 1877.[1] وهو فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي، "من أصول ألمانية يهودية".[2] خضع في تكوينه الفكري لرجلين أكبر منه بخمسة عشر أو عشرين عام: هما برغسون ودور كايم. فتتلمذ على يد الأول، وأصبح واحدا من المساعدين والمتابعين لأعمال الثاني. إن البناء الشخصي لهذا التأثير المزدوج، يفسر أصالته، التي تشكل نقطة وصل بين الحدسي، والخضوع لمتطلبات الوقائع الاجتماعية.[3] وهو ما أهله فيما بعد ليشارك، جوريس في صحيفة الاوماتينيه، وفي دفاتر الاشتراكية.[4] ذلك أنه، ومثل موس وزيمل، ناظر هالبواش بين التزامه الاشتراكي والنظريات الاقتصادية الجديدة، لأن ما يؤسس في نظره خلق القيمة اجتماعيا هو التبادل، وليس العمل والإنتاج.[5] وهو ما مكنه من أن يترسخ منهجه، واستندت معظم أبحاثه إلى معطيات إحصائية قادرة على تشكيل قاعدة صلبة لتفحص الوقائع الاجتماعية المعاصرة.[6]

2 ـ موريس هالبوش وعلم الاجتماع الفرنسي (1945-2015).

يذهب البعض إلى أنه بين الفلسفة وعلم الإحصاء، بين القيمة والظاهرة، وبين المعنى والعدد، انتشر عمل هالبواش بصفته، عقلانية تجريبية.. ولأجل ذلك تحاول أطروحة هالبواش تجديد التقليد الاشتراكي من خلال دور كايم، فالتحقق التجريبي من نظرية استلاب الطبقة العاملة برهان على أنها طبقة موكلة في مواجهة المادة فهي مقصاة خارج المجتمع أو مستلبة للمجتمع.[7] وفي الفترة ما بين سنة 1925 وسنة 1940 وبمعية موس واصل هالبواش تجديد المدرسة السوسيولوجية الفرنسية، حيث كان الحديث بحق عن دوركايمية ثانية حقيقية بدليل أن المجتمعات تبقى بصفة أساسية، كما عند دوركايم، نسقا من التمثلات الجماعية وإن

---

[1] جان بيير دوران وروبرت ويل، **علم الاجتماع المعاصر**، ترجمة ميلود طواهري، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2019، ص.142.

[2] زهير سوكاج، **مراجعة كتاب الذاكرة الجمعية لموريس هالبفاكس**، مجلة تبين، المجلد 09، العدد 33، 2020، ص.176.

[3] موريس هالبواك، **المورفولوجيا الاجتماعية**، ترجمة حسين حيدر، ط1، (بيروت: منشورات عويدات، 1986)، ص.07.

[4] موريس هالبواك، **المرجع السابق**، ص.11.

[5] جان بيير دوران وروبرت ويل، **مرجع سابق**، ص.142.

[6] موريس هالبواك، مرجع سابق، ص.09.

[7] جان بيير دوران وروبرت ويل، **المرجع السابق**، ص.142.

كانت الذاكرة الجماعية مهيكلة بمفاهيم تشكل صورا ومصطلحات في ذات الوقت. فاقترح هالبواش تحيين فكر دوركايم.[1]

ومع ذلك فقد عرفت ذكرى موريس هالبواش ثلاث فترات متميزة منذ وفاته، وفقًا لإيقاع أخباره الافتتاحية: أولاً، من عام 1945 إلى عام 1955، محاولة الإنقاذ، والتي تحاول وفقًا لأساليب مختلفة، تمييزها عن "المدرسة الاجتماعية الفرنسية" من أجل تأقلمها بشكل أفضل مع التوجهات الجديدة لعلم الاجتماع في عملية إعادة اختراع نفسه؛ ثم، بين عامي 1964 و1976، والانقسام بين تجديد قراءات ما بعد الحرب، وإعادة الكتابة التاريخية في أعقاب دوركهايم. أخيرًا، منذ مطلع تسعينيات القرن الماضي، وفي ضوء الحماس لمفهوم الذاكرة الجماعية، هناك منطق جديد للتمييز يحاول تبرير إستثنائية بحثه.[2]

والبداية كانت مع إنقاذ هالبواش (1945-1955) أو إعادة اختراع: حيث أدت السنوات العشر التي أعقبت وفاته على الفور إلى تحول جذري في طريقة توصيف عمله.[3]

ثم التوصيف بعودة "دوركهايم" (1964-1976) وذلك مع إعادة إصدار الخطوط العريضة لعلم نفس الطبقات الاجتماعية (1964)، والذاكرة الجماعية (1968)، والتشكيل الاجتماعي (1970)، والتضاريس الأسطورية للأناجيل في الأرض المقدسة (1971)، والأطر الاجتماعية لـ الذاكرة (1976)، إعادة طبع الطبقة العاملة ومعايير الحياة (1970)، تكوين مجموعة من المقالات تحت عنوان الطبقات الاجتماعية والمورفولوجيا (1972)، ونشر العديد من النصوص المتعلقة به، أخبار هالبواش بين عامي 1964 و1976، بعد تسع سنوات من النقص التحريري، تعبر عن تجديد الاهتمام بعلم الاجتماع الدوركهايمي. مدفوعًا بالاحتياجات المرتبطة بتدريس نظام ما في إضفاء الطابع المؤسسي الكامل، فإن هذا الإحياء، الذي هو على الأقل جزئيًا، يمثل إعادة اكتشاف عبر الولايات المتحدة، يمتد إلى فترة يُنظر إليها على أنها "العصر الذهبي" على المستوى الأكاديمي وتطور الحركة الانعكاسية التي تهم جميع العلوم الإنسانية.[4]

لتجدد بعدها النظرة إليه كمؤسس جديد: التكريس (منذ 1994) وكل ذلك مع الحماس لفكرة "الذاكرة الجماعية"، التي حملها المؤرخون في البداية، ولكنها رسخت نفسها كواحدة من الكلمات الرئيسية للعصر المعاصر، مما يشير إلى تطور شكل جديد من أشكال الماضي، السيد هالبواش أصبح للمرة الأولى "ماضً ملائمًا أو ذي صلة" حقيقيً للعلوم الإنسانية ككل، وعلم الاجتماع على وجه الخصوص، حساسا بالفعل في بداية التسعينات.[5]

وبعدها تسارعت الحركة خلال هذا العقد، مع إعادة إصدار الأطر الاجتماعية للذاكرة في عام 1994 ونشر العمل الأول المتعلق بها. نشر وقائع الندوة الأولى المخصصة لها في عام 1999، وكان ملف "موريس هالبواش والعلوم الإنسانية في عصره"، الذي افتتح به في: Revue d'histoire des sciences sociales، يرمز بالفعل إلى التغيير في مكانة عالم

---

[1] جان بيير دوران وروبرت ويل، **مرجع سابق**، ص.144.

[2] Thomas Hirsch, **Une vie posthume Maurice Halbwachs et la sociologie française (1945-2015),** Revue française de sociologie, 2016/1 Vol. 57 | pages 71 à 96, p.71.

[3] Thomas hirsch, **ibid** p.74.

[4] Thomas hirsch, **ibid**, p.77.

[5] Thomas hirsch, **ibid**, p.79.

الاجتماع. ومنذ ذلك الحين، اتبعت عمليات إعادة الإصدار والأعمال الجماعية والمقالات بعضها البعض بخطى ثابتة.[1]

3 ـ هالبواش، دور كايم والنهج المورفولوجي:

ميز عالم الاجتماع الفرنسي موريس هالبواش (1877-1945) نفسه داخل المدرسة الدوركهايمية من خلال كتاباته حول التشكل الاجتماعي واستخدامه المكثف والنقدي للإحصاءات مما دفعه إلى تطوير حوار مع العلوم الاجتماعية الأخرى. من هذا النهج المثمر متعدد التخصصات ولدت نظرية مبتكرة للطلب على المساكن وأسعارها.[2]

ففي الإصدار الثاني لعلم الاجتماع لسنة (1899)، قال دوركهايم أن مورفولوجية المجتمع تتوافق مع الركيزة التي تقوم عليها الحياة الاجتماعية. يتم تحديد هذا الأخير في حجمه كما في شكله من قبل جماهير الأفراد الذين يشكلون المجتمع، والطريقة التي يتم ترتيبهم بها على الأرض، وطبيعة وتشكيل الأشياء من جميع الأنواع التي تؤثر على العلاقات الجماعية. ويتكون التحليل المورفولوجي على وجه التحديد من دراسة الأشكال المادية والاجتماعية لهذه الركيزة من أجل فهم دقيق لتأثير البيئة على الوعي الفردي وبشكل أفضل. بالنسبة لدوركهايم، كل شيء ترسخ في "قالب محدد" (مادي، قانوني، سياسي وأيديولوجي) من المرجح أن يكون موضوع علم التشكل الاجتماعي.[3]

وعلى هذا، يمثل المنظور المورفولوجي مساهمة إرشادية لا يمكن إنكارها لعلم الاجتماع الحضري عندما يتألف من إبراز، في سياق دوركهايم، "التأثيرات البيئية"، أي التأثيرات الناتجة عن خصوصيات سياق حياة الأفراد. تكوين المجموعات الاجتماعية، وتوزيعها الإقليمي، وطبيعة المرافق، الذكريات المرتبطة بمكان كذا وكذا هي "عوامل نشطة" كثيرة جدًا (دوركهايم) والتي ستؤثر على ظروف تنفيذ الأفعال الإنسانية.[4]

وبالعودة إلى هالبواش نجده يتحفظ على تحليل دوركهايم المورفولوجي للكيفية التي يتم بها ترتيب السكان على الأرض، والهجرات الداخلية في المدينة، وشكل التجمعات والمساكن. مؤيدا لدوركهايم، هالبواش يبدأ من الخارج من أجل فهم الفرد: من هذه الحجارة التي حافظت على ذكرى الرجال الذين سبقونا، من هذه التمثيلات الجماعية المنقوشة في مادية العالم (الكنائس، وسائل الاتصال) أو حتى تلك المؤسسات، والتي بعيدا عن كونها مجرد أفكار مجردة. يجب فهمها على مستوى الأرض، والتي كلها محملة بالمادة. ومع ذلك، فإن هذا الممثل البارز للمدرسة الدوركهايمية يتميز عن دور كايم بمعنى أنه لا يخلط بين الركيزة المادية للمجتمع وبنية هذا المجتمع، وبالتالي التمييز بين التشكل المادي والتشكيل الاجتماعي. يمكن فهم دراسة الأشكال الصلبة للمجتمع من وجهتي النظر هاتين فيما يتعلق بما تكشف عنه: البنية المورفولوجية للعالم الاجتماعي، المرئي (التوزيع المكاني للسكان، وكثافة وحجم الوحدات البشرية) وغير المرئي (تمثيلات جماعية). تظهر المساحة المادية هنا كإطار عمل يوحد المجموعة الاجتماعية من خلال المساعدة في تثبيت ذاكرتها الخاصة. هذا هو السبب في عدم الخلط بين الفضاء الديني، على سبيل المثال، مع الفضاء الاقتصادي. يفتح هالبواش

---

[1] Thomas hirsch, **ibid**, p.80.

[2] Benjamin Vignolles**, Maurice Halbwachs: vers une théorie sociologique des prix et des besoins immobiliers**, Regards croisés sur l'économie 2011/1 (n° 9), p. 228.

[3] Jean-marc Stebe, Herve Marchal**, la sociologie urbaine,** que sais-je ?, puf, p.24.

[4] Jean-marc Stebe, Herve Marchal**, ibid**, p.25-26.

في النهاية منظورًا نظريًا مثمرًا يدعونا لدراسة علاقة المجموعات الاجتماعية بالفضاء المادي.[1]

4 ـ هالبواش، بيرجس ومدرسة شيكاغو:

في عام 1930، أمضى عالم الاجتماع الفرنسي موريس هالبواش فصلًا دراسيًا في جامعة شيكاغو. كانت هذه الإقامة فرصة له لتحقيق العديد من الاكتشافات: المدينة وتنظيمها، التقسيم المهم للعمل، وكذلك العادات المحلية التي هي مواضيع دهشة لا تنتهي. لكن اللقاء مع أقرانه هو الذي أثار أعظم المفاجآت فيه. إن وفرة الموارد وأغراض دراسة زملائه أو الأساليب التي يلجئون إليها تتركه ممزقاً بين الاهتمام والحيرة. وحول المدينة Middletown، وهو موضوع كلاسيكي في دراسات المجتمع، كتب أن التحليل "غالبًا ما يكون هزليًا، ولكنه شامل وحيوي". كما أنه يرفض متابعة أحد الباحثين في رحلاته الميدانية التي يعتبرها خطيرة للغاية. من بين زملائه علماء الاجتماع، كتب أنهم "أكثر تسلية من مارك توين"، لكنهم ليسوا علميين حقًا. تدرب في مدرسة دوركهايم، وهو منزعج بشكل خاص من الافتقار إلى الدقة في أساليبهم وعدم لجوئهم إلى الإحصائيات. هذا لا يمنعه في نهاية الفصل الدراسي من الكتابة عن اثنين من الشخصيات البارزة في القسم، روبرت بارك وإرنست بيرجس، بأنهما "أصليان تمامًا" ولكنهما "يبدوان أنهما جاهلين تمامًا بكل نظرياتنا". ويختتم الزائر: "أحبهم، أنا معجب بهم قليلاً".[2] ومن ثم فقد كانت هذه الرحلة "فرصة للتعاون مع باحثين مشهورين في علم البيئة الحضرية. إنها أيضًا فرصة له لاكتشاف عالم عمل جديد يسمح له بتحديث بياناته".[3] وفي الإجمال لقد تغير الكثير منذ أن زار هالبواش شيكاغو. من بين أمور أخرى، سيكون علماء الاجتماع الفرنسيون بلا شك أقل سرعة في انتقاد زملائهم عبر المحيط الأطلسي بسبب عدم كفاءتهم في استخدام الإحصائيات أو افتقارهم إلى الخطاب العلمي.[4]

ومع هذا، وعلى الرغم من أن هالبواش كان قد أدخل عمل مدرسة شيكاغو إلى فرنسا في وقت مبكر من ثلاثينيات القرن الماضي، فقد اكتشف هذا الأخير حقا في أواخر السبعينات. في سياق يصبح فيه المحلي مقياسا جديدا للعمل على تنظيم الحياة الاجتماعية، وحيث تنخفض التحليلات من حيث العلاقات الاجتماعية الطبقية لصالح علم الاجتماع العلاقات بين الأفراد والفاعل الاجتماعي.[5]

وفي هذا الإطار، وبعد بضع سنوات، عمل هالبواش (1979) على مخطط بيرجيس وقام بتعديله. ووفقًا له، فإن هذا الرسم البياني ليس سوى التمثيل التركيبي والبيدغوجي لتطور معين في شيكاغو. لذلك من الضروري أن يقوم هالبواش بتوطينها من خلال إعطائها تناسقًا جغرافيًا وبعدًا ملموسًا. من هذا المنظور، يستخدم مخطط بيرجس، لكنه يعدل عنوان وقائمة المناطق السكنية، وقبل كل شيء تأهيل كل منطقة من وجهة نظر إحصائية ومكانية ونمط حياة. عن طريق استبدالها بتمثيل جغرافي، وإلى جانب ذلك يزيل هالبواش كل ما يتعلق بحجمها وقيمتها التعميمية من نموذج المركز الإشعاعي. المخطط الجديد الذي توصل إليه

---

[1] Jean-marc Stebe, Herve Marchal**, ibid**, p.24-25.

[2] Angèle Christin Etienne Ollion, **La sociologie aux Etats-Unis aujourd'hui,** la découverte, p.03.

[3] Lassave Pierre. Christian Baudelot, Roger Establet, **Maurice Halbwachs, consommation et société**, collection Philosophies, 1994. In: Les Annales de la recherche urbaine, N°66, 1995. Régularisations de propriétés. pp. 139-140;

[4] Angèle Christin Etienne Ollion, op.cit, p.03.

[5] Jean-marc Stebe, Herve Marchal**,** op.cit, p.28.

عالم الاجتماع الفرنسي كما يخبرنا جان بيير بوليه (2005)، يشبه "خريطة طريق" أكثر من نموذج توضيحي نظري. عمليات التمدد (التوسع) والتعدي "الغزوات" والموجات المتتالية من الاستيطان، التي جعلت خصوصية نهج بيرجس تتلاشى تحت قلم هالبواش: يصبح اقتراح قراءة ديناميكية لسكان المدينة والقابلة للتعميم تمثيلًا ثابتًا وفريدًا لـ مجتمعات شيكاغو العرقية في الفضاء الحضري في عشرينيات وثلاثينيات القرن الماضي. وفي هذا الصدد، يوضح كريستيان توبالوف (2006 أ) وماري هيلين باكيه وجان بيير ليفي (2009) أن هالبواش يتخلى عن أطروحة التوسع الحضري كعملية استقلاب (جميع التحولات الكيميائية والبيولوجية التي تحدث في الجسم)، لصالح تحليل من حيث التمثيل المرضي (من المرض - pathologique-) للتركيزات المكانية للمجتمعات العرقية التي تم الاقتراب منها. كمجموعات عرقية بهيكلية هرمية في المجتمع والمدينة. لذلك تم بالفعل التعبير عن رؤيتين لعملية الفصل العنصري بين الحربين العالميتين، على جانبي المحيط الأطلسي، وهو ما يشهد بالتأكيد على أن هالبواش، خلال إقامته القصيرة، ظل أعمى عما قاله علماء الاجتماع في شيكاغو بفعله... الخوض في حياة المجموعات، ولكن مما يجعل دراسة عالم الاجتماع الفرنسي مؤشرا فعالا بشكل خاص للغموض الذي يحيط بمفهوم الفصل.[1]

5 ـ هالبواش والتحول من المورفولوجيا الحضرية إلى المورفولوجيا الاجتماعية:

بالنسبة لهالبواش فإن التعبير مورفولوجيا يعني "علم الشكل، وهو جزء من البيولوجيا (علم الإحياء)، ويدرس شكل وبنية الأجسام الحية، وتكوين أشكال وبنى جديدة".[2] ففي كتابه معالم سيكولوجية الطبقات الاجتماعية في طبعته الأولى لعام 1938، الذي يحمل في الواقع، العنوان الأكثر وضوحا لتحليل المحركات الفاعلة التي توجه نشاط الأفراد في الحياة الاجتماعية، وتكون هذه المحركات هي ذاتها المحركات لنشاط الجماعات التي تنتمي إليها، بشكل واع أولا. فالظواهر الديموغرافية الهامة من حيث الوفيات الاجتماعية أو الخصوبة المتباينة، داخل جماعات أكثر اتساعا، مثل التغيرات من أمة إلى أخرى، لا تفسر بغير ذلك. وتكون بواعثنا الأكثر فردية، والأكثر ذاتية، بدون علم منا، موجهة من الخارج (بقوة تصدر عن كونها توجد فينا مجددا)... ذلك أن الأشكال المادية للمجتمع تضغط عليه... بالوعي الذي تكونه عنه...فهناك نوع من الفكر أو الإدراك الاجتماعي، يمكن تسميته معطى مباشرا للوعي الاجتماعي... في هذه الأشكال المادية (تحفظ كل خبرة المجتمع واندفاعاته).[3]

وانطلاقا من كون الموفولوجيا بحسب دور كايم تعني الأشكال الملموسة والمادية للمجتمعات، ولا تكمن الموفولوجيا الاجتماعية في علم مبسط من الملاحظة، لوصف هذه الأشكال دون عرض بياني لها، بل يمكن ويجب أن تكون تفسيرية....، ويجب أن تتساءل عن ما هية قوانين تطورها. وتلك هي نقطة الانطلاق، التي قادت هالبواش إلى طرح المورفولوجيا الاجتماعية الدينية والسياسية والاقتصادية، بالمعنى الواسع.[4]

ومن هذا المنطلق يرى هالبواش أن المورفولوجيا الاجتماعية، بمفهومها الواسع، تتجاوز المفهوم الدوركايمي الضيق إلى المورفولوجيا الدينية والاقتصادية والسياسية. وبالتالي،

---

[1] Jean-Marc Stébé, Hervé Marchal, Introduction à la sociologie urbaine, 2 eme, Paris, Armand Colin, 2019, P.84.

[2] موريس هالبواك، **المورفولوجيا الاجتماعية**، ترجمة حسين حيدر، ط1، (بيروت: منشورات عويدات، 1986)، ص.05.

[3] موريس هالبواك، **المرجع السابق**، ص.10.

[4] موريس هالبواك، **المرجع السابق** ، ص.13.

فالمورفولوجيا الاجتماعية، في مفهومها الحق، هي علم السكان، بما فيه الأرض (القارات والبلدان)، والكثافة السكانية، والهجرة الداخلية والخارجية، والتوزيع حسب السن والجنس، وإحصاء المواليد والزيجات والوفيات، وتطور السكان وتجددهم، وعلاقة السكان بالمؤن. ويعني هذا أن هالبواش يرى أن المورفولوجيا الاجتماعية هي القاعدة المادية للمجتمع. ومن ثم، تتشكل هذه القاعدة من الأفراد أو السكان. وبعد ذلك، يبين طريقة توزيعهم فوق الأرض، وحجم هذه الساكنة وسعتها وكثافتها وامتدادها، مع رصد جميع الأشياء التي تتحكم في العلاقات الاجتماعية. علاوة على استحضار مختلف الظواهر الجغرافية، والظواهر الديموغرافية، وما يتعلق بالثروات والتقنيات التي تغير المكان لصالح الساكنة. وفي الأخير، توصل هالبواش إلى نتائج معينة تتعلق بتعارض الثابت والمتغير وتمايزهما. ومن ثم، لم يقتصر اهتمام موريس هالبواش على ما هو مادي ومجتمعي، بل تجاوز ذلك إلى وضع أسس المورفولوجيا البيئية أو الإيكولوجية.[1]

وعلى ذلك، ففي الناس والمسارات في باريس لمدة مئة عام (1928)، يهتم هالبواش بالتفاعلات بين تحركات السكان وتحولات الأشكال الحضرية داخل باريس التي بالكاد خرجت من موجات كبيرة من التجديدات الهوسمانية. وعلى النقيض من المقاربات السياسية التي كان من المفترض أن تهدف جهود التنمية العامة داخل العاصمة بموجبها إلى صد وتفريق الطبقات العاملة المتزايدة العدد والمهددة خارج المناطق المركزية لباريس، فإنه يوضح، من خلال فحص دقيق وشامل، أن في كل شارع اختراق جديد يستجيب في الواقع للاحتياجات الموجودة مسبقا من حيث التبادلات.. وتداولها فيما يتعلق بتهيئة المنطقة -الحي- (مركز تسوق، قناة اتصال بين محورين نقل كثيفين وغير متصلين، واجهة بين حيين تكميليين من وجهة نظر مواردهما ...). وقد ساهمت هذه التطورات في التأكيد على المركزية الاقتصادية والاجتماعية لهذه الأحياء، التي استولت عليها تدريجيا الطبقات الوسطى والعليا الأكثر ميلا لاستهلاك الأراضي والمضاربة من الطبقات العاملة، التي تتجمع تدريجيا في الأحياء الأقل عرضة نسبيا لارتفاع أسعار العقارات مع مرور الوقت.. وبناء على ذلك، يضع موريس هالبواش إطارا تحليليا متماسكا يجعل الطلب على المساكن وأسعارها تعبيرا عن ندرة واحتياجات يتم بناؤها ونشرها اجتماعيا، وترتبط بمورفولوجيا حضرية يكون ظهورها وإدامتها جزءا من تكوين المواقف الاجتماعية والعلاقات بين الطبقات.[2]

6 ـ هالبواش والمدينة:

1.6 ـ المدينة، والمِزاج (الشكل) الاجتماعي:

من المعلوم أن توزيع الأنشطة وأماكن السلطة، والفصل بين المساحات السكنية والاقتصادية، وأشكال الإسكان والاستيطان هي تعبير عن المجتمع، عن معاييره، قيمه وعاداته. لقد تساءل كل من يتدخل في إنتاج الفضاء عن الطريقة التي يعزز بها أو يقضي على الفئات الاجتماعية التي تعيش أو ستعيش فيه. وفي هذا الإطار يشير موريس هالبواش، أحد رواد علم الاجتماع الحضري، إلى أن "المجتمع مندمج في العالم المادي، ويجد الفكر

---

[1] جميل حمداوي، **المورفولوجيا الاجتماعية** تاريخ الإضافة: 2015/9/3، أطلع عليه بتاريخ 2022/03/24، الساعة 09.30
رابط الموضوع: http://www.alukah.net/culture/0/91294/#ixzz58bI28TyA

[2] Benjamin Vignolles, op.cit.

الجماعي في التمثيلات التي تأتي إليه من ظروفه المكانية مبدأ الانتظام والاستقرار". وتنشأ علاقة متبادلة بين تماسك المجموعات الاجتماعية والفضاء الذي ينتجه المجتمع.[1]

ولهذا يذهب هالبواش إلى أنه لا شيء يوجد في الحياة الاجتماعية، كما في الحياة العضوية، وفي انتظام المادة، دون شكل أو حجم يمكن رؤيتهما أو قياسهما. وليس للمجموعة من واقع إلا لأنها تخلق بنية تتجسد فيها. ويقول بعد ذلك أنه بعد بلورة الأشكال المادية، تتطور حسب ديناميتها الخاصة، وبهذا ذاته تقاوم التغير، وهكذا يفسر تكون المدن الكبيرة، فيجري تثبيت حدود المدينة، وتنظيم دخول النازحين إليها. ومع هذا فإن دور القوى الديموغرافية يفلت من المراقبة ويفسد كل حسابات المجالس والإدارات، وتأخذ المدن نسبا غير متوقعة، تحت تأثير جاذبية ليست مادية فقط، بل سيكولوجية.. وأما في التجمعات الأصغر، من الأوساط المهنية أو الطبقات الاجتماعية، فإنها تزداد أو تنقص حسب الموقع الذي تشغله، وتقصد الفوز به أو المحافظة عليه. ففي كل تجمع تتموضع في الواقع العادات، إلى جانب الحاجات والأذواق، وتتواجد قواعد العمل والتصورات.[2]

والواقع أن أفكار الناس ومشاعرهم وتصرفاتهم تتغير تبعا لكثافة وتكاثر العلاقات بينهم، وفي هذه الحال فإن القرب بين الناس يقدم دليلا على كثافة المجتمع، وتؤدي هذه الكثافة إلى وقائع نفسية خاصة، ولعل درجة القرب بين الناس تؤثر أيضا في حالات الولادة والوفاة والزواج، ولذلك فإن مجموع الوقائع الديمغرافية ترتبط مع كثافة السكان ارتباط السبب بالنتيجة والنتيجة بالسبب.[3] ولذلك فدراسة العلاقة بين البناء الاجتماعي والبيئة الفيزيقية، وخاصة الصورة المادية التي تميز البناء الاجتماعي لمجتمع معين في بيئة فيزيقية محددة، وفي ضوء نماذج التوزيع المكاني أو نماذج السكان والخدمات، والكثافة السكانية وغير ذلك، وقد صك إميل دو ركايم هذا المصطلح وهو يشبه المفهوم السوسيولوجي المألوف الأيكولوجيا البشرية.[4]

2.6 ـ المدينة كتعبير عن الاحتياجات الجماعية:

في تعليقه على خطة باريس، يرى هالبواش فيما يخص التعبير عن الاحتياجات الجماعية أنه "لا يتم تفسير التغييرات في البنية السطحية لباريس بالتصاميم المنسقة لشخص واحد أو أكثر، برغبات معينة، ولكن من خلال الميول أو الاحتياجات الجماعية التي يلبيها البناءون، والمهندسون المعماريون، والمحافظون، والمجالس البلدية، ورؤساء الدول، دون أن يأخذوا بضميرًا مرتاحًا من هذه القوى الاجتماعية، وأحيانًا وهم يتوهمون أنهم استلهموا من مفاهيمهم الخاصة."... باختصار، وفقًا لموريس هالبواش، تعكس الخطة الاختيارات الواعية أو اللاواعية للمجتمع الذي يبني المدينة. إنه يلتقط على الفور تمثيلاً لشخصية المدينة، وهي إرادة جماعية تفلت أحياناً من صانعي القرار فيها.[5]

3.6 ـ سوق الأراضي، انعكاس للتمثيل الجماعي للفضاء:

بالنسبة لموريس هالبواش، يعتمد التنظيم المكاني على المجتمع، من خلال الطريقة التي يستوعبه بها: "إن الأشكال المادية للمجتمع لا تتصرف فيه بسبب قيود جسدية، كجسد

---

[1] Fijalkow yankel, **Sociologie des villes**, la découverte, P.16.

[2] موريس هالبواك، **مرجع سابق**، ص.13-14.

[3] موريس هالبواك، **المرجع السابق**، ص.88.

[4] محمد عاطف غيث، **قاموس علم الاجتماع**، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1989)، ص.295 .

[5] Fijalkow yankel, **ibid**, P.12.

يتصرف على جسد آخر. ولكن من خلال المعرفة التي نكتسبها منه... ؛ يوجد هنا نوع من الفكر أو الإدراك الجماعي يمكن للمرء أن يسميه مرجعًا فوريًا للوعي الاجتماعي". فمن المهم التركيز على التمثيلات الجماعية للفضاء التي تشير إلى "المشاعر المشتركة" للمجتمع. ومع ذلك، فإن إنتاج الفضاء الحضري هو نتيجة العمل الجماعي.[1]

وتنطبق هذه النظرية أولاً على سوق الأراضي. فمستوى سعر الأرض، في المناطق الحضرية أو الريفية، هو محدد قوي لتوزيع المجموعات الاجتماعية في الفضاء. ويؤثر على أسعار العقارات والإيجارات. وبالتالي، فإن تفسير أسعار الأراضي أمر أساسي لعالم الاجتماع. لكن هذا الأخير يجد ظواهر في الفضاء الحضري تتجاوز النظرية الاقتصادية الكلاسيكية المتعلقة بالعرض والطلب. لا يتم تحديد أسعار الأراضي فقط من خلال توقع المشترين والبائعين (ما الذي يمكن عمله بهذه الأرض أو تلك)، ولكنها تستند أيضًا إلى سعر الفكرة أو الرأي الذي يشير إلى تمثيل المساحة التي تتمتع بها الجهات الفاعلة (على سبيل المثال)، ما قد يصبح عليه الحي أو المقاطعة... بالإضافة إلى ذلك، فإن التدخل العام من قبل الدولة أو السلطات المحلية يعدل إلى حد كبير ظروف السوق بقدر ما، يساهم في تغيير طبيعة الأرض بشكل كبير. وهكذا، فإن تجهيز المدينة بشبكات النقل يفتحها ويعززها.[2]

ما هو منطق هذه السياسة؟ يرى العديد من المؤلفين أن السؤال غير مناسب: فالتحولات العميقة التي شهدتها باريس في الفترة ما بين 1854 و1870 (فتحات وتمديدات الطرق العريضة) هي بالفعل موضوع لسرد تاريخي متفق عليه. وتعزى سلطة المحافظ هاوسمان (بموجب أوامر نابليون الثالث) إلى تعديل الجانب المادي لباريس. وكانت أهدافه المعروضة في مذكراته هي تحسين التداول والنظافة، وقمع المظاهرات الشعبية، وتشجيع عودة البرجوازية. وباختصار، نحن، في الظاهر، نواجه قرارا سياسيا اتخذه رجل واحد، يتمتع بوسائل فنية وقانونية. ماذا يمكن لعالم اجتماع أن يضيف إلى هذا الدليل المشترك من قبل الجميع؟ وبأخذ وجهة النظر المعاكسة للحس (المنطق) العام، يفترض موريس هالبواش أن القرار الإداري بالمصادرة (نزع الملكية) هو نتيجة مجموعة من القرارات المشتركة. وبالنسبة إلى Halbwachs، فإن مثل هذا الإجراء يستجيب دون قصد للاحتياجات والضغط الجماعي.[3]

4.6 ـ التحولات الحضرية والجهات الفاعلة فيها:

بالنسبة إلى هالبواش، فإن الجهات المخططة لنزع الملكية (الدولة، البلدية) غير قادرة على التنبؤ، والتوقع، وفرض أي شيء فيما يتصل بالتنمية الحضرية. وهي لا تخضع إلا لضغوط مطالب السكان؛ إنها جسر إتصال. وبالتالي فإن السلطة السياسية (الملكية، الإمبراطورية أو الجمهورية)، لم تقرر أي شيء، أو منع، في مسألة تمديد باريس. والتدابير التي اتخذها هي ليست، إلا لإضفاء الطابع الشرعي على الترتيبات المنفذة خارج المبادئ التوجيهية المقررة، وإضفاء الطابع الرسمي عليها.. وعلى سبيل المثال، فإن المضارب، مدير شركة عقارية، ليس أيضا هو الفاعل الوحيد (المعزول) الذي أنشأ، وفقا لفكرة جديدة، حي جديد من الصفر دون أن يتأكد من استيطانه. فما هو إلا ممثل جماعي مطلع بشكل خاص على شواغل السكان، ولديه القدرة على توقع احتياجاتهم. ولهذا يقرر هالبواش: "أن

[1] Fijalkow yankel, **ibid**, P.16.
[2] Fijalkow yankel, **ibid**, P.16.
[3] Fijalkow yankel, **ibid**, P.17.

المضارب إذا تجاوز، في حالة الفوضى الحالية، تنظيما مستقرا أخيرا، فهو أنه ينمي ويطور في فكر حقائق معينة لفتت انتباهه، من خلال المقارنة المنطقية بين الحالات المتشابهة، ومن خلال "تعاطف" خاص، إنه يفهم بشكل أفضل عدد معين من الظواهر، ويحسب أهميتها ومدتها بشكل أكثر دقة. فهو قبل كل شيء يأخذ عددًا من الحقائق المعقدة والبعيدة في لمحة واحدة.[1]

7 ـ هالبواش والطبقات الاجتماعية:

إن المعرفة المكتسبة والأسئلة التي طُرحت منذ النصف الثاني من القرن حول الطبقات الاجتماعية تجعل إعادة قراءة هالبواش أمرًا بالغ الأهمية. فبمرور الوقت، تظهر المساهمات الأساسية، مثل الأخطاء الفادحة بشكل أفضل. وهذا هو بيت القصيد من التعليق الذي، لكونه علميًا، ليس اعتذارًا، ويجعلك تفكر في تاريخية المعرفة.[2] وانطلاقا من هذا يبين هالبواش (Halbwachs) في براعة فائقة ما يمكن أن ينجم من نتائج هامة في دراسة الطبقات، إذ اتخذت هذه الفكرة أساسًا للبحث.[3]

يقول هالبواش في دراساته الممتعة عن الطبقات (Les Classes Sociales) إننا نرى فورًا الفائدة التي تنجم عن تحديد الطبقات على أساس الثروة (كما ذهب كارل بوخر) أن الثروة حقيقة مادية، ويمكن تقديرها بالأرقام. وبما أن الثروة المحددة بالأرقام تحتمل درجات متعددة فإن الإحصاءات الدالة على الدخل يمكنها أن تحدد لنا بالضبط المستوى الذي تعيش فيه كل طبقة ومدى الفواصل التي تختلف قربا وبعدا بين كل طبقة وأُخرى، ولكن هنا تنشأ الصعوبة فقط من عدم استطاعتنا أن نفهم لماذا تحدث تلك الفواصل في درجات الدخل – وهي التي تقابلها الطبقات المختلفة ـ في موضع دون آخر، وأن نفهم أيضا لماذا لا تكون تلك الفواصل أكثر عددًا مما هي عليه؟ لنفرض أننا ميزنا من جهة تفاوت الدخل الطبقات الثلاث الآتية فقط: ذوو الدخل البسيط وذوو الدخل المتوسط وذوو الدخل الضخم. فأين نضع الفواصل بينها ولماذا نضعها في نقطة دون أخرى، هذا ما يحدو إلى القول بأن الثروة وحدها لا تكفي في فهم تلك الفواصل، وإنما المنصرف أو الإنفاق (dépenses) هو الذي يفسرها إلى حد ما، ولكن الاعتماد على المنصرف يؤدي بنا إلى اعتبارات أُخرى ستجد موضعها فيما بعد. يوجه هالبواش بعد ذلك اعتراضات أكثر أهمية على نظرية بوخر يستمدها من النظر في تكون الثروات وتطورها خلال التاريخ فيقول إذا... كان استمرار وثبات كل طبقة من الطبقات على حالها خلال التاريخ يعتمد كما يقول بوخر على ثبات الثروة التي بيدها، فيجب أن نعتقد أن أغنياء اليوم هم أغنياء الأمس، وأنه قد تكونت خلال التاريخ طبقات موروثة بكل معاني الكلمة كل طبقة منها تتصرف في كمية ثابتة من الثروة، وتقوم بالمهنة التي تؤهلها لها تلك الثروة. ولكن هذا غير صحيح، لأننا نُشاهد خلال التاريخ أن الطبقة الثرية وهي عادة جُزء طفيف نسبته إلى الأُمة كنسبة رأس الهرم إلى قاعدته في تبدل مُستمر يتبع تطور وسائل كسب الثروة وبالتالي تطور الحضارة.[4]

---

[1] Pierre Fournier', Sylvie Mazzella, **La percée originelle : entre aménagement urbain, transformation sociale et rentabilité financiere**, https://hal-amu.archives-ouvertes.fr/hal-01222029/file/m3.pdf, P.02-03.

[2] Lassave Pierre, **ibid**; p.39.

[3] محمد ثابت الفندي، **الطبقات الاجتماعية من وجهة نظر المدرسة الاجتماعية**، مصر، وكالة الصحافة العربية ناشرون، 2019، ص.18.

[4] محمد ثابت الفندي، **مرجع سابق**، ص.86-87.

وخلافا لقوانين إنجلز الاقتصادية الشهيرة التي كانت تتناسب في القرن الماضي مع طبيعة السلع المستهلكة ودخل المستهلكين، يوضح هالبواش أنه في نفس الدخل: ينفق العامل في بداية القرن على الطعام أكثر مما ينفق على الملابس والسكن بخلاف الموظف. بتعبئة جهاز إحصائي مهيب ببراعة مستمدة من المسوحات الألمانية عام 1907، يمكن لعالم الاجتماع أن يستنتج أن الفروق الطبقية تفوق الفروق في الدخل. لا يتم تعريف الطبقة الاجتماعية بمستوى الموارد... بل على العكس من ذلك، فإن الظروف المعيشية والعمل، والتصورات الاجتماعية والثقافة هي التي تكمن في جذور الاختلافات في طريقة الحياة. وهكذا يمكن تفسير الأهمية النسبية لنفقات الطعام والملابس، والضعف النسبي لنفقات سكن العامل من خلال حاجته الشديدة إلى التواصل الاجتماعي والأسرة والحي والشارع، للتعويض عن الانضباط البارد والميكانيكي للعامل. لا يقتصر الاستهلاك على الإنفاق أو الحصول على سلع مادية فحسب، بل إنه يشارك بالفعل في الحياة الاجتماعية. هذه هي "نظرية نار المخيم" حيث يقدم المجتمع نفسه كمجموعة متداخلة من الدوائر متحدة المركز مرتبة حول الموقد المركزي، دافئة وحيوية، والتي تشكل "الحياة الاجتماعية الأكثر كثافة التي يمكن للمرء أن يتخيلها". يظهر تأثير علم الاجتماع التكاملي لدوركهايم هنا. لكن هالبواش ينحرف عنها في سعيه المتعمد لأفضل الفروق بين المجموعات أو ملفات تعريف المستهلكين. وهكذا، على عكس الأطروحة القديمة للرجل العادي للإحصائي Quetelet، أثبت هالبواش في عام 1912 أن أي متوسط ينتج أو يخفي مجموعة من القوى المتناقضة بين المطابقة والانحراف. في التوزيع، يكون التشتت أكثر منطقية من المتوسط أو الوسيط.[1]

ففي أطروحته عام 1912، حول الطبقة العاملة ومستوى المعيشة، طور هالبواش أطروحة مفادها أن توزيع الإنفاق لا يمكن تفسيره من خلال مقدار دخل العمال وحده، ولكن يجب أن تؤخذ في الاعتبار العامل الأساسي الذي هو، مستوى معيشة العامل. وفي مفهوم مستوى المعيشة هذا، يضمن هالبوش العادات اليومية وتمثيل العمال للسلع التي تعتبر الأكثر أهمية... ولن يتم التخلي عن هذه الافتراضات المبدئية أبدا في خطوطها العريضة، وستستمر في توفير نقاط الارتكاز وتوجيهات النقد. ضد المؤرخين (وفي وقت لاحق ضد علماء النفس). الذين يميلون الى إلى تفسير الحقائق الناتجة من الظواهر المعزولة والخاصة، مقابل المقاربات الفردية التي تشرح الاستهلاك بالأحكام والخيارات الفردية، يقترح هالبواش إثبات أنه استعادة السياق الاجتماعي هي التي تجعل من الممكن تفسير هذه الحقائق: فخصائص الطبقة العاملة هي التي تفسر، لماذا يظهر العمال نفس الاحتياجات على الرغم من تنوعهم. ولذلك، فإن هالبواش يطبق بوضوح المبادئ الدوركايمية التي تقرر أن الحقائق الاجتماعية يجب تفسيرها بالحقائق الاجتماعية، واستبعاد التفسيرات المصاحبة، ومراقبة المنظمات الاجتماعية التي تؤثر على الأفراد في سلوكهم. هالبواش، لن يخرج عن الخطوط الرئيسية لهذا البرنامج البحثي. فهو ليس غير مبال بالخيار السياسي، ولكنه يتتبع اهتماما دائما، وهو إعطاء الأولوية للأسباب والمشاكل الاجتماعية، بعيدا عن المواقف الحزبية.[2]

ولأجل هذا نجده في الطبقة العاملة ومستويات المعيشة (1913)، يطور هالبواش نظرية يتم بموجبها توزيع الطبقات الاجتماعية في فضاء اجتماعي هرمي وفقًا لمخطط (مركز -

[1] Lassave Pierre, **ibid**. pp. 139-140;
[2] Pierre *Ansart*, Maurice Halbwachs, la créativité en sociologie, p.17-31.

محيط) واعتمادا على موضوع عملهم. تسعى الطبقة العاملة، التي تكافح تجاه وضعها الخامل، إلى سد العجز التفاعلي المتأصل في عملها من خلال تطوير نوع من الاستهلاك أكثر توجهاً نحو العلاقات الاجتماعية (النزهات، والاجتماعات في الحانات، ... إلخ) وأقل تجاه الإطار الخاص، بما في ذلك السكن. من خلال تفكيك قانون إنجل، يوضح هالبواش أنه مع زيادة مواردها، تزيد أسر الطبقة العاملة نسبيًا بشكل أقل من نصيبها من ميزانيتها التي تنفقها على السكن.[1]

8 - هالبواش والذاكرة:

يذهب جوتارد إلى صعوبة إعطاء تعريف واضح لمصطلح الذاكرة الجمعيّة، وأن استعمالاته قد اختلفت على مر العصور.[2] ذلك أن مفهوم الذاكرة يحيل على" آليات تمثّل الماضي واستحضاره، ومسارات تشكّل هذا التمثّل من الناحية الاجتماعية والسياسية والثقافية، أو بحسب تعبر أليساندرو بورتيي الذاكرة ليست مستودعًا خاملاً لأحداث الماضي، بل هي عملية نشطة لخلق المعنى، وهو ما سبق أن أشار إليه وجيه كوثراي عند تأكيد دور الذاكرة في تحوير الماضي بناءً على رهانات الحاضر.[3]

ومع ذلك يؤكد هالبواش على أن الذاكرة لا يمكنها أن تكون إلا اجتماعية، فإما تظهر فردية كما هو الحال في الحلم أو تتجلى بصفة جماعية كما هو الحال في الذاكرة العائلية والدينية والطبقية. فالتجربة الواقعة في قلب سوسيولوجيا الذاكرة هي التجربة ذاتها لحدس فعل التذكر: إن التذكر هو إدراك فكر في شكل أطر اجتماعية (فضاء، زمن، لغة) يعيد بلا انقطاع بناء الماضي تبعا لتصور الجماعة الحاضر للعالم.[4]

1.8 - هالبواش من الذاكرة الفردية إلى الذاكرة الجماعية:

يعتبر عالم الاجتماع الفرنسي موريس هالبواش المؤسس الفعلي لعلم اجتماع الذاكرة، شدّد هالبواش في عمله الأول، الأطر الاجتماعية للذاكرة (1925 Les Cadres sociaux de la mémoire) على أن الذاكرة هي أيضًا ظاهرة مجتمعية وليست مجرد إرث بيولوجي كما كانت تعتقد الأوساط العلمية آنذاك.[5] ومن هذا المنطلق فهالبواش قد أقحم في النقاش حول الذاكرة مفهوم الذاكرة الجماعية، وأكد أن الذاكرة الفردية أو ذاكرة الأفراد ما هي إلا تجل للذاكرة الجماعية.[6] ذلك أن عملية التذكر الفردية لا يمكن أن تنشأ إلا ضمن إطار اجتماعي معين، ويربط الذاكرة الجمعية والذكريات الشخصية للفرد بالمجتمع الذي ينتمي إليه ...ويعتبر هالبواش الذاكرة المشتركة لجماعة بشرية معينة شرطا لا محيد عنه لوجود هذه الجماعة نفسها.[7] فالجماعة ما أن تستقر في جزء من المجال حتى تشرع في تحويله بحسب تصورها الخاص لما ينبغي أن يكون عليه هذا المجال. ولكن هذه الجماعة في نفس الوقت

---

[1] Benjamin Vignolles, op.cit, p. 229.

[2] ياسر اليحياوي، **الذاكرة الجمعية موضوعا للبحث التاريخي**، دراسة في نماذج مختارة من مؤرخي الجيل الثالث لمدرسة الحوليات، أسطور للدراسات التاريخية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، العدد 07، 2018، ص.119.

[3] ياسر اليحياوي، **مرجع سابق**، ص.111.

[4] جان بيير دوران وروبرت ويل، **مرجع سابق**، ص.144.

[5] زهير سوكاج، **مراجعة كتاب الذاكرة الجمعية لموريس هالبفاكس**، مجلة تبين، المجلد 09، العدد 33، 2020، ص.176.

[6] عقيل البكوش، **سياسات الذاكرة في سياق العدالة الانتقالية حالة هيئة الحقيقة والكرامة في تونس**، مجلة إضافات، ع46، 2019، ص.167.

[7] محمد السموري، **الذاكرة الجمعية ومفهوم التراث الحيوي**، مجلة الثقافة الشعبية، أرشيف الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر، البحرين، العدد 14، 2011، (21-10)، ص.12.

تخضع وتتأقلم مع الأشياء المادية التي تقاومها. إنها تتحصن في الإطار الذي بنته... إن المكان يتغير تحت تأثير الجماعة. كما أنها هي بدورها تتأثر به.[1]

وفي هذا الإطار أيضا يؤكد هالبواش أن ذكرياتنا تبقى، رغم فردانيتها الظاهرية، ذات طبيعة مشتركة؛ ومن ثمّ فهي جمعية، وذلك حينما يُذكرنا بها المجتمع المحيط بنا. مع أنها أحداث عُنينا بها وحدنا. مضيفا أننا لسنا في الحقيقة وحيدين البتة. وفي هذا السياق أيضا، يرى أن النسيان لا يمكن فهمه ببساطة بوصفه عملية فيزيولوجية؛ فهو مرتبط بتلك الأطر الاجتماعية نفسها المؤثرة في عملية التذكر الفردية. أن ننسى فترة من حياتنا، هو أن نفقد الصلة بأولئك الذين كانوا يحيطون بنا في تلك الفترة... ذلك أنّ هالبواش يعتبر أن كل ذاكرة فردية هي وجهة نظر، تطل على الذاكرة الجمعية.[2] فالذاكرة الفردية تستند إلى معطيات الذاكرة الجماعية التي لا تستطيع أن تتبنى تمثلاتها منقطعة عن المجتمع وعن الذاكرة الجماعية فتتمثل الذاكرة الفردية للأشياء منظور إليه بهذه الكيفية مرتبط بتمثل الذاكرة الجماعية لها وفق منطق يعلمه لنا المجتمع، منطق جغرافي طوبوغرافي فيزيائي أي وبصورة أوضح فإننا نثير الأشياء في ذهننا وفق ارتباطات سببية لقننا المجتمع إياها.[3]

2.8 ـ هالبواش الذاكرة كمحاولة لتملك الماضي:

بداية إن كل ذاكرة هي إحياء للماضي عن طريق إثارة الأجزاء الشاهدة على معيش مضى، دليل إضافي لكوجيتو الوجود، أنا أتذكر إذن أنا وجدت، إذن أنا موجود. فضلا على أن وجود الذاكرة يشعرنا بدرجة الاستمرار الاجتماعي... وعليه إذا كان ماضينا مخفيا عنا كليا لأنه مختلف بواسطة ضرورات الفعل الحاضر فإنه سيجد القوة لتجاوز عتبة الوعي في كل المرات التي نهمل فيها الفعل الناجع لنضع أنفسنا نوعا ما في حياة الحلم.[4]

وهكذا، فإن التفكير في إعادة بناء الماضي يقودنا إلى تحليل الذاكرة الفردية، ثم إلى مفهوم الذاكرة الجماعية، وإلى نظرية عامة للذاكرة، وأكثر من ذلك، إلى التفكير في البناء الاجتماعي. ويمكن للمرء أن يعتقد بشكل شرعي أن هذه الأعمال كانت أحد مصادر الأعمال حول "البناء الاجتماعي للواقع الاجتماعي"، والحركة الفكرية الواسعة حول هذا الموضوع الخاص ببناء المجتمع.[5]

3.8 ـ هالبواش الذاكرة الجمعية، الزمن والمكان:

مؤكدًا أن، ديمومة الزمن شرطٌ من شروط كل وعي جمعي قادر على التذكر، وذلك من خلال قوله كل مجتمع[...] يجمد الزمن على طريقته الخاصة، أو يفرض على أفراده وهما مفاده أن بعض المناطق، خلال مدة معينة على الأقل، وفي عالم يتغير دون توقف، حازت شيئًا من الاستقرار والهدوء النسبي خلال فترة معتبرة. وكما أن لكل جماعة تمثلا للزمن خاصًّا بها تحتكره لنفسها، ولو تخيليًّا، فإن لكل جماعة محددة أيضًا مكانها الخاص، ويرى هالبواش أن الجماعة تنغلق في الإطار المكاني الذي بنته لنفسها، وذلك لتحديد صورتها عن نفسها، وفي هذا السياق يفسر الدور الذي تؤديه الصور المكانية أثناء تشكل الذاكرة الجمعية،

---

[1] عبد الرحمان المالكي، **الثقافة والمجال، دراسة في سوسيولوجيا الهجرة والتحضر في المغرب**، منشورات مخبر سوسيولوجيا التنمية الاجتماعية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، ظهر المهراس، فاس، المغرب، 2015، ص.54.

[2] زهير سوكاج، **مرجع سابق**، ص.177.

[3] ليلى العرباوي، **الذاكرة الجماعية: الأصل والتفاوت**، مجلة أمارابك، الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا، م05، ع13، 2014، ص.149.

[4] ليلى العرباوي، **مرجع سابق**، ص.148.

[5] Pierre *Ansart, op.cit, p. 17-31,*

فالمكان بالنسبة إليه اندمغ في بصمة الجماعة وكذلك الجماعة اندمغت ببصمة المكان. مضيفًا أن الجماعة، مرتبطة ارتباطًا طبيعيًّا بمكانها الخاص بها؛ فلا ذاكرة جمعية خارج إطار مكاني... ليختتم بتشديده على أن الذاكرة ذاتها تستند إلى استمرارية الفضاء المكاني الذي تتموضع فيه، أو على الأقل إلى استمرارية الجماعة في سلوكها تجاه مكانها أو أمكنتها.[1]

9 ـ هالبواش، الذاكرة الجماعية والهوية:

1.9 ـ الذاكرة الجماعية والفضاء، يدعمان الهويات الجماعية:

تثير دراسات موريس هالبواش للذاكرة الجماعية مسألة دور الفضاء في حياة المجموعة. ففي الأطر الاجتماعية للذاكرة يروي هالبواش قصة فتاة صغيرة من الإسكيمو تم التخلي عنها ووجدت في فرنسا في القرن الثامن عشر، أين نشأت. إذ لا يمكنها تذكر قصتها إلا عند تقديمها بأشياء من حياتها الماضية. وهكذا، نتذكر فقط لأن من حولنا يساعدوننا. تعتمد الذاكرة الفردية على المجتمع العاطفي. النسيان ينبع أكثر من الانفصال عن المجموعة أكثر من ظاهرة البلى على الفرد. يجسد هالبواش نفس النوع من التفكير فيما يتعلق بالذاكرة الجماعية، "تيار مستمر من الفكر الذي يحتفظ فقط من الماضي بما هو قادر على العيش والذي لا يزال على قيد الحياة". يحدد الإطار الحالي الذاكرة الجماعية التي تختلف عن الذاكرة التاريخية للعلماء.[2]

بالنسبة إلى هالبواش، فإن دور الذاكرة الجماعية أساسي. بفضله، أصبحت المجموعة الاجتماعية مدركة لشكلها. في آخر أعماله، الطبوغرافيا الأسطورية للأناجيل في الأرض المقدسة. دراسة الذاكرة الجماعية، يدرس هالبواش التحول في التقليد المسيحي الخاص بمكان الحلقات المقدسة المرتبطة بالإنجيل من المسيحيين الأوائل إلى العصور الحديثة. إنه يوضح كيف أن الفضاء، المدرك والمحدّد، يساهم في الهوية الجماعية للمسيحيين. على سبيل المثال، حددت إحدى الأساطير موقع قبر الملك داود في بيت لحم (وليس القدس) لأنه يُعتقد أنه أحد أسلاف يسوع.. وهكذا، فإن "الذاكرة الجماعية هي في الأساس إعادة بناء للماضي، أين تتكيف صورة الحقائق القديمة مع المعتقدات والاحتياجات الروحية للحظة". يمكن أن تأخذ عملية إعادة البناء هذه شكل تجزئة (عدة أماكن تتوافق مع ذاكرة) أو تركيز (مكان واحد يجمع عدة ذكريات). ولكن، في كل حالة، يساعد ذلك على تقوية هوية المجموعة. من السهل أن نرى كيف يمكننا نقل هذا النوع من التحليل إلى الآثار الحضرية اليوم وإلى المجموعات المرتبطة بها. لم يتم بعد بناء جغرافية الذاكرة. وهذا نفسه يمكن أن يمنح أيضا المواقع رمزية مثل الأماكن المركزية في الجزائر قبل وبعد إنهاء الاستعمار. وكذلك مناطق الإسكان الاجتماعي التي استهدفت عمليات الهدم. دون أن ننسى الفنادق المفروشة في باريس. والتي تحافظ على ذاكرة الهجرة. ويظهر (Bopda 2007) قضية الهوية التي تشكلها الأسماء الجغرافية للأحياء المختلفة لمدينة ياوندي المهاجرة. وعلى العكس من ذلك، توفر الأحداث الدولية الكبرى مثل الألعاب الأولمبية فرصة لمدن معينة مثل بكين "للتحديث" من خلال هدم تراث قديم جدًا من المنازل ذات الساحات المربعة (الأزقة) وطرد أكثر من 300.000 من السكان.[3]

---

[1] زهير سوكاج، **مرجع سابق**، ص.179.

[2] Fijalkow yankel, op.cit, P.19.

[3] Fijalkow yankel, **ibid**, P.19.

2.9 ـ الذاكرة والهوية عند هالبواش:

يذهب هالبواش إلى القول بأنه: "في حين أن المرء يسهل عليه أن يجعل نفسه منسيا في مدينة كبيرة، لا يكف سكان قرية عن أن يلاحظ بعضهم، بعضهم الآخر، وتسجل ذاكرة جماعتهم تسجيلا أمينا كل ما يمكنها أن تبلغه من الوقائع والحركات الإيمائية لكل فرد منهم، والسبب أن هؤلاء السكان يؤثرون في كل هذا المجتمع الصغير ويسهمون في تعديله". وفي مثل هذه الأوساط، يضيف موريس هالبواش: "كل الأفراد يتذكرون ويفكرون بصورة مشتركة".[1]

وفي هذا الإطار أيضا يوضح هالبواش أن هذه الأشكال من بناء الهوية تترسخ في الذاكرة الجماعية، التي شيدت اجتماعيا وحافظت عليها من خلال أشكال الدعم التقليدية المختلفة، وخاصة المادية والمكانية، مثل الأحياء (quartiers) ومورفولوجيتها (شكلها). ويبقى أن نفهم أن الأسباب التي أدت إلى ظهور مورفولوجيا حضرية معينة، هي التي تشرح وجود هذه الاحتياجات العقارية المتباينة اجتماعيا.[2]

ومن ثم فالملاحظ أن الذكريات القليلة التي نحتفظ بها لكل عصر من عصور حياتنا، كما يلاحظ هالبواش، يعاد إنتاجها باستمرار وتتيح أن يتأبد شعورنا بهويتنا كما لو أن ذلك يحدث بفعل توالد مستمر.[3]

10 ـ النقد الموجه لهالبواش:

موريس هالبواش الذي يعتبره البعض مؤسس علم الاجتماع الحضري في فرنسا، لم ينته من جذب التعليقات العلمية على عمله الصارم والمتنوع للغاية في موضوعاته وأساليبه.[4] فهو وإن كان يعتبر بالنسبة لمعاصريه، وبلا شك واحدًا من "أكثر الممثلين المؤهلين لمدرسة علم الاجتماع الفرنسية"، وهو عالم ضميري، مخلص لتوجيهات دور كايم، وقبل كل شيء يحاول العمل "علميًا". ومن ثم فإن تقديرنا له يعود للمجموعة المتنوعة من مجالات خبرته وإبداعاته، وفي طريقة استيعابه للأشياء اجتماعيًا، إلا أن ميله إلى الانغماس في "الميتافيزيقيا الاجتماعية"، جعله يدفع "الإمبريالية الاجتماعية" للتطرف في اتجاه علم النفس، إلى درجة تهديد وجود هذا الأخير بسبب "علم الاجتماع المتطرف".[5]

ومن الواضح أيضا، أن العالم لا يستطيع رؤية أو توقع كل شيء، خاصة عندما يعيق وضعه الاجتماعي فهمه للآخر. هذا ما يجعل سحر وقسوة مهنة عالم الاجتماع، يواجهان باستمرار صعوبة تجاوز الفرد لمذهبه العرقي. ويبقى أن التحليلات الدقيقة والمضيئة لهالبواش حول التباين الاجتماعي لاحتياجات ومستويات معيشة العامل بالأمس لا تزال تضيء استكشاف الاقتصاد الرمزي للمستهلك اليوم.[6]

وقد تتعمق خيبة أمل النقاد أيضا عندما يغفل هالبواش الاستثمارات الشعبية في المنزل، والتي تمكن ريتشارد هوغارت لاحقًا من الكشف عنها من الداخل (ثقافة الفقراء)، أو عندما

---

[1] جويل كاندو، **المرجع السابق**، ص.59.

[2] Benjamin Vignolles, op.cit, p. 229.

[3] جويل كاندو، **الذاكرة والهوية**، ترجمة وجيه سعد، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2009، ص.11.

[4] Lassave Pierre. Christian Baudelot, Roger Establet, op.cit. pp. 139-140;

[5] Thomas Hirsch, op.cit, p.73.

[6] Lassave Pierre. Christian Baudelot, Roger Establet, op.cit. pp. 139-140;

يفشل في رؤية مدى ثراء علاقات العمل، ومدى تولد مجموعة متنوعة من التضامن الاجتماعي: أحد أسس بناء الهوية الشخصية، المهددة الآن بالبطالة.[1]

وإلى جانب ذلك، يذهب البعض إلى نقد افتراضاته الأساسية، إذ تشكل مبادئ الإلهام الدوركهايمي الهدف الأساسي للبحث، والترسانة الفكرية التي توفر التحذيرات والتحفظات فيما يتعلق بالعلوم الاجتماعية أو النفسية التي تتجاهلها. لكن هالبواش لا يهتم بإعطائهم شكلاً عقائديًا، فهو لا يسعى إلى ترسيخها كقواعد بل لتطبيقها والتحقق منها في بحثه. وبالتالي، فإن المبادئ الأساسية ليست فقط مبادئ توجيهية مكونة لبرامج البحث، ولكن أيضًا أدوات يجب تحديدها وإعادة تعريفها وربما انتقادها لجعلها أكثر عملية.[2]

ومن جهة أخرى، فقد تعرض لانتقادات منتظمة من قبل أولئك الذين يؤيدون النهج التجريبي للإنسان (Piéron؛ Kaploun؛ Blondel؛ Luquet؛ Piéron) والآخرون، مثل Henri Bergson على سبيل المثال، يكتفون بمعارضة بحثه، مع وضع حد لعدم المقبولية.[3]

وفي هذا الإطار يذهب آخرون أيضا إلى أنه في كتابه، في عام 1930 بشأن أسباب الانتحار، أسس كل تحليله على البيانات الإحصائية، ولكن في عمله على الذاكرة، تخلى عن هذه الطريقة تماما. عمل كبير وغني للغاية، وفي بعض الأجزاء، مؤسس لقضايا جديدة، ولكن في كثير من الأحيان غموضا مع التنوع الشديد في المجالات، والافتراضات والأساليب.[4]

وفي مقابل ذلك أيضا فقد أثار مفهوم الذاكرة الجماعية جدلا، إذ إعتبر كلود ليفي ستروس أن لا وجود لها، وأن هدف هالبواش من نحت هذا المفهوم هو إبراز هيمنة الوعي الجمعي على الوعي الفردي وخضوع الفرد للمجتمع، أما روجي باستيد فقد بين أن استحضار الذكريات وبناء الذاكرة الجماعية... يختلفان باختلاف الأزمنة والأمكنة وتباين مواقع المجموعات البشرية ومصالحها ودوافعها في استخدام واستحضار الذاكرة وهذه الأخيرة تتغير وتتبدل معها الثوابت والمرجعيات المتفق عليها. أما بيير نورا فيميز بين الذاكرة الجماعية والذاكرة التاريخية، معتبرا الأولى هي ما تبقى من الماضي في معيش الجماعات أو ما يتمثل بشأنه .. تظل أي الذاكرة إرثا غير قابل للتصرف، وفي الوقت ذاته سهل الاستعمال وأداة نضال وسلطة، بل أيضا رهانا انفعاليا ورمزيا، أما الذاكرة التاريخية فتمتاز بالوحدة، فهي ثمرة تقليد معرفي وعلمي وهي أيضا الذاكرة الجماعية لجماعة المؤرخين... غير أن التاريخ الشفوي، بما هو تاريخ محمول في ذاكرة الضحايا، يكتنفه ما يكتنف الذاكرة من أعطاب ناتجة عن المرض، النسيان والتأويل والذاتية.[5] وبناء عليه، تخضع العمليات التذكرية لما يسمى سياسات الذاكرة إذ لا يمكن للمجتمعات إطلاق العنان للذاكرات للبوح بما تشاء والتستر على ما تشاء، على حفظ ما تشاء وإسقاط ما تشاء من ذاكراتها من دون ضوابط علمية واجتماعية وأخلاقية وسياسية وأيديولوجية.[6]

---

[1] Lassave Pierre. Christian Baudelot, Roger Establet, op.cit. pp. 139-140;

[2] *Pierre* Ansart, Maurice Halbwachs, la créativité en sociologie, p. 17-31.

[3] Thomas Hirsch, op.cit, p.73.

[4] *Pierre* Ansart, op.cit p. 17-31,

[5] عقيل البكوش، **مرجع سابق**، ص.167.

[6] عقيل البكوش، **مرجع سابق**، ص.169.

وإلى جانب ما قيل سابقا، يضيف الدكتور شوقي قاسمي التحفظات التالية:[1]

- اعتبار أطروحته نوع من التعميم غير المشروع لظاهرة نفسية فردية محضة.
- كما أن موريس هولباش لم يسبق وأن إختبر نظريته في عمل سوسيولوجي ميداني.
- لا تزال نظرية هالبواش في مجال الذاكرة تاريخية وجامدة وذات توجه نحو إعادة إنتاج البناءات الموجودة أكبر من التوجه نحو التغير الاجتماعي.
- الأبحاث التي أنجزها حول المورفولوجيا الاجتماعية والطبقات العمالية في مطلع القرن العشرين، ظلت حبيسة نظرية اجتماعية عامة تهتم بالظواهر الماكروسوسيولوجية، تبعا للهدف الذي حدده دوركايم للبحث السوسيولوجي.

مراجع المحاضرة:

1. جميل حمداوي، **المورفولوجيا الاجتماعية** تاريخ الإضافة: 2015/9/3، أطلع عليه بتاريخ 2022/03/24، الساعة 09.30 رابط الموضوع: http://www.alukah.net/culture/0/91294/#ixzz58bI28TyA

2. جويل كاندو، **الذاكرة والهوية**، ترجمة وجيه سعد، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2009.

3. زهير سوكاج، **مراجعة كتاب الذاكرة الجمعية لموريس هالبفاكس**، مجلة تبين، المجلد 09، العدد 33، 2020.

4. شوقي قاسمي، **مطبوعة في مقياس تحليل نقدي للنظريات الأساسية في علم الاجتماع الحضري**، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2020/2019.

5. عبد الرحمان المالكي، **الثقافة والمجال، دراسة في سوسيولوجيا الهجرة والتحضر في المغرب**، منشورات مخبر سوسيولوجيا التنمية الاجتماعية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، ظهر المهراس، فاس، المغرب، 2015.

6. عقيل البكوش، **سياسات الذاكرة في سياق العدالة الانتقالية حالة هيئة الحقيقة والكرامة في تونس**، مجلة إضافات، العدد 46، 2019.

7. ليلى العرباوي، **الذاكرة الجماعية: الأصل والتفاوت**، مجلة أمارابك، الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا، م05، ع13، 2014، (154-145).

8. محمد السموري، **الذاكرة الجمعية ومفهوم التراث الحيوي**، مجلة الثقافة الشعبية، أرشيف الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر، البحرين، العدد 14، 2011، (21-10).

9. محمد ثابت الفندي، **الطبقات الاجتماعية من وجهة نظر المدرسة الاجتماعية**، مصر، وكالة الصحافة العربية ناشرون، 2019.

10. محمد عاطف غيث، **قاموس علم الاجتماع**، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1989).

11. موريس هالبواك، **المورفولوجيا الاجتماعية**، ترجمة حسين حيدر، ط1، (بيروت: منشورات عويدات، 1986).

[1] شوقي قاسمي، **مطبوعة في مقياس تحليل نقدي للنظريات الأساسية في علم الاجتماع الحضري**، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2020/2019، ص.54.

12. Thomas Hirsch, Une vie posthume Maurice Halbwachs et la sociologie française (1945-2015), Revue française de sociologie, 2016/1 Vol. 57 | pages 71 à 96.
13. Angèle Christin Etienne Ollion, La sociologie aux Etats-Unis aujourd'hui, la découverte.
14. Benjamin Vignolles, Maurice Halbwachs: vers une théorie sociologique des prix et des besoins immobiliers, Regards croisés sur l'économie 2011/1 (n° 9).
15. Fijalkow yankel, Sociologie des villes, la découverte.
16. Jean-Marc Stébé, Hervé Marchal, Introduction à la sociologie urbaine, 2 eme, Paris, Armand Colin, 2019.
17. Jean-marc Stebe, Herve Marchal, la sociologie urbaine, que sais-je ?, puf.
18. Lassave Pierre. Christian Baudelot, Roger Establet, Maurice Halbwachs, consommation et société, collection Philosophies, 1994. In: Les Annales de la recherche urbaine, N°66, 1995. Régularisations de propriétés.
19. Pierre Fournier', Sylvie Mazzella, La percée originelle : entre aménagement urbain, transformation sociale et rentabilité financiere, https://hal-amu.archives-ouvertes.fr/hal-01222029/file/m3.pdf, P.02-03.
20. Pierre *Ansart*, *Maurice Halbwachs, la créativité en sociologie, p. 17-31, http://books.openedition.org/psorbonne/401*
21. Thomas Hirsch, Une vie posthume Maurice Halbwachs et la sociologie française (1945-2015), Revue française de sociologie, 2016/1 Vol. 57 | pages 71 à 96.

المحاضرة الرابعة مدرسة شيكاغو

روادها إبداعاتها المفاهمية والمنهجية

نظرية ارنست بيرجس (Ernest Burgess)،
الاندماج الاجتماعي وعلاقته بالحراك المجالي والاجتماعي

المحاضرة الرابعة مدرسة شيكاغو

روادها إبداعاتها المفاهمية والمنهجية: المدينة كنظام إيكولوجي، الحضرية، نظرية ارنست بيرجس (Ernest Burgess)، الاندماج الاجتماعي وعلاقته بالحراك المجالي والاجتماعي

تمهيد:

I ـ مدرسة شيكاغو، روادها إبداعاتها المفاهمية والمنهجية:

أولا: ـ مدرسة شيكاغو والنظرية الايكولوجية الكلاسيكية:

1 ـ التعريف بمدرسة شيكاغو لعلم الاجتماع:

2 ـ النظرية الايكولوجية الكلاسيكية:

3 ـ النقد الموجه للنظرية الايكولوجية:

ثانيا: ـ القضايا الأساسية لمدرسة شيكاغو:

1 ـ القضية الأولى: التقاليد البحثية لمدرسة شيكاغو.

2 ـ القضية الثانية: (المدينة كـ "مختبر اجتماعي").

3 ـ القضية الثالثة: مدرسة شيكاغو والتفاعلية الرمزية.

ثالثا: ـ تقييم التراث النظري الأمريكي الكلاسيكي.

II ـ نظرية (Ernest Burgess)، الاندماج الاجتماعي وعلاقته بالحراك المجالي والاجتماعي.

أولا: ـ ارنست بيرجس ونظرية الدوائر المركزية:

1 ـ التعريف ارنست بيرجس (1886-1966):

2 ـ ارنست بيرجس ونظرية الدوائر المركزية (1886-1966):

3 ـ النقد الموجه لنظرية بيرجس حول الدوائر المركزية:

ثانيا: ـ الاندماج الاجتماعي عند رواد مدرسة شيكاغو:

1 ـ مدرسة شيكاغو وإشكالية الاندماج الاجتماعي:

2 ـ بيرجس والاندماج الاجتماعي:

مراجع المحاضرة:

تمهيد:

تهدف هذه المحاضرة أولا إلى التعريف بمدرسة شيكاغو لعلم الاجتماع الحضري، روادها إبداعاتها المفاهمية والمنهجية، ممن خلال التطرق إلى النظرية الايكولوجية الكلاسيكية، وأهم الانتقادات الموجهة لها، ثم قضاياها الأساسية بداية بتقاليدها البحثية ، ثم نظرتها إلى المدينة كـمختبر اجتماعي، وصولا إلى علاقتها بالتفاعلية الرمزية، ثم نتوقف عند تقييم التراث النظري الأمريكي الكلاسيكي.

ثم ثانيا التطرق لارنست بيرجس (Ernest Burgess) ونظريته حول الدوائر المركزية، الاندماج الاجتماعي وعلاقته بالحراك المجالي والاجتماعي. وأهم الانتقادات الموجهة له ولنظريته كمرحلة أولى، الحديث عن الاندماج الاجتماعي عند رواد مدرسة شيكاغو، وبيرجس بالخصوص.

I ـ مدرسة شيكاغو، روادها إبداعاتها المفاهمية والمنهجية:

نشير بداية إلى أن ما "يسمى الآن بمدرسة شيكاغو والتي، منذ عشرينيات القرن الماضي، نظمت طريقة التفكير حول المدينة.[1] قد تركت بصماتها واضحة على التفكير الاجتماعي الحضري، ولا تزال معالمها واضحة حتى وقتنا الحاضر.

أولا: ـ مدرسة شيكاغو والنظرية الايكولوجية الكلاسيكية:

1 ـ التعريف بمدرسة شيكاغو لعلم الاجتماع:

تشير "مدرسة شيكاغو" إلى مجموعة محددة من علماء الاجتماع في جامعة شيكاغو خلال النصف الأول من هذا القرن. كانت طريقة تفكيرهم في العلاقات الاجتماعية نوعية بشكل كبير، وصارمة في تحليل البيانات، وركزت على المدينة كمختبر اجتماعي...، واحتضنت مدرسة شيكاغو العديد من اهتمامات علم الاجتماع الأمريكي (مثل التدهور الحضري والجريمة والعلاقات العرقية والأسرة)، مع تبني نهج أكثر رسمية ومنهجية لجمع البيانات وتحليلها والذي كان اتجاهًا في ألمانيا وأثمر لإنتاج "علم" الاجتماع.[2]

ولذا فعادة ما يستخدم مصطلح "مدرسة شيكاغو" للإشارة إلى مجموعة من الأبحاث الاجتماعية التي تم إجراؤها بين عامي 1915 و1940 من قبل مدرسين وطلاب جامعة شيكاغو. وتم استخدام هذا التعبير لأول مرة بعد فترة طويلة من بداية هذه الحركة، في عام 1930 على وجه التحديد، عندما قدم لوثر برنارد مختلف مدارس علم الاجتماع الموجودة. ومن المؤكد أنها ليست دائمًا مسألة تيار فكري متجانس، يتبنى نهجًا نظريًا مشتركًا، لكن مدرسة شيكاغو تقدم مع ذلك، العديد من الخصائص التي تمنحها بلا شك وحدة كبيرة، وتخصص لها مكانًا خاصًا ومتميزًا في علم الاجتماع.[3]

وعلى هذا الأساس يطلق على مدرسة شيكاغو هذه التسمية "لأنها كانت مجالا وإطارا تم فيه بناء السوسيولوجيا، إنطلاقا من تصور فلسفي معين (البراغماتية، والفينومينولوجيا)، ومن التزام منهجي واضح".[4] وبالتالي فإن ما يميزها عن المحاولات السوسيولوجية التي

---

[1] Jean-Marc Stébé, Hervé Marchal, Introduction à la sociologie urbaine, 2 eme, Paris, Armand Colin, 2019, P.70.

[2] Wayne G. Lutters, Mark S. Ackerman, **An Introduction to the Chicago School of Sociology,** Interval Research Proprietary, 1996, p.02.

[3] Alain Coulon, **que sais-je ? L'école de Chicago**, Cinquième édition, puf, P.03.

[4] عبد الرحمان المالكي، **مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة**، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، 2016، ص.58.

سبقتها هو شيئين أساسيين هما: البحث الإمبريقي من جهة، والتخصص الحضري من جهة أخرى... إن سوسيولوجيا شيكاغو تتميز قبل كل شيء بالبحث الإمبريقي... وذلك من خلال تطوير مناهج بحث أصيلة: الاستعمال العلمي للوثائق الشخصية، والعمل المباشر في الميدان، واستغلال مصادر وثائقية مختلفة، موجهة بشكل واضح في اتجاه ما نسميه اليوم السوسيولوجيا الكيفية.[1]

وفي هذا السياق، ستولد جامعة شيكاغو في عام 1890، والتي سترحب بأول طلابها بعد عامين، في عام 1892، بفضل كرم جون دي روكفلر، الذي يثق في ويليام هاربر - وهو سابقا القس المعمداني – ويعهد إليه مهمة تنفيذ مشروع جامعة جديدة... كان لدى الرئيس هاربر، الذي كان أستاذًا للغة اليونانية والعبرية في جامعة ييل، طموحًا كبيرًا لجامعة شيكاغو: فمن ناحية، أنشأ على الفور مدرسة عليا مكرسة للبحث وتدريب طلاب الدكتوراه، وهي مبادرة كانت مبتكرة في الوقت الذي فضلت فيه الجامعات الأمريكية التدريس على حساب البحث، الأمر الذي لم يكن موضع تقدير؛ ومن ناحية أخرى، أراد فتح الجامعة للحياة الاجتماعية الخارجية.[2]

ثم تطورت بعد ذلك بتأثير من ألبيون سمول (Albion Small)، وبقيادة أكاديمية من روبرت بارك، واستمرت في أوجها في عشرينيات وثلاثينيات القرن العشرين. وأكدت هذه المدرسة أهمية الصراع الجماعي والموارد. وطبق علماء اجتماع شيكاغو أفكار الصراع هذه في السيطرة على المكان في المحيطات الحضرية، واعتمد نموذجهم الايكولوجي على تشخيص نشأة المدينة بأنها تمت من خلال سلسلة من المناطق محل الاهتمام، وتتسم كل منها بشكل مختلف من استخدام الأرض والتنظيم الاجتماعي. وانسجمت هذه الأعمال كلية مع النزعة التفاعلية الرمزية لجورج ميد.[3]

ومع ذلك فإنه لا يمكن اعتبار جميع أعضاء هيئة التدريس المرتبطين بقسم علم الاجتماع في الجامعة جزءًا من مدرسة شيكاغو، ولكن عشرة منهم على الأقل كانوا جزء لا يتجزأ من الأعضاء الأساسين.. وفي هذا الصدد أيضا قدم ألبيون دبليو سمول، مؤسس ورئيس أول قسم لعلم الاجتماع، رابطًا لا يقدر بثمن بين المدارس الألمانية والأمريكية للفكر الاجتماعي...[4] مع الإلحاح الشديد على ضرورة إنجاز أبحاث ميدانية، والقيام بملاحظات مباشرة، وعدم الاكتفاء بالتأملات المكتبية، وهكذا وإنطلاقا من هذا المنظور سيدعو إلى ضرورة تناول البحث السوسيولوجي لبعض المسائل والقضايا كالسكن والعلاقات الاجتماعية. وكان يحث طلبته وزملائه الأساتذة على تحليل مدينة شيكاغو نفسها والانطلاق من فسيفساء عوالمها الصغيرة كميدان وموضوع لأبحاثهم.[5] ووضع ويليام توماس، أحد أوائل الطلاب الذين تم تعيينهم للتدريس، أساسًا قويًا للمدرسة باهتمامه الحضري ومنهجيته النوعية الصارمة، كما يتضح من دراسته الكلاسيكية عن الفلاح البولندي.[6]

---

[1] عبد الرحمان المالكي، **المرجع السابق**، ص.63.

[2] Alain Coulon, **que sais-je ?** op.cit, P.05-06.

[3] جون سكوت، **علم الاجتماع المفاهيم الأساسية**، ترجمة محمد عثمان، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2009، ص.415.

[4] Wayne G. Lutters, Mark S. Ackerman, ibid, p.02.

[5] عبد الرحمان المالكي، **مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة**، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، 2016، ص.71.

[6] Wayne G. Lutters, Mark S. Ackerman, op.cit, p.02.

ومن الأكيد هنا أن نشأة وبروز هذه المدرسة لم يأت من فراغ، فهناك من جهة، واقع المجتمع الأمريكي وواقع حواضره بالخصوص وما عرفته من تحولات اجتماعية هائلة في بداية القرن العشرين، وهناك من جهة أخرى ما طرأ على ظروف العمل الجامعي الأكاديمي، والبحث السوسيولوجي بالخصوص من تحديث وتجديد في الولايات المتحدة الأمريكية. ولقد كان للتراث السوسيولوجي الأوروبي (الفرنسي والألماني والانجليزي) وللفكر الفلسفي السائد في أمريكا وقتئذ تأثيرهما الواضح في التمهيد لنشأة هذه المدرسة وتيسير سبل انطلاقها وانتشارها.[1]

فقد كانت المدن الأمريكية تشهد نموًا هائلاً، ولم يكن هناك شيء أكثر وضوحًا من شيكاغو، التي ظهرت خلال هذه الفترة كمدينة "فورية". وفي خضم هذه الديناميكية الحضرية، تأسست جامعة جديدة على مبادئ البحث المتقدم، هذه الجامعة، جامعة شيكاغو.[2]

ففي النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وصل المهاجرون الريفيون من الغرب الأوسط بأعداد كبيرة، جنبًا إلى جنب مع عدد هائل من المهاجرين الأجانب: الألمان، الإسكندنافيون، الأيرلنديون، الإيطاليون، البولنديون، الليتوانيون، التشيكيون، اليهود. بحلول عام 1900، ولد أكثر من نصف سكان شيكاغو خارج أمريكا. وأصبحت شيكاغو مدينة صناعية ومركزًا للتجارة وبورصة مالية مزدهرة، ... متأثرة بالديانة البروتستانتية.[3]

ومن ثم يذهب البعض إلى أن ثمة محاولات ثلاث أساسية في هذا الاتجاه النظري نذكرها على النحو التالي:

الأولى: من عام 1914 وحتى بداية الأربعينات، حيث شكل بارك وزملاءه وتلامذته في جامعة شيكاغو ما يمكن أن نطلق عليه مدرسة شيكاغو (Shicago school).

الثانية: في الأربعينيات، حيث أدت أعمال ولتر فيري والعديد من النقاد إلى إطلاق مسمى المدرسة الثقافية الاجتماعية (socio-culturel school) على مدرسة شيكاغو.

والثالثة: ظهرت في الخمسينيات، حيث أدت أعمال أموس هاولي إلى إنشاء ما يسمى بالايكولوجيا البشرية والتي أصبحت تشكل الدعامات الأساسية للمدرسة الأرثوذكسية الحديثة. وثمة اهتمامات مشتركة بين هذه المحاولات النظرية الثلاث حيث نظرت إلى المدينة باعتبارها التكيف الأمثل للنوع البشري فيما يتعلق بمشكلات البقاء.[4]

2 ـ النظرية الايكولوجية الكلاسيكية:

تعرف هذه النظرية في علم الاجتماع الحضري أحيانا بالنظرية الايكولوجية أو نظرية المدرسة الأمريكية أو نظرية مدرسة شيكاغو كعبارات مترادفة المعنى، وفي نفس الوقت تثير أي من العبارات الثلاثة في أذهان المشتغلين بعلم الاجتماع الحضري الإشارة إلى أعمال مجموعة من رواد علم الاجتماع في أمريكا وهم روبرت بارك، وارنست بيرجس، هومر هويت وهاريس وألمان، وهذه الأعمال وضعت منذ البداية الإطار النظري العام الذي انطلقت من خلاله العديد من الدراسات اللاحقة التي كانت لها مكانتها في تاريخ العلوم الإنسانية والاجتماعية.

---

[1] عبد الرحمان المالكي، **مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة**، مرجع سابق، ص.66.

[2] Wayne G. Lutters, Mark S. Ackerman, op.cit, p.02.

[3] Alain Coulon, **que sais-je ?** op.cit, P.05.

[4] سعيد ناصف، **علم الاجتماع الحضري، المفاهيم والقضايا والمشكلات**، ط1، (مصر: دار الكتب والوثائق القومية، 2006)، ص.73.

فمع بداية العشرينات بدأت مرحلة جديدة من مراحل التنظير تزعمتها جماعة من الباحثين (مدرسة شيكاغو) الذين تأثروا تأثيرا مباشرا بالداروينية الاجتماعية والاقتصاد الكلاسيكي اللذين سيطرا على التفكير العالمي إبان القرن 19. وهي تمثل حركة فكرية متنوعة ومتغيرة، تضم إسهامات مختلفة في دراسة المدينة، تعكس بصفة عامة تطورها من التوجيه البيولوجي – الجيوفيزيقي إلى التوجيه الايكولوجي السوسيوثقافي.

ويعتبر عالم الاجتماع الأمريكي إرنست واطسن بيرجس (ومعه في الحقيقة زميله روبرت بارك) أشهر أقطاب مدرسة شيكاغو التي تعتبر مركز البحوث الايكولوجية، فقد نجحت بحوثه ودراساته المتنوعة التي اهتم فيها بقضايا علم الاجتماع الحضري، ومعالجة أوضاع العائلة كوحدة اجتماعية، وبطبيعة العلاقة بين الفرد والمجتمع، وصور السلوك الاجتماعية المختلفة، في أن تترك تأثيرا عميقا في أجيال من العلماء الذين جذبتهم البحوث الايكولوجية التي تعنى أول ما تعنى بدراسة العلاقات بين السكان أو الجماعات البشرية وبيئاتها، وتحليل عمليات التكيف بينهما، وما يصاحب ذلك أو ينجم عنه من مشكلات النمو الحضري، وبذا إنصب اهتمامهم بصفة خاصة على دراسة مناطق التحول والأحياء المتخلفة التي تسهم في ظهور الجريمة والانحراف والأمراض الاجتماعية، وما إلى ذلك من صور التفكك الاجتماعي.[1]

وفي هذا الإطار، اشتق مصطلح الايكولوجية من العلوم الطبيعية، ويشير إلى دراسة تكيف النباتات والحيوانات العضوية مع البيئة.[2] وهي بذلك علم يهتم بدراسة علاقة الإنسان ونشاطه وخضوعه للظروف أو الشروط الفيزيقية، التي تتصل بالأرض والبيئة الطبيعية،كما تركز الإيكولوجيا على دراسة العلاقة المباشرة بين الإنسان الاجتماعي والبيئة الطبيعية ومدى تضامن الجهود الجمعية، والعلاقات الاجتماعية وخاصة فيما يتعلق بتحديد الأفعال وردود الأفعال التي تربط الجهود الجمعية بعملية التكيف مع البيئة الطبيعية.[3] وفهمت الايكولوجيا كذلك على أنها علاقة الكائن الحي ببيئته، ويدرك الايكولوجيين المدينة – والمجتمع الحضري بصفة عامة- على أنها تنظيمات اجتماعية تحتل مواقع جغرافية، ويفترضون إلى أن أفضل فهم للحياة الحضرية يكون عن طريق كونها فسيفساء من المناطق حيث تؤدي العوامل الطبيعية إلى توزيع منتظم، وأيضا متغير باستمرار للسكان والتسهيلات والأنشطة.[4]

ذلك أن بعض علماء الاجتماع الأوائل في نهاية القرن التاسع عشر وفي العقود الأولى من القرن العشرين قد شغفوا بالعلوم البيولوجية، ورأو فيها نموذجا يجب أن يحتذ لتنظيم عملهم، فكانت المماثلة العضوية التي تصورت المجتمع كائنا حيا يعمل وفقا لعمليات حيوية، والتي استخدمت فيها مفاهيم داروين كالصراع من اجل البقاء والتوازن الحيوي، والبقاء للأصلح

---

[1] محمود أبو زيد، **أعلام الفكر الاجتماعي والانثروبولوجي المعاصر**، ج1، (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 1998)، ص.164.

[2] أنتوني جيدنز، **علم الاجتماع**، مع مدخلات عربية، ترجمة فايز الصباغ، ط1، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2005)، ص.599.

[3] قباري محمد إسماعيل، **علم الاجتماع الثقافي ومشكلات الشخصية في البناء الاجتماعي**، كلية الآداب دار النشر للمعارف، الإسكندرية، د ت، ص.170 .

[4] وجدي شفيق عبد اللطيف، **علم الاجتماع الحضري والصناعي**، (مصر: دار المصطفى للنشر والتوزيع، 2005)، ص.70.

على نطاق واسع.[1] ومن ثم قام عدد من علماء الاجتماع المهتمين بايكولوجية المدن بوضع عدد من النظريات عن التوزيع المساحي والجغرافي للناس والخدمات في المدن، وذلك بعد أن قاموا بدراسة عدد من المدن يتفاوت من باحث وأخر.[2] ... وكان من الطبيعي أن تستعير النظرية الايكولوجية عددا من المفاهيم المستخدمة في البيولوجيا لتضفي عليها بعد ذلك طابعا إنسانيا واجتماعيا. وكان من أهم هذه المفاهيم. مفهوم البيئة الذي طبق على المدينة – باعتبارها بيئة طبيعية- بهدف الكشف عما بداخلها من أنماط وعمليات، وذلك باستخدام نفس الطرق والوسائل، ومن خلال نفس المنظور المستخدم لدراسة البيئة بالمعنى الطبيعي. كذلك استخدمت مفاهيم العمليات الطبيعية في النظرية الايكولوجية على نطاق واسع. وتعتبر المنافسة من المفاهيم المحورية التي ارتكزت إليها النظرية، حيث أوضحت أن هذه العملية تقع في المستوى الاجتماعي على نحو أكثر حدة ووضوحا من المستوى البيولوجي.[3]

ويتحقق أكبر إنجاز للنظرية الايكولوجية في صورتها الأولى على يد ارنست بيرجس وبخاصة فيما قدمه من تصور نظري خاص للنمط الايكولوجي للمدينة.. وإذا كان كل من بارك وبيرجس قد أفلحا إلى حد ما في تصوير المدينة ككيان فيزيقي يتميز بحلقاته ودوائره الخمسة، فإن ماكينزي جاء بدوره ليوضح القوانين والعمليات التي تعمل داخل هذا الكيان وتفسر بالتالي وجود هذه المناطق المميزة. وذلك من خلال عمليات المنافسة والتركيز والعزل والغزو والتعاقب، وحدها تنشأ أو توجد هذه المناطق الطبيعية التي تشكل البناء الفيزيقي للمدينة.[4]

3 ـ النقد الموجه للنظرية الايكولوجية:

بالرغم مما جادت به النظرية الايكولوجية، فإنه قد شابها مثل غيرها العديد من جوانب النقص، ولعل أهمها ما يلي:

- إغفالها لأهمية الترابط بين المجتمع والمجتمع المحلي والدولي.
- استبعاد العوامل الثقافية التي تشكل هذا المكان، وفقا لحاجات ثقافية، تتحدد من خلال المشاعر القيم والأفكار.
- اختزال المكان الحضري إلى مجرد موقع فيزيقي طبيعي.[5]

وإلى جانب ذلك، فإن من أهم ما وصفت به النظرية الايكولوجية المبكرة أنها بدأت تحليلها من طريق خاطئ وذلك عندما وجهت كل اهتمامها إلى الجوانب الجيوفيزيقية للمدينة دون أن تهتم بحياتها الاجتماعية. فالحياة الاجتماعية – على حد تعبير مارتندال - هي بناء التفاعل وليست بناء الحجر والصلب والأسمنت والأسفلت، وليس أدل على أن النظرية الايكولوجية قد ضلت طريقها إلى التحليل السوسيولوجي من اهتمام الكثير من الدراسات الايكولوجية باكتشاف خصائص المناطق المختلفة دون اهتمام بنوع الحياة الذي أدى إلى ظهور هذه الخصائص، كمن يهتم بدراسة الجريمة ومسرحها دون اهتمام بالمجرم نفسه.

---

[1] السيد عبد العاطي السيد، **علم الاجتماع الحضري**، ج1، ط3، (عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2013)، ص.294.

[2] عبد المنعم شوقي، **مجتمع المدينة، الاجتماع الحضري**، ط7، (بيروت: دار النهضة العربية، 1981)، ص.137.

[3] السيد عبد العاطي السيد، **مرجع سابق**، ص.295.

[4] السيد عبد العاطي السيد، **المرجع السابق**، ص ص296 -297.

[5] إسماعيل قيرة، **علم الاجتماع الحضري ونظرياته**، (قسنطينة: منشورات جامعة منتوري، 2004)، ص.67.

ثم هناك انتقادات أخرى ركزت على الجانب المنهجي، من خلال اعتبار التقنيات الامبريقية التي استعملها رواد المدرسة، ناقصة، وبالتالي لا يمكن أن تؤدي إلى التوصل إلى نتائج علمية دقيقة. بقدر ما تؤدي إلى استنتاجات وتعميمات امبريقية متناقضة وعقيمة. ومثال ذلك أن النظرية الايكولوجية وجهت لها انتقادات أخرى تتعلق ببدائية مفاهيمها وعدم أهميتها في التحليل السوسيولوجي للموضوعات التي طرحتها، كمفهوم المنافسة والعزل والغزو..[1]
ومن المتصور في نظر البعض مثل مارتندال أنه بالإمكان أن تعالج بعض المسائل المرتبطة بالحياة الاجتماعية الحضرية في ضوء هذه المفاهيم ولكن ليس بالإمكان أن تتحدد من خلالها لأنها تنطبق على الحياة الريفية كما تنطبق على الحياة الحضرية. بل لا يقتصر استخدامها على الحياة الإنسانية فحسب فقد تمتد لمعالجة بعض الأمور المرتبطة بالحياة النباتية والحيوانية أيضا... ومن ثم فإن النظرية الايكولوجية بهذا المعنى قامت على تصورات غير كافية لصياغة نظرية محددة المعالم عن المدينة، يمكن أن تتميز عن نظرية أخرى تعالج موضوعاً آخر في إطار النظرية السوسيولوجية.[2]
والنوع الثالث من الانتقادات نجده يركز على مسألة العلاقة بين الثقافة والمجال التي تعتبر مسألة إيديولوجية ... كل هذه الانتقادات نجدها بالأساس موجهة إلى ويرت من طرف مانويل كاستيلز الذي خصص فصل من كتابه المسألة الحضرية أسماه أسطورة الثقافة الحضرية، لتفنيد مفهوم الثقافة الحضرية ومفهوم التحضر عند ويرت، انطلاقا من نتائج أبحاث ميدانية تفند كلها – حسب كاستلز - العديد من نتائج واستنتاجات ومفاهيم ويرث وغيره من رواد مدرسة شيكاغو. ومع ذلك يبقى للنظرية الايكولوجية وزنها وأهميتها وبخاصة في القدر الهائل من البيانات والمعطيات الأمبريقية التي قدمتها عن المدينة في تاريخ علم الاجتماع الحضري.[3]

ويضيف كاستلز إلى هذا النقد ما يلي:

1 - لا تقدم النظرية الايكولوجية تفسيرات واقعية للظاهرة الحضرية المرتبطة بسياق تاريخي واجتماعي محدد، بسبب تركيزها على البعد الفيزيقي المكاني لمتغير مستقل، بمعنى تأثيره وتشكيله لعناصر ومقومات التنظيم الاجتماعي للمدينة.

2 - يرتبط تناول الظواهر الحضرية في ضوء المتغيرات الايكولوجية (المكانية) بعزل هذه الظواهر عن أصولها الاجتماعية وبتوجيه أيديولوجي يقلل من اجتماعية المشكلات الحضرية التي تعتبرها المدرسة الايكولوجية وكثير من علماء الاجتماع نتاج مواقع مكانية معينة أو بيئات طبيعية خاصة.

3 - تعكس الكثير من المفاهيم: المجتمع (La société)، الثقافة الحضرية (Culture urbaine)... إلخ، في الحقل الحضري توجها أيديولوجيا يحاول صرف نظرنا عن رؤية تناقضات البناء الاجتماعي وعدم إدراك وفهم الحقيقية المحلية، اختزال الواقع الحضري وتحويله إلى مجرد قضية فيزيقية، تكريس الأوضاع القائمة.

---

[1] فؤاد بن غضبان، فؤاد بن غضبان، **علم الاجتماع الحضري**، ط1، (عمان: دار الرضوان للنشر والتوزيع، 2014)، ص.41.

[2] السيد عبد العاطي السيد، **علم الاجتماع الحضري**، مدخل نظري، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1996)، ص ص.318.320.

[3] فؤاد بن غضبان، **مرجع سابق**، ص.41.

4 ـ المواقع المكانية التي يعتبرها أنصار علم الاجتماع الحضري تمارس تأثيرا مستقل عن العمليات الاجتماعية، (هي في الواقع مظاهر تفرعت عن الصراع الطبقي، بل أن المكان نفسه يتشكل أو يتحدد داخل السياق الاجتماعي والاقتصادي وأنه خارج هذا السياق لا يوجد للمكان أي معنى يذكر)

5 ـ يعترض كاستلز على أية إشكالية وظيفية أو بنيوية تعزل المجال السياسي والاقتصادي وتغفل الارتباط القائم بين السياسة والصراع الطبقي.[1]

ثانيا: ـ القضايا الأساسية لمدرسة شيكاغو:

1 ـ القضية الأولى: التقاليد البحثية لمدرسة شيكاغو.

مدرسة شيكاغو في علم الاجتماع، مدرسة ذات تقاليد بحثية اقترن اسمها بجامعة شيكاغو خلال العقود الأربعة الأولى من القرن العشرين، استطاعت أن تهيمن على علم الاجتماع في أمريكا الشمالية طوال تلك الفترة. تأثرت تقاليد هذه المدرسة بشدة بالنزعة الفلسفية البراخماتية، والملاحظة المكتسبة بالخبرة المباشرة، وتحليل العمليات الاجتماعية الحضرية. ويرتبط اسم مدرسة شيكاغو عادة بتلك القضايا الثلاث.

إن القضية الأولى، والأكثر شيوعا، هي اقتران اسم مدرسة شيكاغو بإجراء الدراسات الميدانية الامبريقية، في مقابل بعض الاتجاهات الأخرى الأكثر ميلا إلى التجريد والتنظير التي كانت تطبع أنشطة أغلبية علماء الاجتماع الأوائل في أمريكا الشمالية وقد أثمرت عدد كبيرا من الدراسات التي أصبحت تعد الآن، من كلاسيكيات الدراسات الامبيريقية في علم الاجتماع نذكر من بينها دراسة فريدريك ثراسر عن العصابة 1927، ودراسة كليفورد بعنوان عامل صالة القمار 1930، ودراسة نيلز اندرسون تحت عنوان المتشرد 1923، وغيرها. كما أثمرت تلك التوجهات أيضا ممارسة قدر كبير من التجريب على أدوات البحث. ومما يلفت النظر هنا تطوير أدوات مثل الملاحظة بالمشاركة ومنهج دراسة الحالة. ومع ذلك فمن الخطأ أن نرى في مدرسة شيكاغو مجرد معقل للمناهج الكمية، باعتبار أنها قادت الطريق إلى استخدام المسوح الاجتماعية والبحوث الإحصائية للمجتمعات المحلية، ورسم الخرائط الكمية للمناطق الاجتماعية وإبداع سجلات الوقائع الخاصة بالمجتمعات المحلية. باختصار، استطاعت مدرسة شيكاغو أن تطور تقليدا راسخا في استخدام المناهج الكيفية أيضا، وقد ارتبط ذلك باسم وليم أجبرن على وجه الخصوص، فضلا عن ذلك، فإن علم الاجتماع في مدرسة شيكاغو لم يكن عدوا للتنظير.[2]

ومن ثم فقد رأينا أن السمة الرئيسية لعلم اجتماع شيكاغو هي البحث التجريبي، والعمل الميداني الملموس، وأن هذا التوجه هو الذي أكسبه سمعته وتأثيره في علم الاجتماع العالمي.[3] وأن علم الاجتماع في شيكاغو تميز قبل كل شيء بالبحوث التجريبية والتي تمثل نقطة تحول في تأثير البحث الاجتماعي على المجتمع. ففي الواقع، وقبل ظهور هذه الأعمال التجريبية، كان البحث الاجتماعي موجهًا نحو "المسوحات الاجتماعية"، المشبعة جدًا بالأخلاق وأقرب إلى الصحافة الاستقصائية منها إلى البحث العلمي، وكمثال على ذلك بيتسبرغ في ظروف العمل. وبالمقابل، سوف يتسم الاتجاه التجريبي بإصرار الباحثين على

---

[1] إسماعيل قيرة، **علم الاجتماع الحضري ونظرياته**، (قسنطينة: منشورات جامعة منتوري، 2004)، ص.105.

[2] أنتوني جيدنز، **مقدمة نقدية في علم الاجتماع**، ترجمة احمد زايد وآخرون، ط2، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، جامعة القاهرة، 2006، ص.122.

[3] Alain Coulon, **que sais-je ? L'école de Chicago**, Cinquième édition, puf, P.59.

إنتاج المعرفة المفيدة لحل المشكلات الاجتماعية الملموسة.[1] وأن الخطوة الكبرى التي تمتعت بها هذه المدرسة – مدرسة شيكاغو-، وما تزال، تعود بالأساس لروادها الأوائل الذين كان لهم شرف الانتقال بعلم الاجتماع من الهواية إلى الاحتراف، ومن حالة النظر الانطباعي التأملي للظواهر والوقائع الاجتماعية إلى حالة النظر العلمي الاستكشافي، وذلك ما يتجلى في تأسيسهم لتقليد البحث الميداني في هذا العلم، وتمكنهم من ابتكار وتطبيق أهم التقنيات المنهجية التي لا زلنا نستعملها إلى اليوم، وبالخصوص تلك التي تنعت بالكيفية (دراسة الحالة، الملاحظة بالمشاركة وتحليل مضمون الوثائق الشخصية، وحكايا الحياة...).[2]

وفي هذا الإطار يرى مارتن بولمر أن كتاب الفلاح البولندي لوليام توماس وفلوريان زنانيكي يعد دراسة رائدة، لأنها نقلت علم الاجتماع من النظرية التجريدية والبحث المكتبي إلى دراسة العالم الامبريقي استنادا إلى إطار نظري... وعلى الرغم من تضاؤل أهمية بيانات هذا البحث حاليا، إلا أن منهجه لا يزال مهما. فقد تضمن هذا البحث مصادر عديدة للبيانات منها السيرة الذاتية، والكتابات المدونة، والخطابات الأسرية، والأرشيفات الصحفية، والوثائق العامة، والمكتبات الرسمية.[3]

ومن الواضح أن مفهوم البحث هذا سيحفز تقنيات معينة للبحث في هذا المجال، والتي سيتم تجميعها معًا تحت تعبير علم الاجتماع النوعي. فمن ناحية، سوف تستخدم المستندات الشخصية، مثل السير الذاتية والمراسلات الخاصة واليوميات والحسابات التي قام بها الأشخاص أنفسهم الذين يتعلق البحث بهم؛ ومن ناحية أخرى، فإن العمل الميداني، الذي يسميه باحثو شيكاغو أيضًا دراسات الحالة، والذي سيعتمد على تقنيات مختلفة مثل الملاحظة، والمقابلة، والشهادة، أو ما يسمى بملاحظة المشاركين، والتي يمكن أن تتخذ عدة أشكال. أخيرًا، تعتمد الكثير من الأبحاث التي أجريت في شيكاغو على عمل وثائقي يجب عرضه.[4]

ويمكن للمرء مع ذلك أن يأسف لأن المعلقين كانوا يميلون إلى طمس حقيقة أنه بين عامي 1930 و1940، بدأ علم الاجتماع الكمي في التطور بشكل متوازٍ، لكنه لا يزال هامشيًا باعتراف الجميع، ولكن من شأنه أن يرسم السمات المهيمنة التي كانت لعلم الاجتماع الأمريكي منذ الحرب العالمية الثانية. لذلك لم تكن شيكاغو مجرد عالم للنموذج النوعي، بل كانت أيضًا واحدة من بوتقات الانصهار للنموذج الكمي.[5]

وفي هذا الإطار يذهب روبرت بارك إلى القول بأنه "وإلى حدود اليوم فإن الانثروبولوجيا، علم الإنسان، قد كرست نفسها لدراسة الشعوب البدائية. ولكن الإنسان المتحضر هو أيضا موضوعا للبحث لا يقل أهمية، هذا بالإضافة إلى كونه أسهل للملاحظة والدراسة. إن الحياة والثقافة الحضريتين، أكثر تنوعا وأكثر دقة، وأكثر تعقيدا. إن المعطيات الأساسية هي نفسها في الحالتين: فنفس مناهج الملاحظة المتأنية التي استعملها أنثروبولوجيون من أمثال فرانز بواس (F.Boas) وروبرت لوي (R. Lowie) لدراسة حياة

---

[1] Alain Coulon, op.cit, P.03.

[2] عبد الرحمان المالكي، **مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة**، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، 2016، ص.07.

[3] مصطفى خلف عبد الجواد، **نظرية علم الاجتماع المعاصر**، ط2، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، 2011، ص.315.

[4] Alain Coulon, op.cit, P.58.

[5] Alain Coulon, **que sais-je ? ibid**, P.59.

ونمط عيش هنود أمريكا الشمالية يمكن تطبيقها وبطريقة أكثر خصوبة لدراسة العادات والمعتقدات والممارسات الاجتماعية، والتصورات العامة للحياة التي تهيمن في حي ليتل ايطالي (Little Italy) أو في الأحياء الواطئة في النورث ساید (North Side) في شيكاغو".[1]

وإلى جانب ذلك تمتد استطلاعات تشارلز بوث لأنماط حياة الفقراء في لندن من عام 1886 إلى عام 1903. وهي تقدم وجهة نظر عقلانية وإحصائية للفقر الحضري في استمرارية حركة النظافة. وفقًا لعنوانهم، العمل وحياة الناس، فإنهم يعتمدون على مسح مزدوج حسب المنطقة ومجموعة النشاط الصناعي. تتكون طريقة جمع البيانات من تجميع إحصائي لملفات الأسر، تم وضعه من قبل خبراء من المنظمات الخيرية والمخبرين الإداريين والمعلمين والشرطة ورجال الدين. ينشئ بوث (Booth) تصنيفًا اجتماعيًا يميز بين "الحالة الاجتماعية" في الشركة و"ظروف" الحياة. على المستوى الحضري، يتمثل ابتكاره في إدخال رسم الخرائط الإحصائية. وكما لاحظ كريستيان توبالوف (Topalov Christian)، فإن هذا الاختيار ليس بريئًا في الوقت الذي يوصي فيه علم تحسين النسل بتعقيم "غير الأسوياء"، وهي إحدى الفئات التي حددها بوث. على الرغم من أن غالبية العلماء في ذلك الوقت اعتبروا أن سوء التكيف الاجتماعي وراثي، اعتقد بوث أن البيئة الحضرية كانت مسؤولة عن العلل الاجتماعية التي لاحظتها الطبقات الحاكمة. بالنسبة له، الفقر ظرفي، ومتغير اعتمادًا على التكوين الاجتماعي للشوارع التي يدرسها. تجد إجراءات تخطيط المدن العامة أساسًا في هذا التداخل بين التحليلات الاجتماعية والمكانية: "بمجرد أن تستحوذ الفئة أ (الأكثر فقرًا) على الشارع، فإنها تنضج للتدمير ويجب تدميرها. [...] يجب أن تقود الدولة سياسة التشتت المستمرة لمحاربتها "[استشهد بها توبالوف]. تثبت خريطة الفقر التي وضعها بوث لكل شارع من شوارع لندن أنها أداة لا غنى عنها في أيدي الحكام.[2]

ومن كل هذا، طورت مدرسة شيكاغو مجموعة من الافتراضات والموضوعات القياسية في عملهم. وكان الافتراض الأساسي لمدرسة شيكاغو هو أن المنهجيات النوعية، وخاصة تلك المستخدمة في الملاحظة الطبيعية، هي الأنسب لدراسة الظواهر الحضرية والاجتماعية. جلب هذا القرب الإثنوغرافي من البيانات ثراءً وعمقًا كبيرين لعمل شيكاغو. ومع ذلك، فإن الاعتماد المفرط على الأساليب النوعية، مع استبعاد المقاييس الكمية المعقولة، أصبح لاحقًا أحد أكبر التزامات المدرسة. بالنسبة لمدرسة شيكاغو، كانت المدينة نفسها ذات قيمة قصوى كمختبر لاستكشاف التفاعل الاجتماعي.[3]

وإلى جانب ذلك أيضا، نجد روبرت بارك وهو أحد أبرز رواد مدرسة شيكاغو، يحث طلبته على ألا يقتصروا في أبحاثهم على الإحصائيات الرسمية أو الوثائق المحفوظة في الرفوف، ولكنه كان يدعوهم للسعي إلى تجميع وثائقهم بأنفسهم من خلال الاتصال المباشر بالأفراد المبحوثين، أي عن طريق ما كان يسميه بالملاحظة في عين المكان وعن طريق المقابلة.[4]

---

[1] عبد الرحمان المالكي، **مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة**، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، 2016، ص.85.

[2] Fijalkow yankel, **Sociologie des villes**, la découverte, P. 34.

[3] Wayne G. Lutters, Mark S. Ackerman, op.cit, p.03.

[4] عبد الرحمان المالكي، **مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة**، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، 2016، ص.85.

ومن ثم فإن المنهجية المعتمدة من طرف رواد مدرسة شيكاغو وتلامذتهم هي التي تنطلق من الفرد، الفاعل الاجتماعي... فمن أجل فهم سلوك فرد ما، ينبغي علينا أن نعرف أولا كيف يدرك وضعيته، والعراقيل التي يعتقد أنه سيواجهها، والبدائل التي يرى أنها مفتوحة أمامه، ولا يمكننا أن نفهم حقل الفرص المتاحة، والثقافات الفرعية للانحراف، والمعايير الاجتماعية، وغيرها من التفسيرات الجماعية لكل سلوك إلا إذا اعتبرناها من وجهة نظر الفاعل.[1]

2 ـ القضية الثانية لمدرسة شيكاغو: (المدينة كـ "مختبر اجتماعي").

في الولايات المتحدة، ولدت الدراسات الحضرية وعلم الاجتماع معًا. تم إجراء الاستطلاعات الأولى للمدينة وأحيائها في شيكاغو من قبل المؤلفين الذين يعتبرون غالبًا الآباء المؤسسين للاتجاه، وقد ساهمت المسوحات الأولى إلى حد كبير في تطوير علم الاجتماع. ففي غضون قرن من الزمان، نما هذا الحقل الفرعي ليصبح أحد أهم الحقول.[2]

وخاصة منها المتعلق بدراسة المدينة. فهنا، وفي واحدة من أسرع المدن نموا في أمريكا الشمالية في بداية القرن، بكل ما يصاحب ذلك من مشكلات الهجرة، والجناح، والجريمة، والمشكلات الاجتماعية، أصبحت الدراسة السوسيولوجية للمدينة فرعا مستقلا من فروع علم الاجتماع. وتعود العديد من جذور علم الاجتماع الحضري إلى تقاليد هذه المدرسة، سواء من الناحية الوصفية، حيث تم رسم خرائط لمناطق المدينة (رتبت في سلسلة من المناطق الدائرية المتحدة المركز)، تبدأ من قلب المدينة، وتنتهي بالحزام الخارجي للمتنقلين يوميا، أو من الناحية النظرية في ضوء محاولات تفسير ديناميات نمو المدينة وتغيرها.

وظلت إسهامات مدرسة شيكاغو في علم الاجتماع التي سادت خلال العقدين الأولين من القرن الماضي تهيمن –حتى وقت قريب - على الحوار حول الدراسات الحضرية.[3]

وبالنسبة لباحثي مدرسة شيكاغو، يقدم مفهوم "الإنسان في موطنه الطبيعي" الموضوع الأول، وهو أن الاستعارة البيولوجية والنماذج البيئية كانت أدوات تأطير مناسبة لمناقشة العلاقات الاجتماعية الحضرية.[4] وفي محاولة لفهم سبب تنوع التنمية والاستخدام على مستوى المدينة، تم اعتبار الأرض والثقافة والسكان كلاً لا يتجزأ. كان بيرجس أحد المؤيدين الرئيسيين لهذا الاستكشاف القائم على الجغرافيا، وطور تدريجيًا نظرية تتوسع باستمرار، أو تنضج، لدوائر متحدة المركز لاستخدام الأراضي داخل المدينة.[5]

ومن جهة أخرى، كافح باحثون آخرون على مستوى أصغر لمعرفة: سبب جذب مناطق معينة من المدينة لسكان محددين، وأظهرت أنماطًا معينة من الاستخدام. والأساس المنطقي لذلك، هو التحيز للتوازن الجغرافي، قيمة الأرض، السكان، والثقافة. كما استكشفوا فكرة المكانة البيئية أو "المنطقة الطبيعية". يصف ويرث المفهوم ببساطة بأنه "تناسب كل منطقة في المدينة وظيفة واحدة أفضل من أي وظيفة أخرى" في مثل هذا التطور. كانت الجيوب العرقية ومناطق "الأحياء الفقيرة" ذات الدخل المنخفض في كثير من الأحيان محور

---

[1] عبد الرحمان المالكي، **المرجع السابق**، ص.87.

[2] Angèle Christin Etienne Ollion, **La sociologie aux Etats-Unis aujourd'hui,** la découverte, p.48.

[3] أنتوني جيدنز، **مقدمة نقدية في علم الاجتماع**، ترجمة احمد زايد وآخرون، ط2، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، جامعة القاهرة، 2006، ص.122.

[4] Wayne G. Lutters, Mark S. Ackerman, op.cit, p.03.

[5] Wayne G. Lutters, Mark S. Ackerman, ibid, p.04.

الدراسة، مع العديد من العوامل المشاركة في مثل هذه التطوير. بالنسبة لباحثي مدرسة شيكاغو، نادرًا ما توجد هذه المناطق الطبيعية في عزلة؛ بدلاً من ذلك، كانت المناطق على الدوام في علاقة تكافلية أو تنافسية مع بعضها البعض. قد يكون لبعض "الغزوات" في مجتمع مستقر، مثل التكنولوجيا الجديدة أو السياسة أو مجموعة الناس، تأثيرات مختلفة اختلافًا جذريًا في مناطق طبيعية مختلفة.. كانت هذه المناطق الطبيعية أيضًا دائمًا في حالة تدفق، حيث كانت تتنقل عبر مراحل نمو مختلفة".[1]

وكان التركيز الموضوعي الأخير، الموجود كخيط في العديد من الموضوعات المذكورة أعلاه، يتعلق بالتهديدات المحتملة للنظام الاجتماعي. كان هذا نضجًا منطقيًا للاهتمام بالجريمة والانحلال الحضري. بعض القوى المقلقة التي اكتشفوها كانت التنقل، والعبور، وعدم الكشف عن الهوية، وعدم التوازن بين الجنسين.[2]

وبالعودة إلى تاريخ السوسيولوجيا الحضرية يلخص لنا كاستلز ذلك بالقول أن تناول المدينة كمتغير سوسيولوجي قد بدأ مع مدرسة شيكاغو... فانطلاقا من تصور بارك وبيرجس يرى كاستلز أن السوسيولوجيا الحضرية كانت ولا زالت تتعامل مع موضوعها النظري المفترض من منظورين إثنين أولهما (بارك) ينطلق من اعتبار المدينة كمتغير مستقل. وثانيهما (بيرجس) ينطلق من إعتبار المدينة كمتغير تابع".[3] ففي المشروع الذي اقترحه بارك يمكننا الوقوف على كل السيرورات التي كرست السوسيولوجيا كل جهودها من أجل فهمها. فكل ما يجري في السياق الحضري يمكن أن يشكل موضوعا للدراسة، ولكن باعتبار التزايد المطرد للساكنة الحضرية في المجتمعات الصناعية، فإن كل علم المجتمع سيصبح إذن سوسيولوجيا حضرية... ومع ذلك وإذا ما تفحصنا أهم أعمال مدرسة شيكاغو فإننا سنجد أن موضوعها الرئيسي ليس أساسا هو كل ما يجري في المدينة ولكن (ونحن هنا لا نفعل سوى التذكير بواقع معروف) سيرورات سوء التنظيم الاجتماعي وعدم تكيف الأفراد، واستمرار وجود الثقافات الفرعية المستقلة المنحرفة أو غير المنحرفة ومدى مقاومتها للاندماج.[4]

وعلى ذلك فالمجال الحضري مجال مبنيا (Structure) أي أنه مجال منظم بشكل غير عفوي. وكل أشكال تنظيم المجال تعبر خلال كل مرحلة تاريخية عن نوع التنظيم الاجتماعي السائد. وهذه العلاقة بين التنظيم الاجتماعي والبنية الحضرية هو ما شغل فكر وعمل مدرسة شيكاغو الأولى التي أسس روادها ما أسموه الايكولوجيا الحضرية. والتي تجسدت أهم ملامحها بالخصوص مع نظرية إرنست بيرجس حول نمو المدينة. والتي ترى أن البنية الايكولوجية للمدينة هي عبارة عن فسيفساء من المناطق التي تتميز كل واحدة منها عن الأخرى بهيمنة نوع معين من السكان. ونوع معين من النشاط الاقتصادي.[5]

ولذلك يميل رواد مدرسة شيكاغو إلى إعتبار المجال (الايكولوجيا) عاملا حاسما في تحديد سلوك وقيم القاطنين فيه. ذلك أن المسألة الأساسية التي يثيرها التحليل الايكولوجي هي

---

[1] Wayne G. Lutters, Mark S. Ackerman, ibid, p.04.

[2] Wayne G. Lutters, Mark S. Ackerman, **ibid**, p.06.

[3] عبد الرحمان المالكي، **الثقافة والمجال دراسة في سوسيولوجيا التحضر والهجرة في المغرب**، منشورات مخبر سوسيولوجيا التنمية الاجتماعية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز، فاس، المغرب، 2015، ص.14.

[4] عبد الرحمان المالكي، **المرجع السابق**، ص.15.

[5] عبد الرحمان المالكي، **المرجع السابق**، ص.57.

العلاقة بين الفرد ووسطه (بمعنى البيئة الطبيعية والاجتماعية) وتحديدا التأثير الذي يمكن أن يمارسه هذا الوسط على سلوك ومواقف ومعتقدات الأشخاص.[1] ومن ثم أجروا سلسلة كبيرة من الدراسات حول القضايا التي تواجه مدينة شيكاغو. وكرسوا العديد من أعمالهم لمشكلة سياسية واجتماعية كبرى، والتي كانت تتعلق بعد ذلك بجميع المدن الأمريكية الكبرى والمتعلقة بالهجرة واستيعاب الملايين في المجتمع الأمريكي.

ومع ذلك، فمن الممكن القول بأن الدافع إلى تطوير المدخل النظري والإمبريقي الموحد في الدراسات الحضرية كان نتاجا لتطور علم الاجتماع الحضري في أمريكا وبخاصة في جامعة شيكاغو. حيث انتقل تطوير النظرية الحضرية من أوروبا إلى جامعة شيكاغو خلال الثلث الأول من القرن العشرين، واستطاع قسم علم الاجتماع بجامعة شيكاغو برئاسة روبرت بارك أن يقدم سلسلة من الدراسات النظرية والامبريقية عن الحياة الحضرية ارتكزت أساسا على البحث في مدينة شيكاغو.[2] وتشكل شيكاغو بالنسبة لعلماء الاجتماع في الجامعة المحلية، مختبرا اجتماعيا حقيقيا. وبالتالي ستشكل دراسة التأثيرات التي ستحدثها المدينة على الواصلين الجدد، برامج بحث في الايكولوجيا الحضرية.[3]

ذلك أن توصيف مدينة شيكاغو من قبل الباحثين في جامعة شيكاغو على أنها "مختبر اجتماعي" ينبع من التحقيق الرائد الذي أجراه في بيتسبرغ، بول كيلوج (Kellogg) (1909-1914). تحت رعاية مؤسسةSage Foundation، ولكن أيضًا إلى حد ما من الدراسة التي أنتجها تشارلز بوث (1967) في نهاية القرن التاسع عشر حول فقراء لندن. تم تسجيل تحقيق Kellogg، المخصص لدراسة ظروف العمل والسكن والصحة والتعليم للسكان العاملين والمهاجرين الذين يعيشون في العاصمة الفولاذية للولايات المتحدة، في مجموعة ببليوغرافية واسعة النطاق، بما في ذلك ستة مجلدات مصحوبة بالعديد من المنشورات الإضافية. سيؤكد العمل في بيتسبرغ، "والتي تعد رمزا بامتياز للمدينة الصناعية الأمريكية":

1 ـ فكرة أن "المجتمع الحضري، في نموه وتنظيمه، يمثل مجموعة معقدة من الاتجاهات والأحداث التي يمكن تصورها ودراستها بشكل منفصل"؛

2 ـ "الفكرة القائلة بأن المدن المختلفة متشابهة بدرجة كافية بحيث يمكن، ضمن حدود معينة، افتراض أن ما يتعلمه المرء عن إحداها صحيح بالنسبة للآخرين".[4]

لكن في الواقع، لدى باحثي شيكاغو طموح أوسع، كما يرغبون، يتذكر راولين، "استخدام المدينة كمختبر لتحليل الطبيعة البشرية: وذلك لأنها مصدر ومركز التغيير الاجتماعي، ولأنها مساحة حرية تتسامح مع الاختلافات، بل وحتى الانحرافات، يجب أن تجعل من الممكن التحقيق ومراقبة الروح البشرية كما لو كانت من منظور مكبر (شامل). لقد فقد العالم الحضري البعد المقدس الذي كان يتمتع به في العصور القديمة، وهو يقدم اليوم طابعًا تجريبيًا وواقعيًا يحفز بشكل خاص الباحث في العلوم الاجتماعية.

---

[1] عبد الرحمان المالكي، **المرجع السابق**، ص.60.

[2] سعيد ناصف، **علم الاجتماع الحضري، المفاهيم والقضايا والمشكلات**، ط1، (مصر: دار الكتب والوثائق القومية، 2006)، ص.72- 73.

[3] فيليب كابلان وجان فرانسوا دورتيه، **علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية**، أعلام وتواريخ وتيارات، ص.94.

[4] Jean-Marc Stébé, Hervé Marchal, Introduction à la sociologie urbaine, 2 eme, Paris, Armand Colin, 2019, P.77.

ولهذا يتم تحليل المختبر الاجتماعي – المدينة - في شيكاغو انطلاقا التوزيع المكاني للمجتمعات العرقية المختلفة، ومن منظور بيئي، ويوضح علماء الاجتماع أن موجات المهاجرين المتتالية تمكنت من تحويل البيئة الطبيعية للمدينة المضيفة من أجل التكيف معها بشكل أفضل. فالإيكولوجيا الحضرية، مثل علم البيئة الحيواني الذي وضعه داروين نظريًا، يجعل من الممكن، وفقًا لهم، التفكير في العلاقات بين المجتمعات من حيث المنافسة أو الهيمنة أو الصراع أو التعايش. من هذا التوجه النظري، من الممكن بعد ذلك رسم بانوراما لمختلف "المناطق الحضرية" هيكلة مورفولوجيا مدينة شيكاغو. إن التفكير في المدينة بهذه المصطلحات يرقى إلى تحديد المجتمعات الحضرية المرتبطة بنماذج ثقافية أو أخلاقية معينة والتي، هي مجتمعة، تنتهي بتشكيل كوكبة من المناطق الحضرية. وبالتالي يمكن تمثيل المدينة على أنها فسيفساء من المجتمعات الفرعية التي تعيش ضمن حدود مكانية دقيقة.[1]

وضمن هذا الإطار تتعايش طريقتان للمدينة في نصوص مدرسة شيكاغو المكتوبة بين عامي 1914 و1939. يشير المفهوم الأول إلى تقنيات البحث الاجتماعي في المناطق الحضرية، والتي مارسها بالفعل تشارلز بوث في نهاية القرن التاسع عشر في إنجلترا. تدرس المدينة كتكوين مكاني متغير، وتكشف العلاقات بين المجموعات الاجتماعية. النهج الآخر، الذي طوره عالم الاجتماع الألماني جورج سيميل حوالي عام 1900، يرى أن المدينة هي حالة ساكن المدينة، مما يعني تعبئة مواقفه.[2]

ومن ثم فهذه المقاربة تدور حول ثلاثة مباني مركزية:

أولاً، يجب دراسة المدينة بطريقة مستقلة، أي معزولة. إنها الوحدة الأساسية التي يمكن من خلالها فهم كل من التنظيم المكاني، عواقب طريقة الحياة الحضرية على الأفراد. ثم دعا مؤلفو شيكاغو إلى إتباع نهج داخلي، والذي يأخذ المدينة وديناميكياتها كأشياء وعوامل أساسية في تنظيم الفضاء. ثم المدينة هي مكان المنافسة للوصول إلى أفضل أرض. كما في حالة بيولوجيا النبات التطورية، التي استعار المؤلفون منها مصطلح "علم البيئة"، تقاتل مجموعات مختلفة للوصول إلى المناطق الأكثر قيمة في الفضاء الحضري. أخيرًا، هذه التفاعلات المحلية التي تحدد تنظيم الفضاء لها عواقب على ذاتية الأفراد وأسلوب حياتهم. بلغة مؤيدي البيئة الحضرية، فإن المستوى "الحيوي" يضبط المستوى "الثقافي".[3]

3 ـ القضية الثالثة: مدرسة شيكاغو والتفاعلية الرمزية.

وأما القضية الثالثة التي نبعت من مدرسة شيكاغو فتتمثل في صيغة مميزة لعلم النفس الاجتماعي، مشتقة جزئيا من قسم الفلسفة الحليف، وبخاصة من كتابات جورج هربرت ميد. وقد ركز هذا التقليد على خلق وتنظيم الذات، وهو ما عرف فيما بعد عبر كتابات هربرت بلومر باسم التفاعلية الرمزية.[4]

فالمعلوم أن أول قسم لعلم الاجتماع بجامعة شيكاغو أسس عام 1892، وكان مشهورا بشئين: الأول هو اهتمامه بالدراسات الحضرية – ويتوافق هذا مع موقعه في مدينة كبيرة-، والثاني تأييده للتداخل الرمزي. أخذت الدراسات الحضرية من شيكاغو مسرحا أو معملا

---

[1] Jean-Marc Stébé, Hervé Marchal, **ibid**, P.77-78.

[2] Fijalkow yankel, **Sociologie des villes**, la découverte, P. 34.

[3] Angèle Christin Etienne Ollion, **La sociologie aux Etats-Unis aujourd'hui,** la découverte, p.49.

[4] أنتوني جيدنز، **مقدمة نقدية في علم الاجتماع**، ترجمة احمد زايد وآخرون، ط2، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، جامعة القاهرة، 2006، ص.122.

لتجاربها، وهذا بدوره أدى إلى الإهتمام بالتداخل الرمزي الذي يلقي الضوء على الطريقة التي يتداخل بها الناس مع بعضهم البعض في مواقف متشابكة.

وعلى ذلك لم ينظر علماء الاجتماع في شيكاغو إلى المجتمع كوحدة واحدة، أو كنظام شامل يفرض سيطرته على كل شيء، ولكنهم كانوا ينظرون إلى مجموعات صغيرة، وكيف تستطيع اكتساب مكانتها في المجتمع. ولأن شيكاغو كانت سريعة النمو والتغير، وكانت تضم جماعات عرقية متعددة، استطاعوا أن يروا أمام أعينهم نظاما اجتماعيا جديدا.[1]

والخلاصة أن ثمة علاقة بين اهتمام مدرسة شيكاغو بما يعرف بالتداخل الرمزي والمعاني التي يضفيها الأفراد على البيئة التي يعيشون فيها، أو بمعنى أخر، يتعلق الأمر بقضية الهوية والانتماء الاجتماعي والطريقة التي يتعلم بها الناس ثقافتهم ويعيدون إنتاجها.[2]

ثالثا: ـ تقييم التراث النظري الأمريكي الكلاسيكي.

وصل علم الاجتماع في شيكاغو إلى الذروة في عشرينيات القرن العشرين، غير أن قسم علم الاجتماع بدأ يفقد وضعه من حيث أهميته المحورية في علم الاجتماع الأمريكي منذ الثلاثينات. وقد أشار ماثيوس إلى عدة أسباب وراء تضاؤل أهمية مدرسة شيكاغو في علم الاجتماع، ونشير هنا إلى أهم سببين منها:

أولهما أن علم الاجتماع انشغل انشغالا واضحا بالنزعة العلمية بمعنى استخدام المناهج الدقيقة والاعتماد على التحليل الإحصائي، أما مدرسة شيكاغو فقد ركزت على الدراسات الاثنوجرافية الوصفية التي تهتم في الغالب بالاتجاهات الشخصية للفرد (أو بتحديد الموقف إذا استعرضنا مصطلح توماس). وقد أظهر بارك استخفافه بعلم الإحصاء (الذي أطلق عليه السحر المخيف، لأنه يحول دون تحليل الذاتي والخاص. والحقيقة أن هناك دراسات هامة في المناهج الكمية قدمتها مدرسة شيكاغو)، إلا أن إرتباط هذه المدرسة ارتباطا طاغيا بالمناهج الكيفية أدى إلى تجاهل هذه الدراسات.

وثاني هذين السببين أن هناك عددا كبيرا من الأفراد خارج مدرسة شيكاغو أظهررو امتعاضهم من هيمنة هذه المدرسة على الجمعية الأمريكية لعلم الاجتماع (ASS) والمجلة الأمريكية لعلم الاجتماع (AJS). ولذلك تأسست الجمعية الشرقية لعلم الاجتماع (ESS) عام 1930، وأصبح علماء الاجتماع الشرقيون أكثر احتجاجا بصفة علنية على هيمنة الغرب الأوسط بصفة عامة، وشيكاغو بصفة خاصة. وقد أدت الثورة على شيكاغو إلى تشكيل سكرتارية لرابطة علم الاجتماع من خارج شيكاغو، وإصدار مجلة رسمية جديدة باسم مجلة علم الاجتماع الأمريكية (ASR) عام 1935.[3]

ومع ذلك يتضح من خلال تتبعنا لتراث مدرسة شيكاغو الأمريكية الكلاسيكية، في علم الاجتماع الحضري أن لها مواطن من الضعف، ومواطن أخرى من القوة، وبالتالي لا يمكن أن تكون كافية لتفسير ظواهر الحياة الحضرية ذات الأبعاد والجوانب المتعددة والمتغيرات المتباينة، مما جعل البعض يذهب إلى أن تراثها "كتب بطريقة انطباعية، وأنها تفتقر إلى التحليل العلمي التفسيري والمعلومات المتعمقة عن الحياة في المدينة، ومع هذا فإن هذه

---

[1] ريتشارد أوزبرن وبورن فان لون، **أقدم لك علم الاجتماع**، ترجمة حمدى الجابرى، ط1، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2005)، ص83-84.

[2] ريتشارد أوزبرن وبورن فان لون، **المرجع السابق**، ص.88.

[3] مصطفى خلف عبد الجواد، **نظرية علم الاجتماع المعاصر**، ط2، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، 2011، ص.323.

النظريات استطاعت أن تمس أهم المشكلات والقضايا التي تواجه الإنسان ساكن المدينة وأن تقدم أسسا نظرية للدراسات والبحوث التي تجري في علم الاجتماع الحضري المحاصر".[1]

- حيث أنه من ايجابيات مدرسة شيكاغو أنها قدمت تحليل لعناصر المدينة وحياتها الاجتماعية التي لا تتوفر في مواقع أخرى.
- وعلى الرغم من الإسهامات التي قدمتها مدرسة شيكاغو، إلا أن التحليل المعمق للأعمال المبكرة لهذه المدرسة الفكرية يؤكد على حقيقة هامة مؤداها أن مؤسسي المدرسة شانهم في ذلك شأن الأوروبيين قد استجابوا لنوع معين من المدن وهو المدينة الرأسمالية الغربية والتي قطعت شوطا كبيرا في مجال التقدم الصناعي. الأمر الذي يجعلها تتميز بصفات خاصة سواء على مستوى البحث أو النظرية.
- فضلا عن أن تراث مدرسة شيكاغو المبكر خلا تماما من أي تحليلات تاريخية مقارنة. مما يعني قصورا واضحا على المستوى المنهجي.[2]
- إن تصميم بارك الكبير على الدراسات الواقعية مع اهتمامه بالتفكك والمشكلات الحضرية قاده وزملاءه إلى التركيز على الجانب المؤلم من حياة المدينة أكثر من الجوانب الأخرى.
- ومع ذلك يجب أن لا ننسى الإسهامات العظيمة لجماعة شيكاغو فإلى بارك يرجع الفضل الأول بصورة مستمرة في استنتاجه أهمية دراسة المدينة، حيث ذهب إلى عدم كفاية النظريات المكتبية وأنه على علماء الاجتماع الحضري الخروج الفعلي والملاحظة المباشرة لحياة المدينة، وكان الإسهام الثاني لنظرية ويرث هو الربط بين رؤى التراث الأوروبي والدراسات التي اعتمدت على الملاحظة لجامعة شيكاغو.[3]
- ومن أوجه النقد "في حالة علم الاجتماع الأمريكي، ما تكشفه العديد من الأدلة من أن الحدود الوطنية لا تزال مهمة. فلطالما درس غالبية الباحثين بلادهم وأن الببليوجرافيات كانت أيضًا إلى حد كبير من أمريكا الشمالية. بدلاً من أن يكون علم الاجتماع عالميًا أو أمريكيًا أو حتى أمريكيًا شماليًا".[4]

II: - نظرية (Ernest Burgess)، الاندماج الاجتماعي وعلاقته بالحراك المجالي والاجتماعي.

أولا: - إرنست بيرجس ونظرية الدوائر المركزية:

1 - التعريف بإرنست بيرجس (1886-1966):

ولد بيرجس في 16 ماي 1886 في تيلبري (Tilbury) بكندا، وتوفى عن ثمانين عاما، في 27 ديسمبر 1966 في شيكاغو.. ويعتبر عالم الاجتماع الأمريكي إرنست واطسن بيرجس واحدا من أشهر أقطاب مدرسة شيكاغو التي تعتبر مركز البحوث الايكولوجية، فقد نجحت بحوثه ودراساته المتنوعة التي اهتم فيها بقضايا علم الاجتماع الحضري، ومعالجة

---

[1] محمد ياسر الخواجة، **علم الاجتماع الحضري، بين الرؤية النظرية والتحليل الواقعي**، (مصر العربية للنشر والتوزيع، 2010)، ص ص.64.63.

[2] سعيد ناصف، **علم الاجتماع الحضري، المفاهيم والقضايا والمشكلات**، ط1، (مصر: دار الكتب والوثائق القومية، 2006)، ص.83.

[3] وجدي شفيق عبد اللطيف، وجدي شفيق عبد اللطيف، علم الاجتماع الحضري والصناعي، (مصر: دار المصطفى للنشر والتوزيع، 2005)، ص ص.82.81.

[4] Angèle Christin Etienne Ollion, **La sociologie aux Etats-Unis aujourd'hui,** la découverte, p.05.

أوضاع العائلة كوحدة اجتماعية، وبطبيعة العلاقة بين الفرد والمجتمع، وصور السلوك الاجتماعي المختلفة.. وانصب اهتمامه على دراسة مناطق التحول والأحياء المتخلفة التي تسهم في ظهور الجريمة والانحراف والأمراض الاجتماعية وما إلى ذلك من صور التفكك الاجتماعي والعائلي.[1]

يرى بارك، بيرجس، وويرث، أن تحديد المستوطنات الحضرية، وتوزيع الأحياء السكنية، ينسجمان مع هذا النموذج الايكولوجي في العالم الطبيعي. فالمدن لا تنشأ جزافا، وإنما تبرز استجابة لما تقدمه البيئة من إغراءات ومنافع.[2]

ومن جهة أخرى، ركز بيرجس على عمليات التفاعل بشكل يظهر فيه تأثير مدرسة شيكاغو كمدخل لدراسة المجتمع، ضمن المداخل الأخرى، سواء منها تلك التي تركز على القيم والمعايير الاجتماعية كما نجد عند سمنر على سبيل المثال، أو على الطبقة والمصلحة والصراع مثلما هو عند ماركس أو اهتمت بالفعل الاجتماعي على ما نجد عند بارسونز، وبدلا من ذلك ركز بيرجس اهتمامه على دراسة التفاعل الاجتماعي، حيث أكد على مسئولية علم الاجتماع في تحليل وتصنيف العلاقات الاجتماعية، لا لأنها تمثل فحسب شيئا مشتركا أو شائعا، ولكن لأنها تمثل أيضا طريقة أساسية لتنظيم المعلومات والحقائق الاجتماعية، على اعتبار أن المجتمع يمكن النظر إليه كنسق من العلاقات الاجتماعية.[3]

2 ـ إرنست بيرجس ونظرية الدوائر المركزية (1886-1966):

لقد قدم بيرجس (Burgess) إسهاما متميزا، وأثرى المعرفة العلمية بشكل كبير، حيث جاء هذا الإسهام عبر دراسته لمدينة شيكاغو، وكانت انطلاقته المنهجية، تعتمد على نموذج لنمو المدينة وتنظيمها المجالي مستخدما مخطط مدينة شيكاغو كأساس لبحثه.

ولهذا تعتبر نظرية بيرجس التي قدمها عام 1925 عن الدوائر المتحدة المركز وقد يطلق عليها اسم نظرية المناطق المتمركزة أو نظرية الفرض الحلقي، من أولى المحاولات وأهم النظريات التي بذلت في التحليل الايكولوجي للمدن، ويفترض (بيرجس) في هذه النظرية أن نمو المدينة يأخذ شكل سلسلة من الدوائر المتتالية، وتختلف كل دائرة أو منطقة في طريقة استخدام الأرض. بحيث أن البناء الداخلي للمدن يمكن أن يتبلور حول دوائر تتحدد في مركزها، حيث تضم كل دائرة لونا من النشاط، وأن المحور الرئيسي تتركز حوله النشاطات المختلفة، أي أن توزيع السكان والخدمات في المدينة يتم في شكل حلقات حول مركزها الرئيسي.[4]

ومن ثم فقد تحقق أكبر انجاز للنظرية الايكولوجية في صورتها الأولى على يد أرنست بيرجس وبخاصة فيما قدم من تصور نظري خاص للنمط الايكولوجي للمدينة، حيث عالج بيرجس نمو المدينة في ضوء امتدادها الفيزيقي وتمايزها في المكان، وأن هذه الحلقات الخمس تمثل في نظره مناطق متتابعة من الامتداد الحضري، وهو في تأكيده لهذا الوصف الفيزيقي ذهب إلى أن ظاهرة النمو الحضري هي نتيجة لازمة لعمليات التنظيم والتفكك في

---

[1] محمود أبو زيد، **أعلام الفكر الاجتماعي والانثروبولوجي المعاصر**، ج1، (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 1998)، ص.164.

[2] أنتوني جيدنز، **علم الاجتماع**، ترجمة فايز الصياغ، ط4، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005، ص.599.

[3] محمود أبو زيد، **مرجع سابق**، ص.165.

[4] سعيد ناصف، **مرجع سابق**، ص.77.

نفس الوقت، تشبه تماما عمليات الهدم والبناء في الكائن العضوي.[1] ولا تقتصر الدراسة الايكولوجية من وجهة نظره على مجرد وصف النمو الفيزيقي للمدينة، بل تمتد إلى لتشمل دراسة نتائج هذا النمو وأثاره على التنظيم الاجتماعي والشخصية... وهدف من خلال نموذجه المثالي الذي قدمه أن يكشف عن القوى الدينامية الكامنة والتي تحكم نمو المدينة، وما يترتب عليها من تغير في بنائها الايكولوجي. وخلص إلى انه مع الانتقال من مركز المدينة إلى أطرافها الخارجية تميل معدلات الانحراف والمعدلات النوعية للتركيب السكاني ونسبة الأجانب والأقليات العنصرية إلى التناقص التدريجي، على عكس ملكية المسكن التي تأخذ في الارتفاع المطرد بالابتعاد عن مركز المدينة.[2] وهذا التنميط الذي قدمه يكشف – على حد تعبيره- عن ميل المدينة إلى التوسع والامتداد، الأمر الذي يدفع المناطق الداخلية إلى غزو المناطق التي تحيط بها، ومن ثم يحدث نوعا من التوسع.[3]

وانطلاقا من ذلك فإن المدينة تنمو على شكل حلقات ودوائر متناقصة ومتعددة المراكز وهي:[4]

أ ـ منطقة الأعمال المركزية:

وتسمى منطقة الأعمال المركزية، وتقع هذه المنطقة في مركز المدينة وهذا المركز هو بؤرة الحياة التجارية للمدينة التي يوجد فيها النشاط التجاري حيث توجد في وسط المدينة وتوجد فيها المحلات التجارية الكبرى. وهي منطقة يسهل الوصول إليها من أي نقطة داخل المدينة، وفيها ترتفع أسعار الأراضي، وتتركز فيها الأنشطة التي تحتاج إلى موقع مركزي وتتحمل أسعار الأرض المرتفعة، وتحتل هذه المنطقة ناطحات السحاب، المحلات التجارية، والفنادق والمطاعم، والمسارح، والمتاجر المتخصصة، وتنتشر فيها سياحة التسوق.

هذه الخاصية جعلت منها محل اهتمام وطلب متزايد، وهو ما أدى إلى ارتفاع أسعار الأراضي، الشيء الذي أدى ببرجس إلى القول أن الأعمال التي تؤدي إلى تحقيق الأرباح باستخدام الأرض بكثافة تجعل من المنطقة المركزية محط نشاطها.

ب ـ المنطقة الانتقالية أو التحول:

وهي تحيط بمنطقة الأعمال المركزية ويطلق عليها اسم منطقة التحول أو المنطقة الانتقالية وتسكنها جماعات ذات مستوى اجتماعي اقتصادي منخفض، بالإضافة إلى المهاجرين الريفيين. وتتميز بالتغير المستمر والكثافة السكانية العالية وضعف المستوى المعيشي، وانتشار الأمراض الاجتماعية وتدهور المساكن وانتشار المخازن والملاهي... الخ. بمعنى آخر هي منطقة الوافدين الجدد إلى المدينة والتي تعتبر من الأقليات العنصرية والإثنية. وهذه المنطقة حسب برجس هي معرضة باستمرار لعمليتي الغزو والاحتلال تمارسها منطقة الأعمال المركزية الدائمة النمو والتوسع.

ج ـ منطقة سكن العمال:

وكما يدل عليه المصطلح ذاته، فهي منطقة العمال وأصحاب المهن الكتابية وأطفال المهاجرين، وما يميز هذه الفئة هو تطلعهم الدائم إلى تحين مستوى معيشة أطفالهم ودفعهم إلى مستوى أعلى في السلم الاجتماعي. ولذلك فهي منطقة انتقال لعمال الصناعة الهاربون

---

[1] فؤاد بن غضبان، **مرجع سابق**، ص.38.
[2] سعيد ناصف، **مرجع سابق**، ص.78.
[3] سعيد ناصف، **مرجع سابق**، ص.77.
[4] إسماعيل قيرة، مرجع سابق، ص.57.

من المنطقة الثانية الذين يرغبون في السكن بالقرب من أماكن عملهم. وتعتبر الإقامة فيها أفضل من المنطقة الثانية. أضف إلى ذلك، يوجد بها الجيل الثاني من المهاجرين الشباب الطموحين، كما توجد بها منازل أفضل تتكون من أربعة أو خمسة أدوار. ولكنها تعتبر مناطق مزدحمة حيث يقيم سكان الطبقة الدنيا من السكان.

ذ ـ منطقة سكانية أفضل:

وتتكون من مساكن تقطنها أسر وحيدة، إلى جانب الشقق والعمارات الجميلة وبعض فنادق الإقامة. كما تعتبر هذه المنطقة ملجأ الفئة ذات الدخل المتوسط. حيث تتكون أساسا من الفيلات وأحياء الأعمال المحلية.

هـ ـ منطقة السفر اليومي أو الضواحي:

وتسمى منطقة الضواحي، أو منطقة السفر اليومي وتقع في حدود المدينة، وعلى امتداد خطوط المواصلات الممتدة من قلب المدينة بشكل نصف قطري، حيث يسكنها ذووا الدخل المرتفع في حين أن معظم سكانها يعيشون تنقل يومي في اتجاه أماكن العمل. هذا وقد لاحظ بيرجس من دراسته أن نسبة السكان الذين يملكون البيوت التي يسكنونها تتزايد كلما بعدنا عن مركز المدينة، كما لاحظ أيضا أن نسبة تشرد الأحداث والبغاء ونسبة الأجانب أيضا تتزايد في وسط المدينة وتقل كلما ابتعدنا عن المركز.[1]

وعلى هذا الأساس فقد قدم برجس تفسيره لنمو المدينة وتوسعها من خلال حلقات ودوائر متتابعة، معتبرا أن عمليتي الغزو والاحتلال هي النقطة المركزية في ديناميكية التوسع من منطقة إلى أخرى.

يمثل الشكل رقم (01): رسم توضيحي لنظرية الدوائر المتراكزة

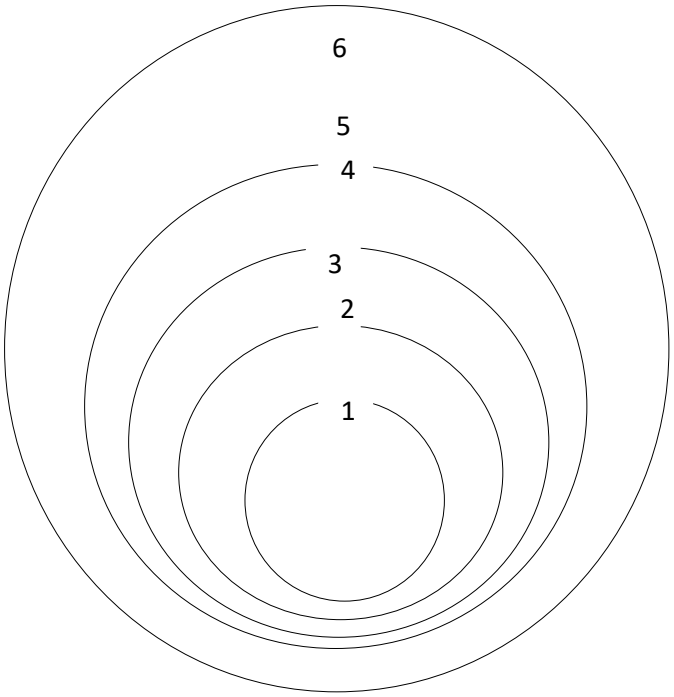

1- منطقة الأعمال المركزية
2- منطقة تجارة الجملة والصناعات البسيطة
3- منطقة سكن الطبقات المتوسطة
4- منطقة سكن الطبقات الفقيرة
5- منطقة سكن الطبقات الغنية
6- منطقة السفر اليومي أو الضواحي

[1] عبد المنعم شوقي، **مرجع سابق**، ص.139.

3 ـ النقد الموجه لنظرية بيرجس حول الدوائر المركزية:

أولا محدودية نموذجه المثالي، حيث يفتقر إلى الحدود الواقعية، فحدود المناطق تم وضعها بطريقة تعسفية، كما أن البحوث المختلفة كشفت عن تنوع كبير في المهن في حدود المنطقة الواحدة. (وكذلك الإسكان المختلف)، أضف إلى ذلك أن هذا النموذج لا ينطبق على الكثير من مدن العالم كما بينته الكثير من الدراسات التي أجريت في إفريقيا واسيا وأمريكا اللاتينية، ومن ثم فبساطة نموذج بيرجس يعود لإغفال الأسباب الاجتماعية للتوزيع الايكولوجي بحسب البعض.[1]

ثانيا: ـ الاندماج الاجتماعي عند رواد مدرسة شيكاغو:

غالبا ما يطرح لفظ الاندماج الاجتماعي عندما يكون هناك حراك اجتماعي، والذي نعني به حركة الأفراد، والأسر، والجماعات من وضع اجتماعي إلى وضع اجتماعي أخر. وهناك ثلاث أنماط رئيسية للحراك الاجتماعي هي: الحراك الجغرافي (وهو الانتقال من مكان إلى أخر)، والحراك الأفقي (وهو الحركة من جزء من أجزاء النسق الاجتماعي إلى جزء أخر)، والحراك الرأسي (وهو عبارة عن اكتساب أو فقدان مكانة اجتماعية).[2]

إلا أنه عندما يطرح هذا اللفظ (الاندماج الاجتماعي) فهو في الغالب يشير عند البعض إما إلى محاولة التكيف مع المجتمع حيث يذهب محمد عاطف غيث إلى أن مصطلح التكيف أستعير من البيولوجيا وهو يشير إلى توافق الكائن العضوي مع بيئته، وفي أثناء عملية التكيف الناتجة يمكن أن يطرأ تعديل على نشاط الكائن العضوي، لكي يتلائم مع البيئة المتغيرة، أو قد تطرأ تغيرات أساسية على الكائن العضوي تسهم في بقاء النوع. ولهذا عندما استخدم استخداما اجتماعيا ظل يحمل معنى التوافق أو التلائم، ولكن استبدل الكائن عامة بالبيئة الاجتماعية، أو الجماعات المحددة أو المجتمع بأسره...ويمكن بناء على ذلك تعريف التكيف بأنه عملية أو نتاج تغيرات عضوية أو تغيرات في التنظيم الاجتماعي، والجماعة، أو الثقافة تسهم في تحقيق البقاء، أو استمرار الوظيفة، أو انجاز الهدف الذي يسعى إليه الكائن العضوي.[3]

وإما يشير إلى مصطلح الإدماج والذي يشير بدوره إلى امتزاج جماعة عنصرية أو سلالية مع جماعة أخرى.[4] فيما يعرف الاندماج الاجتماعي بأنه عملية تفاعلية تقوم عبر قبول الفرد للقواعد والمعايير المنظمة للجماعة، مقابل توفير الجماعة القنوات والآليات اللازمة لإشراك الفرد في كل أنشطتها.[5] كما يعرف الاندماج الاجتماعي أيضا بأنه هو مجموعة الإجراءات والتدابير في مجتمع ما غايتها تسهيل انخراط فرد جديد في هذا المجتمع.[6]

1 ـ مدرسة شيكاغو وإشكالية الاندماج الاجتماعي:

---

[1] إسماعيل قيرة، مرجع سابق، ص.60.

[2] محمد محمود الجوهري، **المدخل إلى علم الاجتماع**، ط1، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2010، ص.55.

[3] نخبة من أساتذة قسم الاجتماع، **المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية**، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، (د.س)، ص.17.

[4] نخبة من أساتذة قسم الاجتماع، **المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية**، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، (د.س)، ص.22.

[5] محمد الكامل، عصام العلفي، **التعليم والاندماج الاجتماعي في المجتمع اليمني**، مجلة رؤى في الآداب والعلوم الإنسانية، م02، ع03، ص.31.

[6] راضية بوزيان، **الاندماج الاجتماعي للشباب في المجتمع العربي: الآليات والمتطلبات**، مجلة أنثروبولوجيا، م04، ع07، 2018، ص.177.

بداية تشير "مدرسة شيكاغو" إلى مجموعة محددة من علماء الاجتماع في جامعة شيكاغو خلال النصف الأول من هذا القرن. كانت طريقة تفكيرهم في العلاقات الاجتماعية نوعية بشكل كبير، وصارمة في تحليل البيانات، وركزت على المدينة كمختبر اجتماعي.[1]

ولذلك يعتبر السياق الحضري لعلم الاجتماع الحضري في شيكاغو مسقط رأس علم الاجتماع الحضري. وفقًا لإيف جرافماير وإسحاق جوزيف، اللذين قاما بترجمة وتقديم النصوص التأسيسية لهذا التيار في فرنسا، فإن أهمية هذا النهج تأتي من منهجه. وتتألف، حسب تعبير أولف هانرز، من "استكشاف المدينة"، ومناطقها، ومؤسساتها، وشبكاتها، والجماعات العرقية والمهنية، والأنواع المختلفة من سكان المدن: الأجنبي، والمشرد، الثابت، والهائم.. وبالتالي، فإن تعايش السكان، الذين تختلف أساليب حياتهم ولغاتهم اختلافًا كبيرًا، يمكن أن يتعارض مع الأيديولوجية الأمريكية لبوتقة الانصهار، المعنية بالتكامل.[2]

فبالنسبة لمدرسة شيكاغو، كانت المدينة نفسها ذات قيمة قصوى كمختبر لاستكشاف التفاعل الاجتماعي. حيث لوحظت "الطبيعة البشرية" بشكل أفضل في هذه الحيلة (المماثلة) الاجتماعية المعقدة. ويقدم مفهوم "الإنسان في موطنه الطبيعي" الموضوع الأول، وهو أن الاستعارة البيولوجية والنماذج البيئية كانت أدوات تأطير مناسبة لمناقشة العلاقات الاجتماعية الحضرية. كما يمكن النظر إلى هذه الهياكل الاجتماعية على أنها شبكة معقدة من العمليات الديناميكية، على غرار مكونات النظام البيئي، تتقدم نحو النضج. وفي كثير من الأحيان، تم افتراض التجانس النسبي للهيكل حيث وجد الباحثون لاحقًا أن المواقف أكثر تنوعًا بشكل ملحوظ.

ثم ظهرت النماذج البيئية الناتجة من الفحص الفعال لأوجه الشبه بين النظم الطبيعية والاجتماعية. في محاولة لفهم سبب تنوع التنمية والاستخدام على مستوى المدينة، تم اعتبار الأرض والثقافة والسكان كلاً لا يتجزأ. كان برجيس أحد المؤيدين الرئيسيين لهذا الاستكشاف القائم على الجغرافيا، وطور تدريجيًا نظرية تتوسع باستمرار، أو تنضج، لدوائر متحدة المركز لاستخدام الأراضي داخل المدينة.. وبالنسبة لباحثي مدرسة شيكاغو، نادرًا ما توجد هذه المناطق الطبيعية في عزلة؛ بدلاً من ذلك، كانت المناطق على الدوام في علاقة تكافلية أو تنافسية مع بعضها البعض. ولتوضيح ذلك، سيكون من المفيد التركيز أولاً على "المجموعة" نفسها. بالنسبة لمدرسة شيكاغو، تم بناء مفهوم المجموعة على نطاق واسع. تتراوح دراسات المجموعات من مناطق حضرية بأكملها إلى فرق مهنية إلى وحدات عائلية ممتدة. مع هذا الفهم لمفهوم المجموعة، فإن مثل هذا التجمع الاجتماعي سيُظهر ميلًا قويًا نحو كونه عالما اجتماعيًا إذا كانت هناك درجة عالية من "الانغماس" أو اكتمال التجربة.[3]

كما سجل ويرث ظاهرة مماثلة في الغيتو. كان الناس يهاجرون إلى الحي اليهودي، وينتقلون في النهاية إلى "العالم الحقيقي" في ضواحي شيكاغو، ليعودوا إلى الحي اليهودي هناك بعد فترة وجيزة.لم يدركوا مدى ارتفاع تكاليف الخروج، الداخلية والخارجية، على مجموعتهم الاجتماعية. في نهاية المطاف، إزداد التسامح على كلا الجانبين، وتضاءلت حواجز الخروج هذه، وإنتقل الكثيرون بشكل جماعي إلى ضواحي عرقية منخفضة التكلفة

---

[1] Wayne G. Lutters, Mark S. Ackerman, **An Introduction to the Chicago School of Sociology,** Interval Research Proprietary, 1996, P.02.

[2] Fijalkow yankel, **Sociologie des villes**, la découverte, P. 33.

[3] Wayne G. Lutters, Mark S. Ackerman, op.cit, P.03.

مثل لاونديل، إلينوي. في كثير من الأحيان مع هذه المجتمعات "المغلقة" يوجد توتر بين درجة العزلة المتصورة والواقع المادي الفعلي للوضع.[1]

وعلى الرغم من أن مدرسة شيكاغو المبكرة تميل إلى النظر إلى هذه العوالم كما كان يُنظر إليها، على أنها معزولة ومحمية من التأثيرات الخارجية. مال الباحثون اللاحقون إلى توسيع هذه الفكرة إلى حد كبير، لا سيما مع استيعاب بيكر للتأثيرات الخارجية في استكشافه للعوالم الاجتماعية باعتبارها "مجتمعات الممارسة".

وإلى جانب ذلك كان لدى مدرسة شيكاغو عدد من الموضوعات الإضافية. وكان أحد الموضوعات الرئيسية في مدرسة شيكاغو المبكرة، والذي اقترحه في الأصل توماس في دراسات الهجرة البولندية، موضوع "الفوضى". الفكرة المركزية لنظرية عدم التنظيم هي أن بيئة المدينة، تختلف بشكل كبير عن بيئة المجتمعات الزراعية لمعظم المهاجرين، في الواقع تعمل كقوة لجعل الهياكل والعلاقات والمعايير الخاصة بـ "وطنهم" غير ذات صلة بمواقف حياتهم الجديدة. مع تغير الهياكل الاجتماعية التقليدية، كان على المهاجرين إعادة هيكلة تلك العلاقات بشكل جذري لتلائم البيئة الجديدة أو التخلي عنها تمامًا والبناء من جديد. هذه العملية الشاملة سريعة ومؤلمة بشكل عام. واستكشف العديد من باحثي مدرسة شيكاغو آثار هذا الانتقال على جميع جوانب الحياة الاجتماعية من المهنة إلى الدين إلى الأسرة. وتوسع هذا البحث أيضًا ليشمل المزيد من المناقشات رفيعة المستوى حول التكيف الثقافي مقابل استيعاب مجموعات سكانية محددة من المهاجرين.

وانطلاقا من هذا، ظهرت واحدة من أكثر المواضيع إثارة للاهتمام في استكشاف العوامل التي قد تعزز الاستقرار والحفاظ على المجتمع في خضم الفوضى. ما الذي سمح لبعض المجموعات بالتغلب على التحول بشكل أفضل من غيرها؟ كانت الإجابة، رغم بساطتها، عميقة بنفس القدر. يتم التخفيف من آثار عدم التنظيم فقط من خلال الدرجة التي توجد بها ثوابت مستقرة في عملية الانتقال. كانت العوامل الرئيسية في غيتو ويرث هي دور الكنيس المحلي، والزملاء من قريتهم الأصلية (Landsmannschaft)، والعلاقات مع القضايا الإنسانية المشتركة. بالنسبة للمهاجرين البولنديين من توماس، كانت الكنيسة الأبرشية المحلية، والحفاظ على العديد من ممارسات المعيشة المجتمعية المقيدة بإحكام. بالنسبة للإيطاليين في وايت، كان الأمر يتعلق باستقرار العصابة والعلاقات الأسرية والمساحة المجتمعية المشتركة مثل منزل الاستيطان. كان التركيز الموضوعي الأخير، الموجود كخيط في العديد من الموضوعات المذكورة أعلاه، يتعلق بالتهديدات المحتملة للنظام الاجتماعي. كان هذا نضجًا منطقيًا للاهتمام بالجريمة والانحلال الحضري. بعض القوى المقلقة التي اكتشفوها كانت التنقل، والعبور، وعدم الكشف عن الهوية، وعدم التوازن بين الجنسين. قاس الشمال بعناية درجة التماسك الاجتماعي في المجتمع بناءً على التوافق بين المصلحة الذاتية والسلوك.[2]

2 - بيرجس والاندماج الاجتماعي:

في البداية نشير إلى أن بيرجس وهو يتحدث عن نموذجه، وكأنه يتكلم عن خطة أو برنامج عمل كلف به. ومع ذلك، فالمعلوم أن برجس يقترح نموذجًا بيئيًا للبنية الحضرية، مما

[1] Wayne G. Lutters, Mark S. Ackerman, **ibid**, P.05.
[2] Wayne G. Lutters, Mark S. Ackerman, **ibid**, P.05-06.

يجعل من الممكن إدراك مراحل التوسع الحضري والمناطق الناشئة بمرور الوقت. هذه المناطق، التي تم تحديدها في الفضاء، ليست سوى تعبير عن عملية تميزها.[1] وتؤدي إلى انجرافها من داخل إلى خارج المدينة أثناء نموها. وهكذا تتطور المناطق المركزية الخمسة (5) من قلب المدينة القديم (وهي الحلقة المقابلة لمنطقة الأعمال المركزية). وتطوق هذا اللب "المنطقة الانتقالية" أو"منطقة التدهور" - لكن في انتظار التحول - التي تحتلها مجتمعات مختلفة من المهاجرين الفقراء (غيتو اليهود، صقلية الصغيرة، الحي الصيني ...). ثم لدينا المنطقة الثالثة التي يسكنها العمال الصناعيون والتجاريون المهرة والذين تركوا "المنطقة الانتقالية" بسبب تدهورها، ولكنهم يرغبون في البقاء بالقرب من وظائفهم. بعد ذلك نجد "المنطقة السكنية" المكونة من مساكن ومنازل داخلية يسكن فيها العمال المندمجون. وأخيرًا، فيما وراء ذلك، حدد برجس "منطقة الضواحي" التي تستوعب الركاب (المرتحلين يوميا أو المهاجرين المنتقلين)، وأصحاب المنازل الفردية والعاملين في المركز.

بالنسبة لبورجيس، يهدف هذا الرسم التخطيطي المبسط لنمو المدينة إلى شرح عملية إندماج المهاجرين (من أوروبا وآسيا وما إلى ذلك) الذين ليسوا على دراية بالعالم الحضري. يجعل من الممكن إظهار،

1) أن هناك صعودًا اجتماعيًا،

و2) أن الأخير يستلزم الإزاحة من منطقة إلى أخرى، بإتباع نمط من المناطق متحدة المركز. يتغير المجتمع باستمرار مع انتقال العائلات بأسرع ما يمكن.

3) من الممكن قياس هذه الدرجة من العمران باستخدام مؤشرات مختلفة: تلعب المهنة ومكان الإقامة دورًا رئيسيًا. لذلك هناك "نموذج" لمسار الرحلة، يوضح هذا الصعود الاجتماعي: التخصص المهني (يدر دخلاً أعلى) ويصاحب ذلك الموطن الجديد.[2]

ولأجل ذلك إهتم بيرجس "بدراسة العلاقات بين السكان أو الجماعات البشرية وبيئاتها، وتحليل عمليات التكيف بينهما، وما يصاحب ذلك أو ينجم عنه من مشكلات النمو الحضري، وبذا إنصب اهتمامهم بصفة خاصة على دراسة مناطق التحول والأحياء المتخلفة التي تسهم في ظهور الجريمة والانحراف والأمراض الاجتماعية، وما إلى ذلك من صور التفكك الاجتماعي".[3]

وفي المجمل ركز بيرجس "على توضيح طبيعة هذا المجتمع كنمط مكاني، وصلة ذلك بالنمط الأخلاقي والثقافي العام".[4]

وقد جعل بيرجس أهمية خاصة لتصور الأفراد لغيرهم وشعورهم بوجودهم، إذ رأى أن هذا كفيل بايجاد قدر من التفاعل الاجتماعي والتأثيرات المتبادلة بين كائنات شاعرة واعية وليس بين مجرد أشياء، الأمر الذي يفيد ولا شك في تحليل السلوك الجمعي وفهمه على الرغم من أنه يعكس منظورا سيكولوجيا واضحا. والحقيقة أن هذا الإدراك لطبيعة الجماعة الاجتماعية قد مثل بالنسبة إليه مدخلا لتصنيف العمليات الاجتماعية ذاتها. فنجده يصنف هذه العمليات إلى أربعة أنواع: هي التكيف والتمثل والمنافسة والصراع. والتكيف بالنسبة إليه هو عملية تتضمن نشاط الأفراد والجماعات وسلوكياتهم التي ترمي إلى تحقيق الانسجام بين

---

[1] Jean-Marc Stébé, Hervé Marchal, op.cit, P.82.

[2] Jean-Marc Stébé, Hervé Marchal, **ibid**, P83-84.

[3] محمود أبو زيد، **مرجع سابق**، ص.164.

[4] محمود أبو زيد، **المرجع السابق**، ص.166.

الفرد أو الجماعة والبيئة الاجتماعية، وهو عملية دينامية باعتبار أن المجتمع في تغير مستمر. وهنا نجده يبرز مفهومه للتكيف الاجتماعي الذي رأى أنه يختلف عن التكيف الثقافي الذي يقصد به اكتساب الفرد لثقافة مجتمعه. أما فيما يتعلق بالمنافسة فهي عملية اجتماعية، تقوم بين طرفين يعمل كل منهما لتحقيق هدف يسعى إليه الطرف الأخر. وهي تختلف عن الصراع، حيث يعمل التنافس غالبا بين أطراف متماسكة بينما يعمل الصراع بين أطراف غير متكافئة.[1]

وفي هذا الإطار أيضا اشترك بارك في بحثه مع بيرجس. وتدريجيًا، أدركا أن المساحة التي كان يحللها، على الرغم من تعقيدها المحير، على الرغم من الفوضى الظاهرة، لم تكن فوضوية... كانت الظروف مواتية لذلك، حيث تطورت المدينة، وأن غياب أي عائق طبيعي كبير سمح بظهور تقسيم بسيط، وفي نفس الوقت مرئي للغاية. من مركز الأعمال في "حلقة"، نجد أولاً منطقة تدهور حضري، تم تشييدها بكثافة لأكثر من نصف قرن، وحيث نادراً ما تتم صيانة المباني. لطالما هجر السكان الأثرياء منذ فترة طويلة الأحياء التي أصبحت فقيرة بشكل متزايد، ولم تعد قيم الأراضي تزداد كما في الماضي، وتتصرف المنطقة بأكملها كمنطقة من عدم الاستقرار الاجتماعي. هذا هو المكان الذي يستقر فيه الوافدون الجدد، حيث تظهر الغيتوهات أكبر تنوع عرقي. علاوة على ذلك، فإن المنطقة المبنية بشكل مستمر تؤوي سكانًا لا يزالون متواضعين في الدخل، ولكن هيكلهم الأسري والمجتمعي أكثر صحة. باتجاه الخارج – خارج هذه المنطقة-، الأحياء مشتتة في الأرياف. في الضواحي السكنية النامية – التي يتم تطويرها-، يتم إسكان الطبقات الأكثر ثراءً. هناك يجد المرء أفضل الظروف المعيشية وأيضًا أكثر المجموعات الأمريكية ملائمة من خلال اختيار القيم التي يحتفظون بها وطريقة حياتهم.[2]

ولأجل كل هذا يذهب بارك وزملاءه إلى أنه في المدن، فإن أشكال التكيف غير المخطط تؤدي إلى التنازع من أجل البقاء، الأمر الذي يؤدي إلى التوزيع المكاني للناس على المناطق المختلفة.[3]

3 ـ النقد الموجه إلى بيرجس:

منذ البداية، فإن بيرجس يقرر أن هذا النموذج لا يمثل وصفا واقعيا لكل المدن، بما في ذلك مدينة شيكاغو ذاتها، وأن العوامل والظروف والمتغيرات التي ترتبط بنمو المدينة يمكن أن تجعلها تنحرف إلى حد ما عن نموذجه السابق. أي أن المسألة نسبية حيث تختلف من مجتمع إلى آخر، ومن مدينة إلى أخرى.[4]

ومع ذلك فإن شمبارت دو لاو يرفض على الفور عددًا معينًا من العناصر التي اقترحها بيرجس: فلم يعد الأمر يتعلق بالتوسع والتعاقب، أو موجات الاستيطان المرتبطة بالمكانة الاجتماعية للأفراد، كما لم يعد الأمر يتعلق بالتفاعل في المدينة أو التفاعل بين الأفراد والجماعات.[5]

---

[1] محمود أبو زيد، **المرجع السابق**، ص.166.

[2] Claval Paul. **La théorie des villes**. In: Revue Géographique de l'Est, tome 8, n°1-2, Janvier-juin 1968. pp. 3-56; P.10-11.

[3] سعيد ناصف، **مرجع سابق**، ص.74.

[4] سعيد ناصف، **المرجع السابق**، ص.78.

[5] Jean-Marc Stébé, Hervé Marchal, op.cit, P.93-94.

ويضيف إلى ذلك، بول كلافال (Claval Paul) بالقول أنه لا يتناسب كل شيء مع الإطار البسيط لنموذجه كما يتضح، من الاستقرار في الاحتلال، واستخدام الأراضي في مناطق معينة ؛ تقع Golden Coast (الساحل الذهبي)، على طول البحيرة، بالقرب من الحلقة مثل باقي المنطقة الانتقالية، لكن هذه المنطقة لم تتوقف عن أن يسكنها جزء من الطبقة الأرستقراطية في المدينة. لذلك لا يمكن لهذا المخطط الديناميكي أن يأخذ في الاعتبار جميع المواقف وجميع التطورات. إنه مبني على تشبيه، وليس على تحليل ديناميكيات محددة للفضاء والمجتمع الحضري. إنه نموذج وليس نظرية. إنه يمثل تقدمًا في إدراك مشاكل المدينة، لكنه لا يضع نفسه على مستوى الإنشاءات الطموحة التي يدعو إليها العلم الحديث... وعلى الرغم من القيود المنطقية، فإن هذا المخطط يستحق نجاحه الدائم، لأنه بسيط ويتوافق جيدًا مع ما يتم ملاحظته في عدد كبير من المدن.[1]

ويضيف (Wayne G) **وآخرون على ذلك ما يلي:** [2]

- على الرغم من أنه عازب مدى الحياة، فقد تم تعيينه لمواصلة تركيز تشارلز آر هندرسون على المدينة والعائلة عندما تقاعد.
- كان رجلًا ذا ذكاء حاد، ومع ذلك فقد كان في الغالب "تابعًا"، أولًا لسمول ثم بارك. فمعظم كتاباته شارك في تأليفها، وتلك المستقلة بشكل عام لا تحظى باحترام كبير.
- نشأت إحدى أهم مساهماته النظرية في مدرسة شيكاغو من اهتمامه الشديد بالبيئة الحضرية، وتحديداً الجغرافيا الحضرية.
- ولطالما كان لديه تفضيل منهجي للتركيبة السكانية والخرائط، فقد اشتمل موضوع بحثه الرئيسي على تغيير أنماط السكان واستخدام الأراضي.
- أصبحت "مناطق بيرجس"، التي تم تسميتها بعد وفاته تكريماً له، والتي تصف دوائر متحدة المركز لاستخدام الأراضي المختلف الذي يشع من مركز تجاري للمدن، مفهومًا قياسيًا في الديموغرافيا الحضرية.
- أصبحت الأصول الاجتماعية وتأثير الجريمة المنظمة، محور تركيزه البحثي الرئيسي في أواخر حياته المهنية. ساعد هذا الاهتمام في تحويل تركيز القسم، مما أثر على العديد من طلاب الدراسات العليا الموهوبين لبدء دراسات المنظمات الصغيرة والحياة المهنية.[3]

مراجع المحاضرة:

1. إسماعيل قيرة، **علم الاجتماع الحضري ونظرياته**، (قسنطينة: منشورات جامعة منتوري، 2004).
2. أنتوني جيدنز، **علم الاجتماع**، مع مدخلات عربية، ترجمة فايز الصباغ، ط1، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2005).
3. أنتوني جيدنز، **مقدمة نقدية في علم الاجتماع**، ترجمة احمد زايد وآخرون، ط2، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، جامعة القاهرة، 2006.

[1] Claval Paul. op.cit. pp. 3-56; P.12.

[2] Wayne G. Lutters, Mark S. Ackerman, op.cit, p.11.

[3] Wayne G. Lutters, Mark S. Ackerman, ibid, p.11.

4. جون سكوت، **علم الاجتماع المفاهيم الأساسية**، ترجمة محمد عثمان، ط1، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2009.
5. راضية بوزيان، **الاندماج الاجتماعي للشباب في المجتمع العربي: الآليات والمتطلبات**، مجلة أنثروبولوجيا، م04، ع07، 2018.
6. ريتشارد أوزبرن وبورن فان لون، **أقدم لك علم الاجتماع**، ترجمة حمدى الجابرى، ط1، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2005).
7. سعيد ناصف، **علم الاجتماع الحضري، المفاهيم والقضايا والمشكلات**، ط1، (مصر: دار الكتب والوثائق القومية، 2006).
8. السيد عبد العاطي السيد، **علم الاجتماع الحضري**، ج1، ط3، (عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2013).
9. عبد الرحمان المالكي، **الثقافة والمجال دراسة في سوسيولوجيا التحضر والهجرة في المغرب**، منشورات مخبر سوسيولوجيا التنمية الاجتماعية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز، فاس، المغرب، 2015.
10. عبد الرحمان المالكي، **مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة**، الدار البيضاء، أفريقيا الشرق، 2016.
11. عبد المنعم شوقي، **مجتمع المدينة، الاجتماع الحضري**، ط7، (بيروت: دار النهضة العربية، 1981).
12. فؤاد بن غضبان، فؤاد بن غضبان، **علم الاجتماع الحضري**، ط1، (عمان: دار الرضوان للنشر والتوزيع، 2014).
13. فيليب كابلان وجان فرانسوا دورتيه، **علم الاجتماع من النظريات الكبرى إلى الشؤون اليومية**، أعلام وتواريخ وتيارات.
14. قباري محمد إسماعيل، **علم الاجتماع الثقافي ومشكلات الشخصية في البناء الاجتماعي**، كلية الآداب دار النشر للمعارف، الإسكندرية، د ت.
15. محمد الكامل، عصام العلفي، **التعليم والاندماج الاجتماعي في المجتمع اليمني**، مجلة رؤى في الآداب والعلوم الإنسانية، م02، ع03.
16. محمد محمود الجوهري، **المدخل إلى علم الاجتماع**، ط1، عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2010، ص.55.
17. محمد ياسر الخواجة، **علم الاجتماع الحضري، بين الرؤية النظرية والتحليل الواقعي**، (مصر العربية للنشر والتوزيع، 2010).
18. محمود أبو زيد، **أعلام الفكر الاجتماعي والانثروبولوجي المعاصر**، ج1، (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 1998).
19. مصطفى خلف عبد الجواد، **نظرية علم الاجتماع المعاصر**، ط2، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع، 2011.
20. نخبة من أساتذة قسم الاجتماع، **المرجع في مصطلحات العلوم الاجتماعية**، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، (د.س).
21. وجدي شفيق عبد اللطيف، **علم الاجتماع الحضري والصناعي**، (مصر: دار المصطفى للنشر والتوزيع، 2005).
22. Alain Coulon, **que sais-je ? L'école de Chicago**, Cinquième édition, puf.

23. Angèle Christin Etienne Ollion, La sociologie aux Etats-Unis aujourd'hui, la découverte.
24. Claval Paul. **La théorie des villes**. In: Revue Géographique de l'Est, tome 8, n°1-2, Janvier-juin 1968.
25. Fijalkow yankel, **Sociologie des villes**, la découverte.
26. Jean-Marc Stébé, Hervé Marchal, Introduction à la sociologie urbaine, 2 eme, Paris, Armand Colin, 2019.
27. Wayne G. Lutters, Mark S. Ackerman, **An Introduction to the Chicago School of Sociology,** Interval Research Proprietary, 1996.

المحاضرة الخامسة

المدينة عند بول هنري شمبارت دو لاو

P.-H. Chombart de Lauwe

المحاضرة الخامسة
المدينة عند بول هنري شمبارت دو لاو

المدرسة الفرنسية التقليدية مع **P.-H. Chombart de Lauwe** في مقاربته للصراع بين النماذج الثقافية المبلورة قي المجال و الممارسات السكانية.

تمهيد:

1 ـ بول هنري شمبارت دي لاو والمدرسة الفرنسية

1.1 ـ التعريف ببول هنري شمبارت دي لاوي (1913-1998):

2.1 ـ أسس التفكير عند المدرسة الفرنسية:

2 ـ بول هنري شمبارت دي لاو بين مدرسة شيكاغو والأفكار المسيحية:

1.2 ـ شمبارت ومدرسة شيكاغو:

2.2 ـ شمبارت والأفكار المسيحية:

3 ـ شمبارت وتطبيق نموذج "المناطق متحدة المركز لبيرجس":

4 ـ المدينة عند شمبار دو لاو:

5 ـ شمبارت والمجمعات السكنية الجديدة للطبقة العاملة:

1.5 ـ شمبارت والمجمعات السكنية الجديدة:

2.5 ـ شمبارت والطبقة العاملة:

6 ـ منهجية البحث عند شمبارت دو لاو:

7 ـ شمبارت والديناميات المجتمعية:

1.7ـ شمبارت والديناميات الاجتماعية والثقافية:

2.7ـ شمبارت والدياميات الثقافية

3.7ـ شمبارت والديناميات السياسية:

4.7ـ شمبارت والديناميات النفسية

8 ـ خلاصة لمجمل اهتمامات شمبارت:

9 ـ النقد الموجه لشمبارت:

مراجع المحاضرة:

تمهيد:

تهدف هذه المحاضرة أولا إلى التعريف بول هنري تشومبارت دي لاو، وعلاقته بكل من المدرسة الفرنسية، مدرسة شيكاغو، والأفكار المسيحية. وثانيا نظرته لنموذج "المناطق متحدة المركز لبيرجس"، ثم ثالثا تصوره للمدينة، والمجمعات السكنية الجديدة للطبقة العاملة، وصولا إلى منهجية البحث عنده، معرجين على الديناميات المجتمعية التي تحكم نمو المدن عنده، وخامسا مبرزين مجمل اهتماماته، وأخيرا النقد الموجه.

1 - بول هنري شمبارت دي لاو والمدرسة الفرنسية.

1.1 - التعريف ببول هنري شمبارت دي لاوي (1913-1998):

ولد عام 1913 في أردين - شرق فرنسا-، لعائلة ليبرالية إلى حد ما، تعتقد في التقاليد الكاثوليكية، "نصف برجوازي ونصف أرستقراطي" على حد تعبيره، كان لديه مراهقة وصفها بنفسه بأنها "صعبة"؛ بينما كان يعاني من مشاكل صحية خطيرة، لجأ إلى النحت والرسم، وتابع دراسات ثانوية موازية في باريس وجنوب غرب فرنسا. بعد حصوله على البكالوريا، أغرته الدراسات الفنية للحظة، ليبدأ بعدها دراسات عليا في الفلسفة والإثنولوجيا، ثم تراكمت الشهادات من عام 1933 إلى عام 1939.[1]

وخلال الخمسينيات والستينيات، كان شمبارت مثقفًا بارزًا. إنه أحد أشهر علماء الاجتماع الفرنسيين، على مستوى ميشيل كروزييه، وريمون آرون، وآلان تورين. لديه مكانه، مثل هنري ليفبفر، وفي صفوف المثقفين. Chombart هو أيضا منتظم في المكاتب الوزارية، والهيئات التكنوقراطية، وزارة التجهيز أو هيئة التخطيط العامة. وفكريا هو أيضا خبير محبوب.[2]

سوف يفقد هذه المكانة. أولا بفقدان احتكاره للدراسات الحضرية. حيث اشتهر Chombart في أوائل الخمسينيات من القرن الماضي، عندما كان الشخص الوحيد الذي قام بعمل علم الاجتماع في المدينة. لكن العديد من الباحثين استثمروا في هذا المجال على مر السنين 1960. سوف يُنظر إليهم على أنهم أكثر جرأة من الناحية النظرية من Chombart، الذي يجد نفسه في نفس الوقت في منافسة مع خفض درجته. تورط Chombart في أبحاث العقود جعله أيضًا غير مؤهل. ذلك أن الأكاديميون والباحثون في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي احتقروا الأبحاث التطبيقية، واعتبروها أقل أهمية، وانتقدوا علم الاجتماع الذي كان تصالحيًا للغاية تجاه "القوة". أخيرًا، كان عمل Chombart، الغني على مستويات عديدة، ضعيفًا في السجل النظري. فسرعان ما أصبحت مفاهيم الزاويّة لديه موضوع نقد راديكالي وتم رفضها. الاحتياجات والتطلعات والديناميكيات الثقافية لم يكن لها أبدًا أي محتوى حقيقي. بالمقارنة مع التيارات البحثية النقدية في عام 1968، يبدو علم اجتماع Chombart تجريبيا بشكل قاطع.[3]

---

[1] Anne-Marie *Fixot*, **Paul-Henry Chombart de Lauwe et les enjeux d'une démocratie locale vécue,** Presses universitaires de Caen, p. 155-170, https://books.openedition.org/puc/10399?lang=fr

[2] Eric Le Breton, **ibid**, p. 15-31

[3] Eric Le Breton, « Paul-Henry Chombart de Lauwe, sociologue urbain, chrétien, intellectuel et expert», *Chrétiens et sociétés* [En ligne], 21 | 2014, mis en ligne le 25 février 2015, consulté le 18 mars 2015. URL : http:// chretienssocietes.revues.org/3661 ; DOI : 10.4000/chretienssocietes.3661, p.16.

في عام 1955 أنشأ مركزا للأبحاث تحت اسم مجموعات مركز الدراسات الاجتماعية. الغرض من هذا المركز محدد بوضوح: ربط البحث النظري بالدراسات الاستقصائية الميدانية التي تؤدي إلى الحوار مع المسؤولين عن التحول الحضري.. وفي عام 1963، نشر كتاب "الرجال والمدن"، وهو كتاب يجمع عددًا من المقالات التي يعلق عليها كما يلي: هذه النصوص، التي اتخذ بعضها موقفا قويا ضد أوجه القصور في سياسة الإسكان، وضد المضاربات الحضرية، وضد العقارات الكبيرة، وعلى نطاق أوسع ضد التحضر الذي رفض رؤية المشاكل الحقيقية للبنى الاجتماعية الأساسية، كانت لا تزال بعيدة عن التعبير عما كنا نود تسليط الضوء عليه.[1]

أخيرًا، من عام 1974 وحتى عام 1982، وهو عام تقاعده، أصبح بول هنري شمبارت دي لاو على رأس "خلية حقيقية": 120 طالبًا مسجلون في أطروحة أو رسالة، تابعون لـ 7 مجموعات عمل مع اثنين من المشرفين كمساعدين. الجوانب النظرية والمنهجية والمعرفية أصبحت أكثر وأكثر أهمية. في عام 1975، في كتاب بعنوان الثقافة والسلطة، يقدم شمبارت سلسلة كاملة من الأسئلة / الأفكار حول مفهوم "الديناميات الثقافية" التي يعارضها مفهوم "التلاعب الاجتماعي"، وهو منظور مدرج مرة أخرى في عمليات التحول الاجتماعي. كما أنشأ جمعية البحوث التعاونية الدولية (ARCI) مع الطلاب السابقين واستمر في السفر حول العالم لإجراء أبحاث جديدة وتنظيم المؤتمرات والندوات.[2]

ومع ذلك، يذهب البعض إلى أنه يجب أخذ عمله في الاعتبار. فقد كان Chombart أول من أدرك، خلال الثلاثينيات المجيدة، الروابط الجديدة بين الفضاء والمجتمع. كما أنه أشار إلى أبعاد متعددة من خلال التحليلات التفصيلية والأصلية القائمة على المسوحات الاجتماعية والأنثروبولوجية. علاوة على ذلك، فإن التخوف من الضواحي الحساسة من حيث الثقافة الشعبية والتنمية الاجتماعية للأحياء يرتكز بقوة على رؤية مسيحية يسارية كان شمبارت أول من طرحها في القضايا الحضرية. يعتبر تفكيره إرثًا حيًا في العديد من المناطق الحضرية، حتى لو تم نسيان هذا الإرث أو تجاهله.[3]

ومع هذا فقد تم اختزاله كمقدم في فرنسا للنُهج البيئية لمدرسة شيكاغو. إلى جانب احتسابه، في المقدمة، من بين المتخصصين الكاثوليك في المسائل الحضرية، في القرن العشرين.[4]

2.1 - أسس التفكير عند المدرسة الفرنسية:

لقد كان للرواد الأوائل في علم الإجتماع بفرنسا إسهاما كبير في وضع اللبنات الأساسية لتطوير علم الإجتماع الحضري خصوصا والدراسات الحضرية عموم، انطلاقا من دوركايم الذي أعتبر المدينة مجالا للدراسات الحضرية. وكان ذلك من خلال اهتمام الأنتروبولجيين وعلماء الجغرافية الحضرية بحياة المدينة على غرار شمبارت (Chambart) وهالبواش (Halbwakh).[5]

---

[1] Anne-Marie *Fixot, **ibid**, p. 155-170*

[2] Anne-Marie *Fixot, **ibid**, p. 155-170*

[3] Eric Le Breton, op.cit p16-17.

[4] Eric Le Breton, Paul-Henry Chombart de Lauwe, sociologue urbain, chrétien, intellectuel et expert Éléments d'un portrait, p. 15-31

[5] السيد عبد العاطي السيد، **علم الاجتماع الحضري بين النظرية والتطبيق**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1987، ص: 52.

ومن هذا المنطلق فقد تم تشكيل علم الاجتماع الحضري الفرنسي في البداية على أساس العديد من الأسئلة التي أثارتها التغيرات الاقتصادية والتحولات الاجتماعية التي تحدث في كل من العالم الريفي (تدهور الزراعة وتآكل أنماط الحياة الريفية) وفي العالم الحضري (النمو الديموغرافي في المدن وظهور المجتمع الحضري).[1]

وإذا كانت المدرسة الفرنسية قد اتجهت على الخصوص إلى الناحية النظرية لتدعيم قواعد العلم الناشئ، وتوافر علمائها على جمع مادة غزيرة عن طريق الدراسة العلمية، فإنها مع ذلك كانت تقصد من وراء أبحاثها إلى تحقيق غايات عملية.[2] ولذلك يميل بعض الدارسين المعاصرين في فرنسا منذ بداية الستينات إلى تناول قضايا النمو الحضري السريع وظهور المدن الجديدة، وكذا غزو قطاع الخدمات كل أجزاء المجتمع، وتوصيف الأطراف، المدن الجديدة، الأقليات الإثنية الحضرية، البرجوازية وإعادة إنتاجها اجتماعيا، الطبقة العاملة.[3]

وعلى ذلك، وبعيدا عن التفكير في المدينة على أنها نظام "طبيعي"، فإن مؤيدي النهج الماركسي الهيكلي، المهيمن في فرنسا خلال السبعينيات، سيعرفون ذلك على أنه مجرد مكان لتحقيق سياسات الدولة. ويبدو أن المناطق الحضرية، التي لا تذهب إلى هنا، تمثل دعما سلبيا لاستنساخ رأس المال وقوتها السياسية. واحدة من مزايا هذا التوجه النظري هو جعل السياسات والمنطق المؤسسية المرئية التي تحاول هيكلة الحيز الحضري. حيث يجدها علماء الاجتماع في شيكاغو عمليات طبيعية، يرى علم الاجتماع الحضري الفرنسي المستوحى من الماركسية نظاما اجتماعيا تفرضه الدولة. ومن وجهة النظر هذه، يعتبر التوسع الحضري في هذا المنظور بمثابة عمل سياسي يقوم، من خلال خياراته المفروضة من فوق، وبالانقسامات الاجتماعية. فالعقلانية الحضرية أكثر إدانة ونقدا لأنها تعتبر مذنبة بإشاعة المدينة وتشوشها على التحضر والوظائف.[4]

ومن ثم، فرضت المدينة نفسها كإشكالية (problématique) وكظاهرة باثولوجية تتطلب تدخلا لإيجاد الحلول المناسبة للمشاكل التي تهدد المجتمع الحضري بأكمله. يسجل هذا التحول في الدراسات الحضرية منعطفا حاسما يتمثل في انتقال تركيز علم الاجتماع الحضري من المسألة الاجتماعية المتمحورة حول المسألة العمالية، إلى الاهتمام بالمشاكل الحضرية (problems urbains) كما طرحها بوضوح ديبي (dubet) وليبروني (lapeyronie).[5]

2 ـ بول هنري شمبارت دي لاو، مدرسة شيكاغو والأفكار المسيحية:

لقد كان الوقت متأخرًا نسبيًا أن أولى علماء الاجتماع الفرنسيون اهتمامًا حقيقيًا لمدرسة شيكاغو، لقد كان هالبواش الذي قضى عامًا في شيكاغو - لمدة ثلاثة أشهر في عام 1930 كأستاذا زائرًا في جامعة شيكاغو - أول من كرس لها مقالًا في عام 1932، مع التركيز بشكل خاص على التوزيع الجغرافي للمجموعات العرقية المختلفة في هذه المدينة. بعد ذلك بوقت طويل، كان بول هنري شمبارت دي لاو (1952)، حريصًا على ترسيخ بحثه في هذا

---

[1] Jean-Marc Stébé, Hervé Marchal, Introduction à la sociologie urbaine, 2 eme, Paris, Armand Colin, 2019, P.70.

[2] السيد محمد بدوي، علم الاجتماع ومشكلات المجتمع، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1995، ص.217.

[3] إسماعيل قيرة، علم الاجتماع الحضري ونظرياته، منشورات جامعة منتوري قسنطينة، 2004، ص.103.

[4] Jean-marc Stebe, Herve Marchal**, la sociologie urbaine,** que sais-je ?, puf, p.34.

[5] إسماعيل قيرة، علم الاجتماع الحضري ونظرياته، ص.103.

المجال، والمدافع عن علم الاجتماع المشارك في التغيير الاجتماعي، يستحضره بدوره، من بين أمور أخرى في كتابه باريس والمدينة الباريسية.[1]

1.2 ـ شمبارت ومدرسة شيكاغو:

يميل البعض إلى اعتبار موقف بول هنري شمبارت دو لو (P.h. C. de lauwe) باعتباره يمثل الامتداد الفرنسي لمدرسة شيكاغو.[2] وانطلاقا من نفس التصور وسيرا على نفس نهج مدرسة شيكاغو ينتهي بول هنري شمبارت دو لاو مؤسس السوسيولوجيا الحضرية الحديثة في فرنسا وبعد العديد من الدراسات والأبحاث الميدانية إلى استنتاجات تلتقي في الغالب مع تصورات هذه المدرسة. ولذلك فإن ما يميز كتاباته هو أنه ينطلق من الميدان ويعطي دائما أمثلة بالميدان.[3]

فمنذ السنوات الأولى للخمسينيات وحتى نهاية المدن في عام 1982، كان شمبارت دي لاو مهتما بمشكلة واحدة فقط هي: حالة الطبقات العاملة في مجتمع في حالة إعادة تشكيل. ومع ذلك فهناك سوء فهم حول هذا الموضوع. فهو يعتبر "مخترع" علم الاجتماع الحضري الفرنسي، في حين أن المدينة ليست سوى إطار للموضوع، وليس الموضوع نفسه.[4]

ومن هذا المنطلق ففي عام 1949، بدأ شمبارت أطروحة عن نمط حياة الطبقة العاملة، ولكن ليس لديه معلومات عن البيئة اليومية لهؤلاء السكان: في أي أحياء يعيش العمال؟ في أي نوع من أنواع السكن؟ ما هي ممارساتهم التعليمية أو الصحية؟ وفي غضون ذلك، لا يوجد أمام Chombart بديل سوى إدراك هذا الإطار، الذي اتسع نطاقًا قليلًا إلى فئات أخرى من غير العمال، وأصبحت أول دراسة لعلم الاجتماع الحضري الفرنسي؛ على الأقل كتاب باريس والتكتل الباريسي (1952) تم تحديده على هذا النحو بمعنى أن الخصائص الاجتماعية للسكان (المهن، الممارسات الدينية، الأحجام والأوزان، التفضيلات السياسية ...) مترجمة في فضاء المدينة.

وحققت باريس والتجمعات الباريسية نجاحًا كبيرًا، لا سيما في الخبرة الحضرية للخدمات الحكومية، وكذلك الشركات والمؤسسات العامة والخاصة الأخرى المشاركة في تطوير المدينة والأقاليم. يلزم هذا النجاح شمبارت وفريقه بمسارات علم الاجتماع الحضري الوليد. سيكون برنامج أبحاث شمبارت جزءًا من مشكلة طويلة الأجل تستمد أسسها من مدرسة شيكاغو من ناحية والفكر المسيحي الاجتماعي من ناحية أخرى.[5]

كان شمبارت على دراية جيدة بأعمال شيكاغو. تتضمن ببليوغرافيات كتبه ومقالاته دائما العديد من المراجع الأمريكية. إلتقى نيلز أندرسون وإرنست بيرجس. ومع ذلك، فقد نفى في عدة مناسبات أنه كان الخلف الفرنسي لمدرسة شيكاغو. إذ يقول "غالبًا ما كان هناك حديث [...] عن ربطنا بمدرسة شيكاغو، وهو أمر غير دقيق عندما يقرأ المرء أعمالنا في ذلك الوقت بالتفصيل [الخمسينيات]. لقد استخدمنا بالفعل عنصرًا في نظرية بدت مفيدة لنا

---

[1] Jean-Marc Stébé, op.cit, P.72.

[2] عبد الرحمان المالكي، **الثقافة والمجال، دراسة في سوسيولوجيا الهجرة والتحضر في المغرب**، منشورات مخبر سوسيولوجيا التنمية الاجتماعية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، ظهر المهراس، فاس، المغرب، 2015، ص.60.

[3] عبد الرحمان المالكي، **الثقافة والمجال، المرجع السابق**، ص.62.

[4] Eric Le Breton, op.cit, p.17.

[5] Eric Le Breton, op.cit p.17-18.

[المناطق المتحدة المركز] لكننا انتقدنا العديد من الجوانب الأخرى. على الرغم من هذا البيان، فإن التقاربات عديدة وتتعلق بالعناصر الأساسية لمنشورات شمبارت.

ولهذا يهتم علماء الاجتماع في شيكاغو وشمبارت بالمدينة في سياقات من نفس النوع، من النمو الحضري المتسارع، من خلال إلزام أنفسهم قدر الإمكان بالقضايا التشغيلية مع الرغبة في تنوير قرارات المهنيين في تغيير البيئات المعيشية.. ويتشارك شمبارت وعلماء شيكاغو في مدينة شيكاغو نظرة قاتمة عن العاصمة غير المنظمة للوظائف الاجتماعية. عندما كتب شمبارت أن "الرجال جاءوا بالأمس إلى المدينة طلبا للحرية. إنهم يخنقون هناك اليوم تحت ضغط الصعوبات المادية والقيود الاجتماعية، "فهو ليس بعيدًا عن بارك الذي يثير" التأثير المدمر للحياة الحضرية "ويعتبر أنه" من المحتمل أن يكون تمزق الارتباطات المحلية وضعف قيود وموانع المجموعة الأساسية، تحت تأثير البيئة الحضرية، والتي تعتبر مسؤولة إلى حد كبير عن تطور الرذيلة والجريمة في المدن الكبرى."[1]

2.2 ـ شمبارت والأفكار المسيحية:

على مقربة من مدرسة شيكاغو، يقوم شمبارت بتطوير أطر عمل لتوجيه أبحاثه. لكن هدف بحثه، الذي يركز على تثقيف العمال ودفاعهم، غير مفهوم إلا في أعقاب مخاوفه المسيحية. في أعقاب الحرب العالمية الأولى، شارك شمبارت في الفرق الاجتماعية لروبرت غاريك، وواصلت حركة شباب الكنيسة، وحركة الكهنة العمال، وبعثة فرنسا، وبعثة باريس هذه النهج.[2] لها مشروع مشترك للتبشير عن طريق الانغماس في بيئات الطبقات العاملة الحضرية. تريد هذه الكاثوليكية اليسارية أن تحرر الإنسان من العبودية وتنتقد التسلسلات الهرمية الداخلية للكنيسة: يجب أن تعود السلطة إلى القاعدة وأن لا تحتكرها القمم المؤسسية البعيدة عن الظروف المعيشية لأكبر عدد من الناس. يؤدي هذا الموقف إلى ظهور مقاربات للتنظيم الذاتي لسكان هذه المنطقة (الحي)، لمثل هذه المدينة. هذه هي أول خوارزمية لنظرة شمبارت للعالم: التنظيم المستقل للطبقات الاجتماعية المتواضعة.[3]

ومن هذا، يظهر البعد المسيحي لعمل شمبارت في موضوعه الرئيسي والفريد تقريبًا: عالم العمل الحضري والطريقة التي يمكن أن يتحمل بها الاضطرابات الحضرية والاجتماعية لطفرة ما بعد الحرب. (في الثلاثينات المجيدة والتي تشير إلى الفترة بين 1945 و1975 التي شهدت فيها أغلب الدول المتقدمة عموما نمو اقتصادي كبير).[4]

3 ـ شمبارت وتطبيق نموذج "المناطق متحدة المركز لبيرجس" على حالة التجمعات السكانية لباريس:

حين أجرى شمبارت (Chombart) سنة (1952) بحثًا عن باريس ومناطقها الحضرية اقترح تطبيقًا منطقيًا لمخطط بيرجس المركّز الإشعاعي. وسعى للتحقق تجريبيا من الهيكل المكاني لمخطط شيكاغو، شمبارت متأثرًا بهالبواش، يرفض على الفور عددًا معينًا من العناصر التي اقترحها بيرجس:لم يعد الأمر هنا يتعلق بالتوسع والتعاقب (الخلافة)، أو موجات الاستيطان المرتبطة بالمكانة الاجتماعية للأفراد، كما لم يعد الأمر يتعلق بالتفاعل في المدينة أو التفاعل بين الأفراد والجماعات. قبل كل شيء، يرغب Chombart في الإجابة

[1] Eric Le Breton, op.cit p18-19.
[2] Eric Le Breton, op.cit, p.19.
[3] Eric Le Breton, **ibid**, p.20.
[4] Eric Le Breton, **ibid**, p.21.

على بعض الأسئلة الأساسية: في أي مكان يوجد السكان، الهياكل، المجموعات والأشخاص الذين يمكن اعتبارهم جزءًا من التكتل الباريسي؟ ما هي حدود وتقسيمات هذا الفضاء؟ ما هي العلاقات بين الهياكل المدرجة في هذا الفضاء والتمثيلات الجماعية والفردية للسكان؟"[1]

شمبارت، مع تأكيده بأنه لا يمكن أن تكون هناك خطوط فاصلة ثابتة بين المناطق، ولكنها بالأحرى مسألة "هوامش حدودية"، تمكن في النهاية من تحديد أربع مناطق لباريس وتكتلها (ثلاث مناطق داخلية + واحدة بالخارج). تشمل المنطقة الأولى (1) الدوائر الأربع الأولى وجزءًا كبيرًا من الدوائر 7 و9 و10. إنها المركز المالي والتجاري للعاصمة، والتي كانت في أوائل الخمسينيات من القرن الماضي تشهد بالفعل بدايات انخفاض عدد السكان. تشمل المنطقة الثانية (2) ما تبقى من الأحياء العشرة الأولى بالإضافة إلى الجزء الداخلي من الأحياء النائية. يتبع الخط الفاصل بين المنطقة 2 والمنطقة 3 تقريبًا المسار القديم للجدار العام للمزارعين (حاجز المنح الذي أقيم قبل الثورة مباشرة ودُمر في عام 1860 أثناء امتداد باريس إلى منطقة تيير). إنها منطقة انتقال وتدهور وتجديد، ولكنها تتضمن عنصرًا قديمًا لهيكلة باريس: القطبين شرق / غرب. يوزع هذا العنصر السكان على النحو التالي: من جهة الشرق، نجد "باريس البروليتارية"، البائسة في كثير من الأحيان، المكونة من مقاطعات بيلفيل وباستيل ومونمارتر وجيتي، حيث تسللت مجموعات أخرى من الحرفيين، ومن ناحية، جهة الغرب، يتم تنظيم "باريس البرجوازية" الفخمة، بصالوناتها، وفنادقها، ومقاهيها المرموقة، وسفاراتها، يرتادها عملاء ونخبة عالمية غنية. وهي أيضًا منطقة المحطة، ومساحة للتدفقات المهاجرة وجميع عمليات الاختلاط. تتكون المنطقة الثالثة (3) من الحافة الخارجية للأجزاء الطرفية التسعة (من الدائرة 12 إلى الدائرة 20). عادة ما تكون سكنية في الجزء الغربي منها، فهي بالأحرى صناعية (تركز الأعمال الصغيرة والمتوسطة) في الجزء الشرقي. أخيرًا، تشتمل المنطقة الرابعة (4) على الحلقة الداخلية لضواحي باريس حيث توجد شركات كبيرة وحتى كبيرة جدًا - السيارات على سبيل المثال، Citroën في Levallois-Perret و Renault في Boulogne-Billancourt. ما وراء ذلك فقط يمكن للمرء تحديد المنطقة الخامسة (5)، أو حتى المنطقة السادسة (6) من الضواحي، والتي تصبح شبه حضرية مع انتشار "مدن المراقد" المكونة إلى حد كبير من التجزئات السكنية ومناطق المباني السكنية الجماعية.[2]

إلى جانب القطبين الشرقي / الغربي، يسلط Chombart الضوء على التشوهات التي تعاني منها خطوط ترسيم حدود المناطق والتي تبعد بذلك الواقع الباريسي عن مخطط شيكاغو. بالإضافة إلى ذلك، تحتوي المنطقة الأولى (1)، بجانب المكاتب والبنوك والمحلات التجارية، على تراث تاريخي مهم، وعنصر تراثي يعزز التعقيد وينخرط في نوع آخر من عوامل الجذب.[3]

هكذا، وبناءً على النهج المورفولوجي لعلماء الاجتماع الفرنسيين، المثرى بمساهمة الجغرافيا البشرية، ولا سيما عمل Maximilien Sorre، يدعو Chombart إلى النظر في المساحات المختلفة في نفس الوقت (الاجتماعية والجغرافية والديموغرافية والاقتصادية والثقافية، الأنثروبولوجيا، وما إلى ذلك من أجل فهم تأثيرات البعض على الآخرين. بالنسبة

[1] Jean-Marc Stébé, **ibid**, P93-94.
[2] Jean-Marc Stébé, **ibid**, P.94-95.
[3] Jean-Marc Stébé, **ibid** P.95.

له، "الهياكل المكانية، كما تبدو لنا، يتم تحديدها جزئيًا بواسطة الظروف المادية والتقنيات وجزئيًا من خلال التمثيلات الجماعية. من ناحية أخرى، يمكن تعديل البيئة والتركيبات المكانية طوعًا وفقًا للاحتياجات المادية والمعنوية للسكان. باختصار، يتأثر الرجال بشدة بالبيئة ويمكن للإنسان، بمساعدة الوسائل المتاحة لهم حاليًا، تعديل هذه البيئة كما يحلو لهم تقريبًا.

ومن هذا المنطلق، يعد هذا العمل المهم عن باريس وتكتلها علامة بارزة في تاريخ علم الاجتماع الحضري ويرجع ذلك أساسًا إلى:

1 ـ تعبئة إطار نظري جديد وأصلي (نظريات مدرسة شيكاغو)،

2 ـ استخدام مجموعة كاملة من الأساليب،

3 ـ تطوير نهج متعدد التخصصات.[1]

4 ـ المدينة عند شمبار دو لاو:

يرى شمبارت دي لاو بأنه يوجد الكثير من الباحثين الذين يؤكدون على البعد الثنائي للمدينة، من حيث أنها في ذات الوقت إطار مادي ومركب اجتماعي ثقافي.[2] فالتركز concentration والمركزية الحضرية في القرن العشرين لا ترتبط بالتصنيع وحده، وإنما ترتبط بالتيارات الفكرية، فالمدن لا تأتي كإستجابة للإنتاج أو الاستهلاك أو التوزيع والتبادل، وإنما هي أيضا تشكل بناء إراديا للإنسان مرتبط بتنمية فكر من النمط العقلاني.[3] ولهذا نجده يتسائل عن العلاقة بين الحضرية والعقلانية، حيث يرى: أنه صحيح، يبدو أن الحضريين أكثر عقلانية من الريفيين، لكن إلى أي درجة يمكن إعتبارهم عقلانيين لأنهم عقلانيين؟، أي من يؤدي إلى الأخر.[4]

وبعيدا عن التفكير في المدينة على أنها نظام "طبيعي"، فإن مؤيدي النهج الماركسي الهيكلي- البنيوي -، المهيمن في فرنسا خلال السبعينيات، يعرفونها على أنها مجرد مكان لتحقيق أو تنفيذ سياسات الدولة. ويبدو أن المناطق الحضرية، تمثل دعما سلبيا لاستنساخ أو إعادة إنتاج رأس المال وقوته السياسية. واحدة من مزايا هذا التوجه النظري هو إظهار المنطق السياسي والمؤسسي الذي يحاول هيكلة الحيز الحضري. ففي الوقت الذي يجد علماء الاجتماع في شيكاغو هذه العمليات طبيعية، يرى علم الاجتماع الحضري الفرنسي المستوحى من الماركسية نظاما اجتماعيا تفرضه الدولة. ومن وجهة النظر هذه، يعتبر التخطيط الحضري من هذا المنظور بمثابة عمل سياسي يعيد إنتاج الانقسامات الاجتماعية، من خلال خياراته المفروضة من الأعلى.[5]

وإلى جانب ذلك فقد أوضح شمبارت الانعكاس الأخلاقي على مكان الإنسان في المدن المعاصرة والمشورة العملية للمطورين. وبسبب اهتمامه أولاً بمصير الفئات الشعبية، حاول أن يفتح معهم طرق ديمقراطية للتقارب.[6]

ومن جهة أخرى يذهب شمبارت إلى أكثر من ذلك، إلى التساؤل هل ما زالت المدينة موجودة؟ ففي عام 1982، كان بول هنري شمبارت دي لاو قد ذكر بالفعل "نهاية المدن"؛

---

[1] Jean-Marc Stébé, **ibid**, P.95.

[2] محمد بومخلوف، التحضر، ط1، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2001، ص.62.

[3] محمد بومخلوف، المرجع اليابق، ص.62.

[4] محمد بومخلوف، المرجع السابق، ص.62.

[5] Jean-marc Stebe, Herve Marchal**,** op.cit, p.34.

[6] Eric Le Breton, op.cit, p. 15-31

وتساءل: "هل نشهد نهاية المدن أو ظهور أشكال جديدة من الحياة الاجتماعية التي قد تبشر بمفهوم آخر للمدينة، والعلاقات الاجتماعية وأنماط القرار؟"[1]

وفي سنواته الأخيرة، مع نهاية المدن (1982)، قام بول هنري شمبارت دي لاوي بتطوير نموذج عالمي للمدينة ذات السرعتين. إن الطبقات العاملة الأوروبية وسكان الأحياء الفقيرة في المكسيك أو ليما، ومدن إفريقيا والهند، عالقون في وضع مشترك يتمثل في القدرة على الحصول على الحكم الذاتي فقط بشرط أن يكونوا غير مرئيين، وسريين تقريبًا. ما يقصده باستحضار "نهاية المدن" هو الإشارة إلى ديناميكيتين مترابطتين: الإنتاج، عن طريق الجمع أو المزج بين تقنيات التخطيط والدعاية، لمساحة تشكل مصفوفة الهيمنة؛ والإنتاج من قبل المجموعات المهيمنة لمساحة متباينة وجوفية.[2]

ومن ثم فالمدينة في نظره بعد أن كانت لفترة طويلة مساحة من العيش المشترك - بمعنى المساحة التي تم إنتاجها عن طريق التبرع، والمشاركة والاستخدام - أصبحت المدينة "أداة"، وجهاز يعمل بطريقة مستقلة، دون أن يؤخذ في الاعتبار الرجال والنساء المشاركين. تنمو المدينة وتصبح معقدة وتكسر التوازن الاجتماعي الذي كانت تحميه. التحدي للعمل ليس سياسيا. الأمر لا يتعلق فقط بتغيير برنامج التشغيل لنظام الإنتاج. إنها طبيعة نظام الإنتاج هو الذي على المحك. في هذا المنظور، يصبح من الأهمية بمكان إنشاء منظمات تستعيد نظامًا يحترم الأفراد أكثر، ويكون أقرب إليهم، ويمكنهم من خلاله التعبير عن أنفسهم، وتكوين أنفسهم. يمكن أن يكون هذا الطلب محليًا فقط، أي المعرفة والقرب المتبادلين. إنه ليس التفكير المحافظ هو الذي دفع شمبارت إلى بناء آماله على ما يمكن أن يسمى "بالجمهوريات الصغيرة"؛ إنها بالأحرى فكرة حديثة لا علاقة لها بالإيكولوجيا السياسية.[3]

5 ـ تشامبارت والمجمعات السكنية الجديدة للطبقة العاملة:

1.5 ـ تشامبارت والمجمعات السكنية الجديدة:

تميزت فترة ما بعد الحرب في فرنسا وفي العديد من البلدان الأوروبية بأزمة الإسكان. من حيث الكم: لدينا شيخوخة في المخزون، تغيرات سريعة في السلوك الديموغرافي، والمواقف تجاه الأسرة تسبب في احتياجات سكنية إضافية. وعلى المستوى النوعي، تنتشر معايير العمارة المعاصرة، وتتحول إلى الحاجة إلى مزيد من الراحة والطلب على المساحة. بعد عقيدة لو كوربوزييه، تدير العديد من الدول الغربية ظهورها لمراكز المدن والأحياء القديمة، وتشرع في البناء الصناعي لمجموعات كبيرة من المساكن الجماعية والطبقة العاملة في الضواحي. في الولايات المتحدة، تنفذ البرامج الفيدرالية عمليات إزالة للأحياء الفقيرة بغرض بناء مساكن مريحة وغير مكلفة. وفي روسيا، يوضح تيموثي كولتون (1995) كيف أن "الكتل السكنية" الجماعية التي تم إنشاؤها في ضواحي موسكو مع خطة التنمية لعام 1952 ترافقت مع تدمير الحي القديم في أربات. على جانبي جدار برلين، وهناك سؤال، كما أشار جان بيير فراي 2001، يتعلق بالبناء لمن يحق لهم الراحة والسكن والحداثة.[4]

---

[1] Paul-Henry Chombart de Lauwe, **La fin des villes, mythe ou réalité**, Calmann-Lévy, Paris, 1982, p.14.

[2] Eric Le Breton, op.cit, p.30.

[3] Eric Le Breton, **ibid** p.30.31.

[4] Fijalkow yankel, **Sociologie des villes**, la découverte, P.20.

ومن هذا المنطلق، يذهب شمبارت إلى أنه تم تدمير هذه الأحياء - القديمة - واستقرار سكانها وكذلك الأسر الجديدة لسكان المدن في مجمعات سكنية كبيرة، أين حاول المهندسون المعماريون تصميم مساكن حديثة مجهزة بمرافق استثنائية، مثل الحمامات والممرات والكهرباء في كل جزء. يتتبع شمبارت ورفاقه هؤلاء الرواد، الطريقة التي يلائمون بها المساحات الجديدة، وفي اكتشافهم لطريقة حياة تتميز بطول أوقات النقل، والالتزام بتناول الغداء بعيدًا عن المنزل، وإرساء ديمقراطية أوقات الفراغ ... يبدو أن رضا الطبقة العاملة يتقاسمها الجميع. "لقد حققت المدن الجديدة.. هدفها بالكامل، لأن الغالبية العظمى من سكانها يعلنون وكأنهم يعيشون مع عائلاتهم منذ إنشائها.. لكن هذه التصريحات لا تخفي حقيقة أن التأقلم مع السكن أمر صعب ومقلق لجزء كبير من الوافدين الجدد. جميع المساحات المرتبة بعقلانية لا تتماشى مع الممارسات المعيشية للطبقة العاملة.[1]

يهتم شمبارت وفريقه أيضًا برواق وسلم الأدراج. تتعرض مساحات الحي هذه للتوترات والصراعات، تماما مثل الأماكن العامة. عند أسفل المبنى هذا هو المكان الذي يقضي فيه الشباب جزءا من وقتهم. في وقت مبكر من عام 1960، لاحظ شمبارت أنه "في الحياة الاجتماعية للمدن، يطرح مكان ودور المراهقين والشباب أسئلة مقلقة للغاية بشكل خاص في كل مكان.. وهي المشكلة التي تدعو إلى التساؤل حول صيغة المدن الجديدة. أين يختفي الفضاء العام للتواصل الاجتماعي المحلي. حيث تجد أسر الطبقة العاملة نفسها مضطرة للتراجع والمحاصرة في منازلها.[2]

2.5 - شمبارت والطبقة العاملة

من الملاحظ عن شمبارت أنه غير مهتم بالطبقات العليا أو الطبقات المتوسطة الناشئة في هذا الوقت. كما أن نظرته للطبقة العاملة غير ماركسية: ليس العامل في مجال العمل، بل جميع أفراد الأسرة الذين لوحظوا في مكان العمل، في المنزل - مع إيلاء اهتمام خاص للنساء.. فخيط عمله هنا، هو النظر اليائس في اختفاء الطبقة العاملة. إنه يحلل سجلات هذا "سرد أحداث الاختفاء المعلن". في عام 1964، كتب مقالًا بعنوان "هل اختفت البروليتاريا؟" ". بالنسبة له، هذا الاختفاء هو في المقام الأول تحول مساحة المعيشة. تم تدمير أماكن العمل الأخيرة. كان العمال يعيشون في ظروف صعبة أحيانًا لكنهم عاشوا معًا.[3]

يذهب شمبارت إلى أنه في النهاية، أعيد تعريف حياة الطبقة العاملة. إن أنماط احتلال المساكن، ومساحات القرب من المشاة، وتفكك أماكن الحياة والعمل، كل هذا يعيد تشكيل ممارسات الحياة اليومية بقوة. يعاد تشكيل مساحات معيشة العمال في ذاتها وفي مفاصلها: مساحة السكن، ومساحة الحي والعلاقات الودية والأسرية. الثقافة، المتضمنة في مكان معين، تنكشف عندما يتم تدمير مساحتها.[4]

ومن ثم يتركز اهتمام شمبارت على الطبقة العاملة، وهي طبقة حضرية تعيش وتعمل في المدن، وتعيش في مساكن محددة. بينما يتجه المجتمع الفرنسي نحو نموذج إنتاجي، ينظر علم الاجتماع الحضري لشمبارت في مسألة احتياجات وتطلعات السكان العاملين من حيث المساحة والراحة وظروف المعيشة والنقل. يميز بين الحاجات والالتزامات، وبين

[1] Eric Le Breton, op.cit p.22.
[2] Eric Le Breton, **ibid**, p.23.
[3] Eric Le Breton, op.cit p.21.
[4] Eric Le Breton, **ibid** p.24.

الاحتياجات والتطلعات. إذا كانت الأولى تستجيب للاحتياجات الحيوية، فإن الثانية تتعلق بالعناصر، المادية وما إلى ذلك، وبفضلها يمكن للمجموعات الاجتماعية الحفاظ على نفسها كمجموعات (أماكن التواصل الاجتماعي أو الذاكرة، على سبيل المثال).[1]

ومن ثم فإذا كانت مراقبة وتحليل الظروف المعيشية للطبقة العاملة تمثل جزءًا مهمًا من عمل فريق شمبارت، فإن دراسة تعديل العلاقات بين الأوساط الاجتماعية والطبقات والممارسات والتمثيلات تشكل الجانب الآخر المهم من هذه الأبحاث. لهذا الغرض، يعبئ شمبارت فكرة الوسط الاجتماعي.[2] وامتد هذا العمل البحثي إلى تأثيرات ظاهرة التحضر على الفئات الاجتماعية، الذي شمبارت، خلال الستينيات والسبعينيات من القرن الماضي.[3]

ومن هذا المنطلق يذهب إلى أن المجموعات المهيمن عليها تتوق إلى التحرر. وفي هذا المنظور أيضا، يسلم شمبارت بكل شيء تقريبا للماركسية: الخطاب حول نهاية التاريخ، والاعتراف بأن الرأسمالية وصلت إلى المرحلة الأخيرة من تطورها، والتناقضات الداخلية للنظام الاجتماعي ... شمبارت يثير من الآن فصاعدا نضال الطبقات ويعبر عن أفكار القضية الأممية (الدولية). على سبيل المثال، للعمال المهاجرين والعمال الفرنسيين سبب مشترك، لأن "أي تقدم للطبقة العاملة في بلد ما يمكن أن يفيد الآخرين، بشرط أن يكونوا على وعي بالحاجة إلى تحديد سياسة عالمية."

ولكن على الرغم من استخدام المصطلحات الماركسية، فإن نظرة شمبارت العالمية لا تزال متميزة عنها. فمن وجهة نظره، فإن الجهات الفاعلة المعنية هي التي تقع في قلب المشروع، وليس الطبقة ولا حتى الحزب. يقوم هذا الممثل بتأسيس نفسه من خلال "ممارسة العمل والتواصل والحوار مع رجال آخرين. موضوع شمبارت لا يُنظَّم كعضو في جماعة تتفوق عليه منذ البداية، وإنما يتكون من الانعكاسية، مثلما نقول اليوم. لا يلتزم شمبارت بالأولوية الماركسية للمحددات الاقتصادية في الهيكلة الاجتماعية والتغيير الاجتماعي. وعلى المستوى السياسي، يرفض شمبارت الخيار الثوري العنيف. إنه ينتقد الماركسية بسبب إنكارها للجزء الروحي للإنسان ولا يحبذ اندماج الأفراد في المؤسسات المجردة على حساب اندماج الفرد في أسرته وشبكة معارفه المتبادلة. من ناحية أخرى، عند الماركسيين، يتم تحديد التعبئة الجماعية من خلال السجل السياسي أين يتم صياغة الأفكار والمطالب بشكل واضح، ولكن يتم صياغتها من قبل المحترفين والقادة والمثقفين.[4]

وبالنسبة لشمبارت دائما يجب أن تنشأ حركة التحرر قبل التعبير عن المطالب، في الوقت الذي يشعر فيه الأفراد أن وضعهم المهيمن سيئ، ولكن دون أن يكونوا قادرين على تحديد سبب التغيير وكيفية ذلك. تشير هذه الحالة إلى مفهوم الطموح، باعتباره رغبة قائمة على الشعور بوجود تباين (فجوة) بين الموقف المعطى والموقف الذي يبدو مرغوبًا فيه. يجب أن يتم تنفيذ هذا التوضيح، خطوة بخطوة، من قبل الأطراف المعنية نفسها؛ فالحزب، كمؤسسة غير مجدي. إن ما يسميه شمبارت الديناميات الثقافية هو مرافقة الأفراد في رحلة الوعي برغباتهم في التغيير الاجتماعي.[5] ولذلك نجده قد أوضح الانعكاس الأخلاقي على مكان

[1] Fijalkow yankel, op.cit, P.21.
[2] Jean-Marc Stébé, **ibid** P.100.
[3] Jean-Marc Stébé, op.cit P.101.
[4] Eric Le Breton, op.cit p.29.
[5] Eric Le Breton, **ibid**, p.30.

الإنسان في المدن المعاصرة في المشورة العملية للمطورين. وبسبب اهتمامه أولاً بمصير الفئات الشعبية، حاول أن يفتح معهم طرق ديمقراطية للتقارب.[1]

6 ـ منهجية البحث عند شمبارت دو لاو:

بالإضافة إلى الاستخدام المنطقي لمفاهيم معينة لمدرسة شيكاغو والأساليب الأصلية المستخدمة (لا سيما إنشاء الخرائط التي تعكس في الوقت الحاضر أنواعًا مختلفة من المساحات الاقتصادية والديموغرافية والثقافية والدينية).. فإن ما يهدف إليه شمبارت قبل كل شيء هو بناء علم اجتماع تطبيقي، في ضوء الأبحاث الأمريكية، من خلال تحسين الأدوات الموجودة.[2]

وفي هذا الإطار:

- سعى جاهداً ليكون شاهدًا للناس. عن حياتهم اليومية وكيف ينظرون إليها، ويقولونها ويعيشونها. إنها إذن مسألة إدلاء شهادة من خلال وصف للحقائق وسرد للأحداث التي يحضرها المرء، وحتى التي يشارك فيها، لتوعية حياة الرجال والنساء، في تنوعهم من خلال التعبير عن ثقافتهم المعيشية، ولنقل الانطباعات ومشاركة التفسيرات، من أجل لفت انتباه أولئك الذين لا يدركون وجودها أو الذين لم يكونوا حاضرين عند ظهورها.. وبالتالي، فإنه يتطلب مساهمة معارف الناس (الناتجة من استخداماتهم وممارساتهم) في مواجهة تلك الخاصة بالمتخصصين أو حتى القادة السياسيين: "الناس غير مرتاحين في الفضاء المشيد لهم ولكن ليس من قبلهم. فالفضاء غريب بالنسبة لهم، وهو جانب من الاغتراب. إنه يعتبر هذه المعرفة التي كان المدافع المتحمس والمروج لها جزءًا لا يتجزأ من المعرفة العالمية.[3]
- وبالنسبة إلى شمبارت دائما، يظهر البحث على أنه "نهج شامل" حيث يجب تجاوز العديد من الحدود. بادئ ذي بدء، الخطوط الفاصلة بين مستويات العمل العلمي: البحث الأساسي، البحث الموجه، البحوث التطبيقية، والبحوث المتشددة، لا تثور ضد بعضها البعض ولكنها تكمل بعضها البعض وتساهم في تطوير المعرفة. ثم، الحد الفاصل بين التخصصات: يدرك شمبارت أن لكل باحث أدواته المفاهيمية والمنهجية الخاصة به، ويدافع عن فكرة ذات فائدة وملائمة، تقارب عدة مناهج تجاه نفس الموضوع "لتنوير التعقيد بشكل أكثر تأكيدًا، وإثارة نقاش قادر على طرح أسئلة جديدة. أخيرًا، خطوط الصدع بين الأساليب: الأساليب الكمية والطرق النوعية؛ ليست متعارضة، فمن المستحسن بالنسبة لشمبارت أن يلجأ إلى مجموعة متنوعة من الأساليب إذا كان المرء يرغب في فهم الواقع بأكثر الطرق دقة ممكنة.[4]
- وبعد الحرب مباشرة، كان شمبارت قد شدد بالفعل على أهمية المنهج الإثنولوجي - الملاحظة المباشرة - في فهم ليس المجتمعات الغريبة، بل مجتمعاتنا. ستكون إحدى اهتماماته هي الحياة اليومية، وبشكل أكثر تحديدًا أنماط الحياة الشعبية التي تمت دراستها في مركز الإثنولوجيا الاجتماعية. كان هدفها على وجه الخصوص هو تجاوز علم اجتماع الإسكان مثل الاقتراب من الإحصاءات الاقتصادية الوطنية

[1] Eric Le Breton, **ibid**, p. 15-31
[2] Jean-Marc Stébé, op.cit, P.96.
[3] Anne-Marie *Fixot*, op.cit, p. 155-170
[4] Jean-Marc Stébé, op.cit, P.97.

لمراقبة الاستخدامات اليومية للفضاء في الموقع وبالتالي تطوير إثنولوجيا اجتماعية للإسكان.[1]

- وبالإضافة إلى ذلك، كانت ممارسته تعددية التخصصات والبحث - العمل من جانب الباحثين أو اللجوء إلى الاستماع إلى السكان، للمسؤولين المنتخبين، والمخططين الحضريين، والمهندسين المعماريين في مسائل التنمية الحضرية - الاستماع الشائع تحت مصطلح "مشاركة السكان" - لمنهجية بحث كانت مبتكرة في ذلك الوقت.[2]
- وفي علاقة الممارسة التجريبية بالنظرية، فإنه وإن ادعى العودة الدائمة التي لا غنى عنها إلى الحقائق الملموسة، فإنه مع ذلك يدرك المطالب والعواقب التي يولدها هذا الموقف، ويفترض في مواجهة أولئك الذين يعتقدون أنهم قد رأوا وفكروا بالفعل في كل شيء: "نفكر بعد ذلك من خلال هذا العمل التجريبي للوصول إلى نتائج أقل ذكاءً ولكنها أكثر يقينًا حتى على المستوى النظري" أو حتى "الشيء الأساسي ليس الفرضية، إنه موضوع الملاحظة". ومع ذلك انتقده العديد من علماء الاجتماع الأكاديميين بسبب تجريبه وافتقاره إلى إطار نظري قوي. إلا أنه، عند قراءة أعماله، فإن هذا النقد ليس شرعيًا لأنه يوضح باستمرار كيفية ربط القطبين: العمل التجريبي من خلال البناء الدقيق والمنطقي للمادة التحليلية والنظرية التي هي نظرية في حالة حركة. (منتقلاً على سبيل المثال من نظرية الحاجات إلى نظرية التطلعات والرغبات التي صاغها).. وكان يهدف من ذلك بوضوح إلى: ربط البحث النظري بالمسوحات الميدانية التي تؤدي إلى الحوار مع المسؤولين عن التحول الحضري.
- ومن جهة أخرى وفي إطار العلاقة بين الكمية والنوعية، فإنه وفي في جميع استطلاعاته، حشد ترسانة كاملة من الأدوات المختلفة بما في ذلك الإحصاءات والعينات والنسب المئوية والملاحظات والاستبيانات ودراسات الحالة والمقابلات. في هذه المادة الكمية والنوعية المتقنة، يدشن طريقة جديدة لمقاربة الظواهر الاجتماعية: العينة الصغيرة. وبالمثل، فإن إدخال الملاحظة الإثنوغرافية، وهي تقنية بدأتها الأنثروبولوجيا وتم تطبيقها في علم الاجتماع، تجعل من الممكن جمع التفاصيل المهمة، "الحقيقة الصغيرة" التي تلقي الضوء على الحقيقة الاجتماعية برمتها. وبالتالي، فإن الاهتمام الموجه إلى ملاحظة الحقائق الملموسة المضبوطة في سياقها لا يحول الإسكان إلى مادة إحصائية، ولا إلى إسكان صارم، أو استجابة تقنية لحاجة وظيفية بسيطة، ولا إلى منتج استهلاكي مبتذل وشائع، ولا إلى مجرد موضوع لنظرية اجتماعية اقتصادية.[3]

7 ـ شميارت والديناميات المجتمعية:

يميز بول هنري شمبارت دو لو بين نوعين من المجال الاجتماعي: المجال الموضوعي (objectif l'espace) والمجال الذاتي (l'espace subjectif). ويوضح ذلك بقوله: لكي أحاول بشكل عام اختصار التحليل الذي قادني إلى هذا التمييز، فإنني سأنطلق من المجال السوسيوجغرافي كإطار مجالي فيه تتحرك وتعيش جماعات إنسانية معينة. والتي تتحكم في بنياتها عوامل اقتصادية وعلاقات اجتماعية ونماذج ثقافية. في هذا المجال ينتظم مجال

[1] Jean-marc stebe, op.cit, P.42.
[2] Anne-Marie *Fixot*, op.cit, *p. 155-170.*
[3] Anne-Marie *Fixot*, **ibid.**

اجتماعي فعلي (موضوعي) يتشكل وفقا للنماذج الثقافية التي تفرض على الإطار القائم بعض الأشكال بحسب بعض المعايير التي تفرض وضعا للأشياء وفقا لنظام محدد. إن حركة الأفراد في هذا المجال تكون موجهة، وهناك نقط جذب مفضلة هي التي توجه هذه الحركة. وهكذا فإن الأفراد والجماعات يخضعون في حركتهم لنماذج من وضع المسئولين عن التخطيط الحضري". إن هذا المجال الواقعي الموضوعي يتحول من خلال الممارسة والإدراك الإجتماعيين إلى مجال ذاتي، لما يبدأ الأفراد والجماعات في إدراك الخصائص غير المرئية للمجال. "إن هناك فروق مرئية وغير مرئية بين مجال وأخر. فهناك فرق مثلا بين المناطق الضعيفة الكثافة والمناطق المرتفعة الكثافة. وبين المناطق التي تختص بمهن معينة والتي تختص بمهن أخرى. إن هذه الاختلافات يمكنها أن تخلق هوامش وحدود. والتي بالرغم من كونها لا تبدو للسكان فإن لها دورا كبيرا في العلاقات الاجتماعية. إن المسافات بين الأفراد المنتمين لمختلف الفئات والطبقات والأعراق الاجتماعية هي مسقطة على الأرض. كما هي مسقطة عليها كل البنيات الإجتماعية. إن هذا المجال الاجتماعي يدرك ويتمثل بطرائق مختلفة من طرف الأفراد والجماعات".[1]

1.7- شمبارت والديناميات الاجتماعية:

في معرض حديثه عن العلاقة بين المكاني والاجتماعي: يقول شمبارت: أن "الهياكل الاجتماعية، كما تبدو لنا، يتم تحديدها جزئيًا حسب الظروف المادية والتقنية، وجزئيًا عن طريق التمثيلات الجماعية. إذ يهتم شمبارت أيضًا بالإسكان، وبالطبع فإن وظيفة الإسكان تلبي حاجة ولكن أيضًا كمثال على العلاقة بين الأشكال المادية للحياة الاجتماعية وأشكالها الرمزية، وهي علاقة تحشد لا سيما التمثيلات والطموحات، والتي يتم تحليلها من ظروف المعيشة اليومية لعائلات الطبقة العاملة (من خلال محل إقامتهم ومسارها السكني، ميزانية الأسرة، علاقتها بالجسد، بالحي، بالمنطقة ...).. ففي سعيه وراء تحليلات التشكل الاجتماعي التي روج لها موريس هالبواش، كان دائمًا منشغلًا بعلاقات الرجال بمساحاتهم.

ومن هذا المنطلق فإن تفكير تشومبارت الاجتماعي يميز الديناميات الاجتماعية، وظهور أشكال جديدة من الحياة الاجتماعية، ويعكس ظروف ظهورها.[2]

وفي هذا السياق، اتجه شمبارت إلى دراسة "التحولات في الظروف المعيشية والسلوك في البلدان الصناعية أو في طريق الصناعية. فإلى جانب العائلة، تظل المدينة مجالًا متميزًا للتحقيق. ولكن كما يقول هو نفسه، "لم تعد تدرس لنفسها، بل كتعبير عن مجتمع في تطور دائم". وإلى جانب ذلك ففي عام 1963، نشر كتاب "الرجال والمدن"، وهو كتاب يجمع عددًا معينًا من المقالات التي يعلق عليها على النحو التالي: هذه النصوص، التي اتخذ بعضها موقفًا صارمًا ضد عدم كفاية سياسة الإسكان، وضد المضاربة الحضرية، وضد العقارات السكنية الكبيرة، وبشكل أوسع ضد التخطيط الحضري الذي رفض رؤية المشاكل الحقيقية للهياكل الاجتماعية الأساسية، التي كانت لا تزال بعيدة عن التعبير عما كنا نرغب في تسليط الضوء عليه.[3]

ولهذا يرى شمبارت أن المجال الاجتماعي هو مجال متعدد الأبعاد وأن الطريقة التي يدرك بها الناس المجال ويتمثلونه تتطابق تماما مع تصورهم للعالم ومع نسقهم القيمي. ولذلك

---

[1] عبد الرحمان المالكي، **مرجع سابق**، ص.56.55.

[2] Anne-Marie *Fixot, op.cit.*

[3] *Anne-Marie* Fixot, **ibid.**

يعتبر أن المجال هو انعكاس للحضارة: "إن المجال السوسيوجغرافي الذي تموضع فيه الأشخاص والأشياء المدروسة يعكس البنيات الاجتماعية وثقافة المجتمع برمته. إن الأشكال التي ندرسها في المجال المادي تتغير بحسب سلوكات الناس وطريقة تفكير هؤلاء الناس الذين يخلقون هذه الأشكال تدريجيا". إن الإنسان الحضري يخلق مجاله وفق تصوره وثقافته وحاجاته اليومية. إن ما يصدق على مستوى المدينة التي تعتبر الأشكال التي نتخذها على الأرض تعبيرا عن حياة المجتمع يصدق أيضا على مستوى السكن.[1]

2.7 ـ شمبارت والديناميات الثقافية:

شمبارت وطوال حياته المهنية، قدم سلسلة كاملة من الأفكار المتتالية لفهم عمليات الهيمنة والعلاقات التي يتم تكرارها بشكل أفضل خلال هذه التحولات: فانطلاقا من مقارباته المفاهيمية للاحتياجات وحتى التطلعات، ومن خلال تلك المتعلقة بالمطالبات والمشاريع، إنما يطور تدريجياً فكرة "الديناميات الثقافية" التي تشكل حجر الزاوية فيها.[2] فلا يكفي الاستجابة للاحتياجات الفورية التي يتم تجاوزها بسرعة، ولكن للتطلعات التي يجب على عالم الاجتماع أن يساعد في اكتشافها.. تُعطى الكلمة معنى تقنيًا مفرطًا في التقييد ويقمع كل حرية للأفراد كما لو كانت مسألة إسكان أرانب أو فئران وليس رجالًا. إسكان الأسرة ليس آلية عادية.

فالتغير الاجتماعي الذي يحدث في الحياة الحضرية يتم من خلال التواصل والاتصال. إن وقائع ووتائر التنقل والهجرات المؤقتة داخل المدينة ليست عبارة عن تحركات لأشخاص وأشياء فحسب وإنما هي أيضا"تحركات لأفكار وتبادل على مستوى اللغة. ونظرا لهذه الوقائع المادية والمبادلات الثقافية فإن المدن تعتبر مراكز تتنوع فيها المبادلات بين مختلف الثقافات".[3]

ذلك أن شمبارت يعرف الإسكان، بعيدًا عن كونه مجرد وظائف عملية، يتمتع دائمًا بمكانة غنية ومعقدة "حتى لو كان الإسكان في المدن الحديثة الكبيرة لا يعبر عن الهياكل الأسرية والممارسات الاجتماعية بشكل واضح كما هو الحال في أي مكان آخر". إن مسألة التشكل الاجتماعي، التي بدأها M. Halbwachs، تحتل مكانة متميزة في جميع دراساته الحضرية، وهذا بسبب:[4] أن نظامنا الكامل للقيم متورط دون إدراكنا له. فتغيير ترتيب عناصر الفضاء الاجتماعي للمسكن يعني تعديل القيم المنسوبة إلى الأشياء والرموز التي تدعمها. كما أنه يغير القيم المتعلقة بالتسلسل الهرمي للأدوار. إن معتقداتنا ومخاوفنا وآمالنا وحياتنا الحميمة وحريتنا هي التي تتأثر.[5]

ويؤكد ذلك شمبارت بالقول: أن "الهياكل الاجتماعية، كما تبدو لنا، يتم تحديدها جزئيًا حسب الظروف المادية والتقنية، وجزئيًا عن طريق التمثيلات الجماعية. وفي هذه الجملة البسيطة يكمن المنظور الذي طرحه مارسيل موس حول التداخل بين الفرد والجماعة، بين البيولوجي والنفسي والاجتماعي والطبيعي والثقافي، بين العام والخاص، من خلال الوظيفة الرمزية ذات الصلة... لإنسانيتنا التي تمنح معنى وأهمية للوجود البشري. هذا النهج يتعارض مع كل القراءات المكانية التي تؤدي إلى فكرة أنه من خلال إصلاح الفضاء، يمكننا

---

[1] عبد الرحمان المالكي، **مرجع سابق**، ص.62.

[2] *Anne-Marie* Fixot, op.cit.

[3] عبد الرحمان المالكي، **مرجع سابق**، ص.26.

[4] Anne-Marie *Fixot, op.cit.*

[5] Eric Le Breton, op.cit, p. 15-31

إصلاح المجتمع الذي يسكنه.. وإذا كان شمبارت مهتما جدا بالإسكان، وبالطبع فإن وظيفة السكن تلبي حاجة ولكن أيضًا كمثال على العلاقة بين الأشكال المادية للحياة الاجتماعية وأشكالها الرمزية، وهي علاقة تحشد لا سيما التمثيلات والتطلعات والتي يتم تحليلها من خلال ظروف المعيشة اليومية لأسر الطبقة العاملة (من خلال مكان إقامتهم وخلفيتهم السكنية، ميزانية الأسرة، علاقتها بالجسد، الحي، والمنطقة،...).[1]

ومن ثم فعمل شمبارت على تصورات وتمثيلات سكان الحضر، يدل على أهمية مراعاة تطلعات السكان دون اختصارهم إلى مفهوم النفعية والتكنوقراطية عن "الاحتياجات". مقابل تمثيل الفضاء المركزي، يحاول إبراز فكرة تعدد الجهات الفاعلة والمعرفة، وتعدد الخيال والزمانية. إذ يعتبر الناس موضوعات ملموسة (لديهم أيضًا حياة خارج العمل) .. وهكذا يبدأ شمبارت في التفكير بشكل كامل في القدرة على البناء بشكل مشترك وعلى إمكانات الاعتراف الاجتماعي والسياسي للأفراد على المستوى المحلي مع إعطاء مكان عظيم للمكانة الاجتماعية. المزج بين مفهوم "المصلحة العامة"، و"المصلحة الخاصة" (الفردية و/ أو الجماعية).[2]

ولذلك ففي عام 1975، في كتاب تجميعي بعنوان الثقافة والسلطة، قدم شمبارت سلسلة كاملة من الأسئلة / التأملات حول مفهوم "الديناميات الثقافية" والتي عارضها مع مفهوم "التلاعب الاجتماعي"، وهو منظور تم إدراجه مرة أخرى في عمليات التحول الاجتماعي .. فقد ظل شمبارت رجلاً منخرطًا في حياة المدينة. يضع معرفته كباحث في خدمة الفاعلين الاجتماعيين الآخرين في فرنسا والخارج. كما يشغل منصب مستشار أو خبير أو ناشط (أثناء الإضرابات العمالية في الخمسينيات على سبيل المثال) أو ميسّر أو مدرب. يزود محاوريه أو شركائه بالأدوات والنهج التي من المحتمل أن تزودهم "بتمثيل دقيق للفضاء الاجتماعي [... والسماح] للسكان الذين يعيشون هناك بأن يصبحوا أكثر وعيًا به"؛ لأنه بالنسبة له، "استحالة أن يجد ساكن مدينة كبيرة نفسه في مكان ما، في مساحة خرسانية، وليست من أقل أسباب اختلال التوازن في مجتمعنا". هذه هي الأهداف المتكررة التي تشكل أساس التعاون بين فرق البحث التي يديرها والجهات الفاعلة في هذا المجال، سواء كان ذلك تعاونًا مع مخططي المدن والمهندسين المعماريين والمخططين أو مساهمة في "العمل الثقافي" للعمال وسكان الحي، أي تنفيذ "الديناميكية الثقافية". فهو مبدع فكرة الشبكات التي تحفز الاستيلاء على الحكم الذاتي والتعليم الشعبي وحتى ممارسة "التعليم الذاتي" و"البحث الذاتي". ووفقا له، فإن البحث في حد ذاته ليس له فائدة؛ والغرض منه ذو شقين: من ناحية، تحسين الظروف المعيشية للسكان؛ ومن ناحية أخرى، لمساعدة مخططي المدن والمطورين والمخططين لتنفيذ العمليات التي تلبي توقعات السكان.[3]

ومن هذا المنطلق يشارك شمبارت في إشكاليته: التفكير حول أنماط العمل التلقائية للفئات الشعبية. وهو يُظهِر إمكانيات تعبئة السكان لاتخاذ القرار والتحكم، إلى حد ما في بيئتهم المعيشية. يجب أن يصبح تثاقف الطبقات الشعبية، الذي تم اختباره بشكل سلبي في البداية، محركا للعمل الجماعي. هذا هو مبدأ شمبات للإدارة الذاتية للدوائر الشعبية. وهدفها الآن هو إنتاج المعرفة لصالح السكان المحليين. وهو لذلك يعتمد على مساهمتهم الجماعية في خيارات

[1] Anne-Marie *Fixot, op.cit, p. 155-170.*
[2] Anne-Marie *Fixot, **ibid**, p. 155-170.*
[3] Anne-Marie *Fixot, **ibid**, p. 155-170.*

التنمية الأكثر صلة، وقبل كل شيء، في تكثيف الروابط الاجتماعية داخل المدن. أدت إعادة تعريف المساحات إلى تعطيل الهياكل الاجتماعية. وينتج عن هذا مظاهر شاذة يحددها شمبارت من خلال عدة مؤشرات: عصابات الشباب والجنوح. عبء النشاط الزائد على النساء اللاواتي يضطررن إلى إدارة العمل بأجر، والعمل المنزلي دون مساعدة الجيران أو الأسرة؛ ارتباط الاضطرابات النفسية المتعلقة بحالات العزلة والإقصاء، إلخ. ولهذا يجب دعم أي شيء يساهم في تكامل الرابطة الاجتماعية، لا سيما الجمعيات من جميع الأنواع التي تعتبر بالنسبة شمبارت "أساس الديمقراطية ذاته"، ولكن الديمقراطية التي يقصدها في المجال الاجتماعي، وليس في المجال السياسي. الجمعية أو النادي أو لجنة المبنى أو الحي، هي الهياكل التي تسمح لجميع السكان بالوصول إلى النقاش الجماعي وتعزيز الروابط الاجتماعية المحلية. حملات شمبارت من أجل الإنشاء المنتظم للأماكن حيث يمكن لسكانها التفاعل مع بعضهم البعض: غرف الغسيل الجماعية ودور الحضانة ومراكز الترفيه والمساحات المخصصة للشباب.[1]

ومن خلال هذا الادعاء، يشير إلى الأسئلة اللاحقة المتعلقة بالديمقراطية المحلية والتنظيم الاجتماعي والتضامن في أحياء الطبقة العاملة، والتي تشكل أحد أصول سياسة المدينة الحالية. قام شمبارت بتدوين هذه التعبيرات – التحركات - السكانية في مجال المجتمع المدني وليس في المجال السياسي، والتي من شأنها أن تميل، في رأيه، إلى اختزال القضايا الأنثروبولوجية في الحياة اليومية إلى منطق حزبي متضارب. ولم يذكر في أي وقت من الأوقات إدراج المطالب في برامج الأحزاب السياسية أو في الألعاب الانتخابية. لا يلقي أي خطاب على الساحة السياسية المحلية أو الوطنية. بالنسبة له، يجب أن تكون التعبئة الشعبية مستقلة لأنها من خلالها تحافظ على ثقافة معينة، هي ثقافة حياة الطبقة العاملة. لا يمكن إتباع هذا النهج إلا من قبل العمال أنفسهم. ولم يتصور شمبارت أبدا إعادة تجميع التعبئة المحلية أيضًا. شرعية الساكن هي أن يكون فاعلا في المنطقة التي يقطنها؛ في مكان آخر، تفقد كل شرعيتها. العمل الجماعي محلي عند شمبارت: إنه عمل الساكن في منطقته.

ذلك أنه يرى أن تحولات الثلاثينيات المجيدة، سواء كانت في المدينة أو في الهياكل الاجتماعية والسياسية، أدت إلى ظهور شبه مجتمعات من السكان. ومن ثم فإن مساحة المعيشة بالنسبة لـشمبارت هي المكان الذي يمكن للفئات الاجتماعية أن تحافظ فيها على ثقافتها، وروابطها الاجتماعية المحددة، وبشكل عام، كرامتها، وهذا يعني بالنسبة له، الشعور بالقدرة على عيش تطلعاتهم. ولكن يجب التغلب على مساحة الاستقلال الذاتي هذا في ميزان القوى. هذا التغلب يحدث في إطار الديناميكية الثقافية.[2]

3.7- شمبارت والديناميات السياسية:

مع Chombart de Lauwe "البحث في حد ذاته ليس له أهمية كبيرة"؛ ما يريده على وجه التحديد هو عدم فصل المعرفة عن آثارها السياسية، فهو مقتنع بأن المعرفة يجب أن تغذي الفعل والعكس صحيح. كتب عالم الاجتماع التدخلي على وجه الخصوص في "مقدمة" عن باريس والتكتل الباريسي (1952) ما يلي: "البحث في الحياة الحضرية أو الحياة الريفية هو موضوع للنقاش بشكل خاص. من وجهة النظر المعيارية، يجب أن يتوصل مخطط المدينة

[1] Eric Le Breton, **ibid**, p.26.
[2] Eric Le Breton, **ibid**, p.27.

إلى حلول، ولكن إذا لم يكن مبنيًا على ملاحظات منهجية صارمة، فسيظل متأثرًا بتكوينه الاجتماعي والأخلاقي والفكري"، ويضيف أيضًا:" بين التقنيين والإداريين والسياسيين من جهة، وسكان مدينة كبيرة مثل باريس من ناحية أخرى، يجب على الباحثين العلميين توفير أساليب التوثيق والمراقبة التي يمكن أن تساعد في إيجاد حلول مرضية».[1]

ذلك أن عمليات تخطيط المدن تقلب المناظر المألوفة، وتشرد السكان وتخلق مساحات جديدة. في أوروبا كما في الولايات المتحدة، تدمر سياسات التجديد الحضري أحياء الطبقة العاملة القديمة. كيف ستتطور الظروف المعيشية الجديدة في ضواحي السكن الجماعي؟ هل ستعزز تماسك الفئات الاجتماعية الموجودة أم، على العكس من ذلك، ستخلق بوتقة انصهار حضرية جديدة؟ وماذا عن الإسكان في الضواحي في الولايات المتحدة، والذي جذب عمال ذوي الياقات البيضاء منذ الخمسينيات؟ هل الوضع مماثل في فرنسا منذ الثمانينيات؟ هل هذه علامة على انسجام جديد في المجتمع الحضري المعاد تركيزه حول الحي؟[2]

شمبارت هنا يحاول التفكير بشكل كامل في القدرة على البناء بشكل مشترك، وعلى إمكانات الاعتراف الاجتماعي والسياسي للأفراد على المستوى المحلي، مع إعطاء مكان عظيم للمكانة الاجتماعية. المزج بين مفهوم "المصلحة العامة"، و"المصلحة الخاصة" (الفردية و/ أو الجماعية).[3]

وهو لهذا يقول بأنه تبرز "مخاوف إنسانية" من الآخرين ذات الأهمية السياسية. في مواجهة الضرورات التقنية والاقتصادية وضد هيمنة مخططي المدن والمهندسين المعماريين، يدعي شمبارت الاستماع الأساسي لنتائج البحوث في العلوم الاجتماعية ومكانًا معترفًا به لعلم الاجتماع-الإنسان في حفل الأخصائيين.. لا يتردد في وضع بحثه ليس فقط في خدمة تجارب النضال ضد جميع أشكال الاضطهاد والهيمنة، ولكن أيضًا في خدمة قناعة ديمقراطية معينة: المساواة بين حق الكلام والاستماع بين أكثر المتعلمين والأقل تعليما؛ وهو الشخص الذي، رفض كل استخدام من قبل الرجال للأيديولوجيات، إنه يعترف لهم بالكرامة الأساسية التي تضعهم بالضرورة في قلب المشاريع. فالاستماع بانتباه إلى تطلعات الناس وأخذ ممارساتهم ومعرفتهم في الاعتبار يؤدي بهم إلى فتح طرق لمدة خمسين عامًا، لاستدعاؤهم بمشاركة السكان.[4]

ومع ذلك بالنسبة له، الملاحظة واضحة، التخطيط الحضري وحده لا يمكن أن يغير المجتمع، إنه مجرد تعبير واحد عنه. يتعلق الجزء الآخر من الاستطلاع بسلوك أسر الطبقة العاملة. تُظهر دراسة العلاقات بين الممارسات والتمثيلات في الحياة اليومية وجود روابط بين إيماءات الناس والاحتياجات والصور والنماذج والتطلعات التي تم التقاطها من خلال الملاحظات والاستطلاعات الإثنوغرافية.[5]

ولأجل ذلك يناضل شمبارت مع السلطات لجعلها تأخذ في الاعتبار أفضل جزء من الإنسان. ويقدم العديد من التوصيات. يتدخل في معايير الإسكان الجديد فيما يتعلق بمساحة المعيشة، والعزل الصوتي والكثافة السكانية وتنظيم الشقق. إنه مهتم بالمرافق الجماعية

---

[1] Jean-Marc Stébé, Hervé Marchal, **ibid**, P96-.97.
[2] Fijalkow yankel, op.cit, P.20.
[3] Anne-Marie *Fixot, op.cit, p. 155-170.*
[4] Eric Le Breton, op.cit, p. 15-31.
[5] Anne-Marie *Fixot, op.cit, p. 155-170*

اللازمة للاندماج الاجتماعي في المدن الجديدة: المرافق الرياضية، ومراكز الترفيه للشباب، والحانات الخالية من الكحول، والمغاسل الجماعية للنساء من خلفيات متواضعة الذين ليس لديهم غسالات.[1] من خلال هذا التصور، يصوغ شمبارت العديد من مبادئ التخطيط. أولاً، الجودة اللازمة للمرافق الجماعية، على جميع مستويات الأراضي وفي جميع المناطق؛ ثانياً، تعدد المراكز التي ينبغي أن تجعل من الممكن احتواء المدن بحجم معقول يبلغ مليون نسمة كحد أقصى؛ ثم، إتقان التخصص الوظيفي للأراضي، بحيث يتم تجنب المسافة بين المنزل والعمل؛ تنظيم التنقل هو قضية رئيسية أخرى لشمبارت، وهي قضية تتطلب الكثير. مبدأ آخر: الأهمية في مدينة الآثار والرمزية؛ أخيرًا، الاختلاط الاجتماعي، حتى لو لم يحدد على أي نطاق يجب تنفيذه: البناء، المدينة، الحي، التكتل؟

وعلى ذلك فتوصياته التشغيلية تتجاوز السجل الفني. إنه ينقل للمطورين رؤية أنثروبولوجية للإنسان، ليجعلهم مدركين في المجمل، جميع احتياجاته، التي تربط أبعاد حياته. ما يفتقده المخططون الحضريون في نظره، هي " أنثروبولوجيا يتم فيها تحديد تطلعات رجال اليوم وفقًا للمستقبل الذي يتم فرضه عليهم، ووفقًا للقيم المرتبطة بهم، المعتقدات والرموز والأساطير التي توجه تفكيرهم. إن تطوير أنثروبولوجيا لسكان المدينة الجدد هو هدف مركزي لعمل شمبارت.

ومع هذا العمل، من المحامي ومن رجل "حسن النية" يحس بخيبة أمل وبقسوة. يدرك شمبارت تدريجياً أنه يبشر في الصحراء. يتم تدمير آخر أحياء الطبقة العاملة بشكل منهجي، وخرجت مجمعات سكنية كبيرة غير إنسانية من الأرض بأقصى سرعة، متطابقة في كل مكان. إن حدود وإخفاقات الشراكة مع المطورين تقوضها، وتصبح نداءاتها أكثر إثارة للمشاعر. لقراءتها في استمرارية عملها، ينظر المرء إلى تمزق، واتساع الفجوة بين ممارسة الشراكة مع السلطات العامة ونتائجها الهزيلة للغاية. يحدث التباعد في السياق الفكري الراديكالي للسبعينات.[2]

لذلك نجده يدعو لدعم كل ما يسهم في تكامل الرابطة الاجتماعية، ولا سيما الجمعيات من جميع الأنواع التي تعتبر بالنسبة لشمبارت "أساس الديمقراطية ذاته"، ولكن الديمقراطية التي يقصدها في المجال الاجتماعي، وليس في المجال السياسي. الجمعية أو النادي أو لجنة المبنى أو الحي، هي الهياكل التي تسمح لجميع السكان بالوصول إلى المناقشة الجماعية وتعزيز الروابط الاجتماعية المحلية.[3]

4.7- شمبارت والديناميات النفسية:

على الرغم من أن فكر شمبارت يتميز بثقة شبه مطلقة في سعي النهج العلمي لتوجيه السياسة، وعلى الرغم من أنه يتميز أحيانًا برؤية مبسطة للروابط بين المكاني والاجتماعي، إلا أنه تخوفه لا يزال ساريًا فيما يتعلق بالفرد، حياته ومسكنه. رفضًا لتأكيد أسبقية أحدهما على الآخر، يقدم شمبارت قراءة ديناميكية وغير نفعية لما يطمح إليه الناس في موطنهم. الطموح هو إبراز الأبعاد الرمزية والوجدانية لبيت الأسرة. يعبر المنزل عن تصور العالم، والعلاقة بالقيم، وصورة الفرد عن نفسه وعائلته. بعيدًا عن كونه وظيفيًا وعقلانيًا، يرتبط

[1] Eric Le Breton, op.cit, p.24.
[2] Eric Le Breton, **ibid**, p.25.
[3] Eric Le Breton, op.cit, p. 15-31.

السكن ببناء الذات و"تطلعات" كل شخص لعيش حياته بشكل مستقل. وبالتالي فإن الاستنتاج واضح: إذا كانت الهياكل المكانية تؤثر على الناس، فلن يخلو من الموارد اللازمة لتعديلهم.[1]

ولأجل ذلك رفض شمبارت، كما رأينا بالفعل، حواجز الانضباط (التأديبية). لرغبته في إظهار أن المساحات العديدة (الاقتصادية، والثقافية، والجغرافية، والبيولوجية، وما إلى ذلك) لها تأثيرات متبادلة، وللتدليل على كيفية تدخل هذه المساحات المتعددة في بناء الشخصية والهوية الاجتماعية والمهنية، الثقافية للأفراد، سوف يسلط الضوء، ببراعة كبيرة، على أن:

1 ـ الممارسة في الفضاء تتحدد من خلال العلاقة بين "الفضاء الاجتماعي الموضوعي" و"الفضاء الاجتماعي الذاتي".

2. يرتبط تمثيل الفضاء الاجتماعي دائمًا بطريقة أو بأخرى، بمساحة اجتماعية جغرافية.

ويمكن تعريف الفضاء الاجتماعي الموضوعي على أنه "الإطار المكاني الذي يتطور فيه فرد أو مجموعة، أو كلاً بشريًا أكبر، تتحكم فيه العوامل البيئية أو النماذج الثقافية". يتم التعرف على هياكل الفضاء الاجتماعي الموضوعي ومعرفته بطرق مختلفة، اعتمادًا على الموضوعات والمجموعات التي تعيد بناء نفسها عقليًا، في الفضاءات الاجتماعية الذاتية، والعناصر التي اختاروها. "اعتمادًا على هذه الأنماط المختلفة للإدراك والمعرفة، يقوم الأفراد والمجموعات بتعديل سلوكهم. إنهم يميلون إلى تغيير الإطار الذي يعيشون فيه وهياكل الفضاء الاجتماعي الموضوعي مرة أخرى.[2]

إن اهتمام شمبارت بفهم الفضاء الاجتماعي الذاتي (الفضاء الممثل والمعيش) في علاقته بالفضاء الاجتماعي الموضوعي (الفضاء المادي)، فتح الطريق، بطريقة أو بأخرى، لمقاربات متعددة معنية بإظهار إلى أي مدى يكون بناء الشخصية في وقت واحد، الاجتماعية والمكانية والجسدية والنفسية. بعبارة أخرى، في علاقته المتطورة والمتعددة الأبعاد بالفضاء، يتمكن الفرد من بناء علاقته بالعالم، بطريقة أكثر أو أقل سعادة. .. لذلك يركز التحليل على الروابط بين الإدراك والحركة وهيكل الفضاء.[3]

وسواء بعد ذلك كان المؤلفون الذين يتبنون هذا المنظور النفسي الاجتماعي يتحدثون عن "المجال الفينومينولوجي" أو "الفضاء المناسب" أو حتى عن "الفضاء التقريبي"، فهو دائمًا سؤال يتعلق بالتحليل على المستوى الفردي، للتجارب الحية، النفسية والجسدية والاجتماعية للفضاء، وأحيانًا تكون حميمة، وأحيانًا غير شخصية. هذا يعني أن الأمر يتعلق بمعرفة كيف يقوم الفرد في مواقف مختلفة بترتيب المساحة في أصداف شخصية مما يكشف عن علاقته المميزة بالمكان الذي يجد نفسه فيه ولو حتى مؤقتًا. فمن الإلمام بالفضاء يولد التملك. هذه الألفة هي تعلم تدريجي لخصوصيات المكان.[4]

ومع ذلك، فبالنسبة إلى شمبارت، "لا يمكن تحليل العمليات النفسية للتملك بشكل صحيح دون مراعاة العمليات الاجتماعية والاقتصادية للتملك. فالأفراد الذي يملكون منازلهم أو الذين يستأجرونها ليس لهم نفس التمثيلات لمساكنهم، ولا يعلقون نفس القيم عليها، ولا يواجهون

[1] Jean-Marc Stébé, Hervé Marchal, op.cit, P.102.
[2] Jean-Marc Stébé, Hervé Marchal, **ibid**, P.102.
[3] Jean-Marc Stébé, Hervé Marchal, **ibid**, P.103.
[4] Jean-Marc Stébé, Hervé Marchal, op.cit, P.103.

نفس المشاعر تجاهها. تمنح ملكية الأرض والأشياء المستخدمين حقًا وسلطة تجعلهم تابعين لها، وهذه الهيمنة الاجتماعية لها عواقب متعددة على ردود الفعل النفسية لأولئك المعنيين.[1]

وفي نهاية المطاف بالنسبة إلى شمبارت، فإن "الاستيلاء على الفضاء الاجتماعي والجغرافي، الذي يتم ملاحظته من جانب الموضوع، فردًا أو مجموعة، يؤدي في نفس الوقت إلى عمليات معرفية وعاطفية ورمزية وجمالية، فيما يتعلق بالأفراد الآخرين والجماعات الأخرى، في مواقف موضوعية للسيطرة المرتبطة بأنماط الملكية.[2]

والخلاصة هنا بالنسبة لهذه الديناميات، أن الملاحظ هو، أن موضوع شمبارت يتكون من الانعكاسية، لا يلتزم شمبارت بالأولوية الماركسية للمحددات الاقتصادية في مسائل الهيكلة الاجتماعية والتغيير الاجتماعي. وعلى الصعيد السياسي، يرفض شمبارت الخيار الثوري العنيف. إنه ينتقد الماركسية بسبب إنكارها للجزء الروحي للإنسان ولا يحبذ اندماج الأفراد في المؤسسات المجردة على حساب اندماج الفرد في أسرته وشبكته من معارفه. من ناحية أخرى، عند الماركسيين، يتم إدراج التعبئة الجماعية في السجل السياسي، أين يتم صياغة الأفكار والمطالب بوضوح، ولكن يتم صياغتها من قبل المحترفين والقادة والمثقفين.[3] وإلى جانب ذلك فبالنسبة لشمبارت يجب أن تبدأ حركة التحرير مع بداية التعبير عن المطالب، في الوقت الذي يشعر فيه الأفراد أن وضعهم المهيمن سيء، ولكن دون أن يكونوا قادرين على تحديد سبب وكيفية التغيير. وتشير هذه الحالة إلى مفهوم الطموح، باعتباره رغبة قائمة على الشعور بوجود تباين بين الموقف المعطى والموقف الذي يبدو مرغوبًا فيه. يجب أن يتم تنفيذ هذا التوضيح، خطوة بخطوة، من قبل الأطراف المعنية نفسها.[4]

8 ـ مجمل اهتمامات شمبارت:

يذهب البعض إلى أنه يتطلب التفكير في مسألة تخطيط استخدام الأراضي في فرنسا خلال الثلاثينيات المجيدة وفي الأصوات المعارضة إلى حد ما التي نشأت في العلوم الاجتماعية في ذلك الوقت، قضاء بعض الوقت في التفكير في أعمال Paul-Henry Chombart de Lauwe. في الواقع، قلة من الباحثين الجامعيين في الوقت الحاضر من تشير إليهم؛ لقد وقعوا في الإهمال إلى حد ما، على الرغم من أهمية الموضوعات التي عمل بها منذ الخمسينيات والطرق التي اقترحها لتحليلها.[5] وكمثال على ذلك:

- أولاً وقبل كل شيء، فقد قاده حدسه وحساسيته إلى كشف المشاكل وإبراز التطورات التي ركزت عليها معظم نقاشاتنا العظيمة في المجتمع، منذ ذلك الحين: المساحات الحضرية أو الأسرة، ولكن أيضًا تمكين الأفراد والجماعات، أو علاقات القوة والهيمنة.[6]
- وثانيا، في متابعة تحليلات التشكل الاجتماعي التي روج لها موريس هالبواش، كان اهتمامه الدائم هو علاقة الناس بمساحاتهم؛ ومع ذلك، لا تزال هذه القضية الرئيسية للعديد من الجغرافيين في قلب معضلات السياسة الحضرية الفرنسية وعمليات

[1] Jean-Marc Stébé, Hervé Marchal, op.cit, P.104.
[2] Jean-Marc Stébé, Hervé Marchal, op.cit, P.105.
[3] Eric Le Breton, op.cit 2015, p.29.
[4] Eric Le Breton, **ibid**, p.30.
[5] Anne-Marie *Fixot, op.cit, p. 155-170,*
[6] Anne-Marie *Fixot, **ibid**, p. 155-170,*

التطوير والتجديد الحضرية المعاصرة. وهكذا عمل شمبارت على تصورات وتمثيلات سكان الحضر، ولا سيما العمال في منطقة باريس.

- ثالثا، وفي مجال التخطيط الحضري، تظهر أهمية مراعاة تطلعات السكان دون اختزالها في المفهوم النفعي والتكنوقراطي "للحاجات".
- رابعا، وفي مواجهة التمثيل المركزي للفضاء، يحاول إبراز فكرة تعدد الفاعلين والمعرفة، وتعدد التخيلات والزمانيات. إن نهجه الاجتماعي والأنثروبولوجي والمتعدد التخصصات لدوائر الطبقة العاملة، والذي يعتبر الناس كموضوعات ملموسة (لديهم أيضًا حياة خارج العمل)، هو أمر مثير للدهشة. إنه وفاء لفكر مارسيل موس، الذي اتبع تعاليمه، ويتبنى مفهوم "الرجل الكلي".
- وإلى جانب ذلك، يوجه شمبارت إلى التفكير في القدرة على البناء المشترك وإمكانية الاعتراف الاجتماعي والسياسي للأفراد على المستوى المحلي، مع إعطاء أهمية كبيرة للمكان الاجتماعي. بين مفهوم "المصلحة العامة"، الذي أقرته العديد من سياسات المديرين ومفهوم "المصلحة الخاصة" (الفردية و / أو الجماعية)، ويضع عمله هذا الأساس لمسار آخر: وهو "المناقشة والعمل والعيش معًا"، ما وصفت حنة أرندت بأنها البحث عن "الصالح العام". نهج طموح وصعب، لم يحظ هذا المنظور إلا بالقليل من المتابعة، ولكنه مع ذلك يجعل من الممكن التشكيك في سياسات تخطيط استخدام الأراضي الحالية، خاصة عندما يفخرون بقبولهم بمشاركة السكان.[1]
- ومن ذلك أيضا، تحيلنا حياة شمبارت وعمله إلى التساؤل حول قضايا الديمقراطية المحلية.[2]
- كما يذهب كذلك إلى أن نظامنا الكامل للقيم هو المتضمن دون أن نكون على دراية به دائمًا. فتغيير ترتيب العناصر في الفضاء الاجتماعي للمنزل يعني تعديل القيم المنسوبة للأشياء والرموز التي تدعمها. كما يعني تغيير القيم المتعلقة بالتسلسل الهرمي للأدوار. ومن ثم فإن معتقداتنا ومخاوفنا وآمالنا وحياتنا الحميمة وحريتنا هي التي تتأثر.[3]
- كما يذهب أيضا إلى أنه، لا يكفي الاستجابة للاحتياجات الفورية التي يتم تجاوزها بسرعة، ولكن للتطلعات التي يجب على عالم الاجتماع أن يساعد في اكتشافها.. حيث يتم إعطاء الكلمة معنى شديد التقييد وتقني للغاية، مما يزيل كل الحرية عن الأفراد كما لو كانت مسألة إسكان الأرانب أو الفئران وليس الرجال. إسكان الأسرة ليس آلية عادية.
- ومن ذلك أيضا، يجمع شمبارت بين الرغبة في إلقاء نظرة عالمية على الواقع الاجتماعي والحاجة إلى عدم محو قسوة تضاريس الحياة اليومية، وتنوع السكان واحتياجاتهم. هذا التحول المستمر من رؤية واسعة وخارجية إلى رؤية القرب، يمنع اختزال الوجود البشري إلى بعد واحد، هو الاقتصاد على سبيل المثال، أو إلى علاقات الإنتاج وحدها. كما أنه يتبع تفاعل مقاييس المساحات المعيشية (وحدة

[1] Anne-Marie *Fixot, **ibid**, p. 155-170,*
[2] Anne-Marie *Fixot, **ibid**, p. 155-170,*
[3] Anne-Marie *Fixot, op.cit, p. 155-170,*

جوارية، القطاع، الحي، تجمع، المدينة، التكتل، المنطقة، إلخ) لأنه لا يمكن فهم الحياة اليومية للسكان من أحد هذه المستويات فقط. كما يحرص شمبارت على مراعاة الأبعاد غير الهرمية المختلفة لهذه الوحدات المكانية للحياة الاجتماعية حتى لو لم يكن لدى الشخص المعني دائمًا تمثيل دقيق للغاية لها من النظرة الأولى.[1]

9 ـ النقد الموجه لشمبارت:

- يذهب البعض إلى أنه يتميز أحيانًا برؤية مبسطة للروابط بين المكاني والاجتماعي.[2]
- وبالنسبة للعديد من علماء الاجتماع والأكاديميين، فإن أبحاث شمبارت ليست أكثر من دراسات تجريبية. ووفقا لهم، فإنه يفتقر إلى دعم نظري كبير.[3]
- والى جانب ذلك انتقده معاصروه، لاعتماده التخطيط الحضري والفئات الفنية دون مناقشة مسبقة أو لكونه راضيًا عن الوصف دون تحليل.[4]
- فعند إلقاء نظرة نقدية على أبحاثه في فترة ما قبل 1963، يشعر في الواقع أن العلاقات التي أقامها مع أنشطة الإدارات ومخططي المدن والمتخصصين في المعدات قد دفعته إلى "التخلي عن الجوانب الأساسية للبحث" قبل عام 1953.[5]
- على الرغم من انتقاده من قبل العديد من علماء الاجتماع الأكاديميين بسبب تجريبه وافتقاره إلى إطار نظري قوي. فإنه مع ذلك، عند قراءة أعماله، فإن هذا النقد ليس شرعيًا لأنه يوضح باستمرار كيفية ربط القطبين: العمل التجريبي من خلال البناء الدقيق والمنطقي للمادة التحليلية والنظرية التي هي نظرية في حالة حركة. (منتقلاً على سبيل المثال من نظرية الحاجات إلى نظرية التطلعات والرغبات التي صاغها).[6]

مراجع المحاضرة:

1. إسماعيل قيرة، علم الاجتماع الحضري ونظرياته، منشورات جامعة منتوري قسنطينة، 2004.
2. السيد عبد العاطي السيد، علم الاجتماع الحضري بين النظرية والتطبيق، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1987.
3. السيد محمد بدوي، علم الاجتماع ومشكلات المجتمع، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1995.
4. عبد الرحمان المالكي، **الثقافة والمجال دراسة في سوسيولوجيا التحضر والهجرة في المغرب**، منشورات مخبر سوسيولوجيا التنمية الاجتماعية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز، فاس، المغرب، 2015.
5. محمد بومخلوف، التحضر، ط1، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2001.
6. *Anne-Marie* Fixot, **Paul-Henry Chombart de Lauwe et les enjeux d'une démocratie locale vécue,** Presses universitaires de Caen, p. 155-170, https://books.openedition.org/puc/10399?lang=fr

[1] Anne-Marie *Fixot*, ***ibid****, p. 155-170,*

[2] Jean-marc stebe, Herve marchal, que sais-je ? **La sociologie urbaine,** Quatrième édition, puf**,** P.42.

[3] Jean-Marc Stébé, Hervé Marchal, op.cit, P.105.

[4] Jean-Marc Stébé, Hervé Marchal, op.cit, P.105.

[5] *Anne-Marie* Fixot, op.cit, p. 155-170,

[6] Anne-Marie *Fixot, op.cit, p. 155-170,*

7. Eric Le Breton, « Paul-Henry Chombart de Lauwe, sociologue urbain, chrétien, intellectuel et expert», *Chrétiens et sociétés* [En ligne], 21 | 2014, mis en ligne le 25 février 2015, consulté le 18 mars 2015. URL : http:// chretienssocietes.revues.org/3661 ;
8. Fijalkow yankel, **Sociologie des villes**, la découverte, P.20.
9. Jean-Marc Stébé, Hervé Marchal, **Introduction à la sociologie urbaine**, 2 eme, Paris, Armand Colin, 2019, P.70.
10. Jean-marc stebe, Herve marchal, que sais-je ? **La sociologie urbaine,** Quatrième édition, puf**,** P.42.
11. Paul-Henry Chombart de Lauwe, **La fin des villes, mythe ou réalité**, Calmann-Lévy, Paris, 1982, p.14.

الخاتمة

خاتمة عامة:

ونخلص في النهاية في هذه الخاتمة إلى التأكيد على جملة من الملاحظات، نراها ضرورية كحوصلة لما قدم في كل هذه المحاضرات ومنها:

أولا، وفيما يخص ماكس فيبر:

ومن خلال عرض أفكاره يتضح لنا التزامه الإيديولوجي الواضح بالنظام الرأسمالي وتمجيده، واعتباره النظام الأمثل للبشرية الذي يجب الحفاظ عليه وإدخال التحسينات والتعديلات به. فالنمو الرأسمالي الرشيد في المجتمعات الغربية قد تشكل من خلال العقيدة البروتستانتية التي يرجع إليها الفضل في صياغة روح الرأسمالية. وهذا معناه أن النمو الاقتصادي قد اقتصر على المجتمعات التي تدين بالديانة المسيحية، ولا سيما المجتمعات التي يدين أهلها بالمذهب البروتستانتي الذي اهتم به فيبر.

والى جانب ذلك ورغم أهمية المنظور التاريخي عند فيبر في تناول الظاهرة الحضرية من منظور متعدد الأبعاد، فإنه بتعريفه النموذجي المثالي للمدينة يسقط في النزعة المركزية عندما اعتبر أن مفهوم المدينة لا توجد إلا في أوربا الغربية، ورغم تركيز فيبر في دراسته على مدن حقيقية من منظور ثقافي وتاريخي مقارن، ولكنه للأسف لم يقدم عن المدينة الحديثة إلا القليل. وعلى هذا إهتم بالمدينة في الماضي أكثر من اهتمامه بها في الحاضر.

ومما يؤخذ عليه أيضا افتقار تعميماته إلى الصدق الامبريقي، إلى جانب مغالاته في التشديد على الجوانب الذاتية في الحياة الاجتماعية، أي مرامي الأفراد ودوافعهم، الأمر الذي اقترب به من حافة التفسيرات السيكولوجية للظاهرات الاجتماعية، فقد أكد على قيم الأفراد ومصالحهم ومشاعرهم.

ثانيا، وفيما يخص جورج زيمل:

وإذا كان زيمل قد أضاف البعدين الاجتماعي والنفسي في مقاربته للظاهرة الحضرية، إلا أنه اهتم فقط بالمدن في مكان وزمان واحد. والى جانب ذلك فهناك اعتراضات كثيرة وانتقادات أثيرت حول تأكيده على أن علم الاجتماع يدرس الصور الاجتماعية، ويرون أن دراسة العلاقات الاجتماعية دراسة مجردة وردها لعناصرها الأولية يخرجها عن طبيعتها ويجردها من معانيها الاجتماعية، فتبقى غير ذات دلالة مادية أو شيئية.

كذلك يرى النقاد أن تجريد العلاقات الاجتماعية وإرجاعها إلى عناصر أولية مجردة يقطع صلتها ويمزق وحدتها، لأن هذه العلاقات متداخلة ومتشابكة وسريعة التغير، ودائمة التفاعل. ومن الملاحظ أن كل تغير يصيب ناحية من نواحيها لا بد أن يتردد صداها في باقي العلاقات، فلا يمكن دراسة العلاقات منعزلة أو مجردة.

ثالثا، وفيما يخص موريس هالبواش:

إن التحليلات الدقيقة والمضيئة لهالبواش حول التباين الاجتماعي لاحتياجات ومستويات معيشة العامل بالأمس لا تزال تضيء استكشاف الاقتصاد الرمزي للمستهلك اليوم. ومع ذلك فقد تتعمق خيبة أمل النقاد عندما يغفل هالبواش الاستثمارات الشعبية في المنزل، أو عندما يفشل في رؤية مدى ثراء علاقات العمل، مدى تولد مجموعة متنوعة من التضامن الاجتماعي: أحد أسس بناء الهوية الشخصية، المهددة الآن بالبطالة.

ومن جهة أخرى، فقد تعرض لانتقادات منتظمة من قبل أولئك الذين يؤيدون النهج التجريبي للإنسان والآخرون، مثل Henri Bergson على سبيل المثال، يكتفون بمعارضة

بحثه، مع وضع حد لعدم المقبولية. وفي هذا الإطار يذهب آخرون إلى أنه في كتابه، بشأن أسباب الانتحار، أسس كل تحليله على البيانات الإحصائية، ولكن في عمله على الذاكرة، تخلى عن هذه الطريقة تماما. عمل كبير وغني للغاية، ولكن في كثير من الأحيان غموضا مع التنوع الشديد في المجالات، والافتراضات والأساليب.

رابعا، وفيما يخص مدرسة شيكاغو وارنست بيرجس:

فبداية بمدرسة شيكاغو، وعلى الرغم من إغفالها لأهمية الترابط بين المجتمع والمجتمع المحلي والدولي. إلى جانب استبعاد العوامل الثقافية التي تشكل هذا المكان وفقا لحاجات ثقافية تتحدد من خلال المشاعر القيم والأفكار. ومن ثم اختزال المكان الحضري إلى مجرد موقع فيزيقي طبيعي.

ضف إلى ذلك فإن النظرية الايكولوجية المبكرة أنها بدأت تحليلها من طريق خاطئ وذلك عندما وجهت كل اهتمامها إلى الجوانب الجيوفيزيقية للمدينة دون أن تهتم بحياتها الاجتماعية. فالحياة الاجتماعية – على حد تعبير مارتندال - هي بناء التفاعل وليست بناء الحجر والصلب والأسمنت والأسفلت، وليس أدل على أن النظرية الايكولوجية قد ضلت طريقها إلى التحليل السوسيولوجي من الاهتمام الكثير من الدراسات الايكولوجية باكتشاف خصائص المناطق المختلفة دون اهتمام بنوع الحياة الذي أدى إلى ظهور هذه الخصائص كمن يهتم بدراسة الجريمة ومسرحها دون اهتمام بالمجرم نفسه.

وعلى الرغم من الإسهامات التي قدمتها مدرسة شيكاغو، إلا أن التحليل المعمق للأعمال المبكرة لهذه المدرسة الفكرية يؤكد على حقيقة هامة مؤداها أن مؤسسي المدرسة شانهم في ذلك شأن الأوروبيين قد استجابوا لنوع معين من المدن وهو المدينة الرأسمالية الغربية والتي قطعت شوطا كبيرا في مجال التقدم الصناعي. الأمر الذي يجعلها تتميز بصفات خاصة سواء على مستوى البحث أو النظرية.

أما ما يتعلق بيرجس:

فقد نشأت إحدى أهم مساهماته النظرية في مدرسة شيكاغو من اهتمامه الشديد بالبيئة الحضرية، وتحديداً الجغرافيا الحضرية. ولطالما كان لديه كذلك تفضيل منهجي للتركيبة السكانية والخرائط، فقد اشتمل موضوع بحثه الرئيسي على تغيير أنماط السكان واستخدام الأراضي.

ومنذ البداية، فإن بيرجس يقرر أن هذا النموذج لا يمثل وصفا واقعيا لكل المدن، بما في ذلك مدينة شيكاغو ذاتها، وأن العوامل والظروف والمتغيرات التي ترتبط بنمو المدينة يمكن أن تجعلها تنحرف إلى حد ما عن نموذجه السابق. أي أن المسألة نسبية حيث تختلف من مجتمع إلى آخر، ومن مدينة إلى أخرى. وكمثال على ذلك فإن شمبارت يرفض على الفور عددًا معينًا من العناصر التي اقترحها بيرجس: فلم يعد الأمر يتعلق بالتوسع والتعاقب، أو موجات الاستيطان المرتبطة بالمكانة الاجتماعية للأفراد، كما لم يعد الأمر يتعلق بالتفاعل في المدينة أو التفاعل بين الأفراد والجماعات.

لذلك لا يمكن لهذا المخطط الديناميكي أن يأخذ في الاعتبار جميع المواقف وجميع التطورات. إنه مبني على تشبيه، وليس على تحليل ديناميكيات محددة للفضاء والمجتمع الحضري. إنه نموذج وليس نظرية. إنه يمثل تقدمًا في إدراك مشاكل المدينة، لكنه لا يضع نفسه على مستوى الإنشاءات الطموحة التي يدعو إليها العلم الحديث... وعلى الرغم من

القيود المنطقية، فإن هذا المخطط يستحق نجاحه الدائم، لأنه بسيط ويتوافق جيدًا مع ما يتم ملاحظته في عدد كبير من المدن.

خامسا، وفيما يخص شمبارت (Chombart)**:**

من أهم ما جاء به شمبارت أنه يدعو إلى أهمية مراعاة تطلعات السكان دون اختزالها في المفهوم النفعي والتكنوقراطي "للحاجات". اذ لا يكفي الاستجابة للاحتياجات الفورية التي يتم تجاوزها بسرعة، ولكن للتطلعات التي يجب على عالم الاجتماع أن يساعد في اكتشافها.

إلى جانب ذلك يحاول شمبارت (Chombart) إبراز فكرة تعدد الفاعلين والمعرفة، وتعدد التخيلات والزمانيات. وهكذا يبدأ بالتفكير الكامل في القدرة على البناء المشترك وإمكانية الاعتراف الاجتماعي والسياسي للأفراد على المستوى المحلي، مع إعطاء أهمية كبيرة للمكان الاجتماعي. ومن ثم تحيلنا حياة Chombart وعمله إلى التساؤل حول قضايا الديمقراطية المحلية الحية. حيث ينشأ "اهتمام إنساني" للآخرين ذي الأهمية السياسية. في مواجهة الضرورات التقنية والاقتصادية وضد هيمنة المخططين والمعماريين الحضريين. إنه لا يتردد في وضع بحثه ليس فقط في خدمة التجارب في مكافحة جميع أشكال القهر والهيمنة، ولكن أيضًا في خدمة قناعة ديمقراطية معينة: التكافؤ في الحق في الكلام والاستماع بين الجميع.

ومع ذلك بالنسبة للعديد من علماء الاجتماع والأكاديميين، فإن أبحاث Chombart ليست أكثر من دراسات تجريبية. وفقا لهم، فإنه يفتقر إلى دعم نظري كبير. ومن جانب فإنه يتميز أحيانًا برؤية مبسطة للروابط بين المكاني والاجتماعي.

المراجع العامة

المراجع العامة:

1 ـ المراجع باللغة العربية:

1. إحسان محمد الحسن، **النظريات الاجتماعية المتقدمة، دراسة تحليلية في النظريات الاجتماعية المعاصرة،** ط3، دار وائل للنشر، عمان، 2015.
2. احمد الخطابي، **نظرية المجال عند جورج زيمل، المجال بوصفه شرطًا قبليًا للبناء وإعادة البناء الاجتماعي،** مجلة عمران، المجلد09، العدد35.
3. إسماعيل قيرة، **علم الاجتماع الحضري ونظرياته،** (قسنطينة: منشورات جامعة منتوري، 2004).
4. إسماعيل محمد الزيود، **علم الاجتماع،** ط1، كنوز المعرفة، عمان، 2011.
5. أنتوني جيدنز، **علم الاجتماع، مع مدخلات عربية،** ترجمة فايز الصباغ، ط1، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، 2005.
6. توماس س. باترسون، **التغيير والعولمة في القرن العشرين،** ترجمة عزة الخميسي، ط1، (القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة، 2005).
7. جان بيير دوران وروبرت ويل، **علم الاجتماع المعاصر،** ترجمة ميلود طواهري، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2019.
8. جميل حمداوي، **المورفولوجيا الاجتماعية** تاريخ الإضافة: 2015/9/3، أطلع عليه بتاريخ 2022/03/24، الساعة 09.30 رابط الموضوع: http://www.alukah.net/culture/0/91294/#ixzz58bI28TyA :
9. جويل كاندو، **الذاكرة والهوية،** ترجمة وجيه سعد، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، 2009.
10. رجاء مكي طبارة، **مقاربة نفس ـ اجتماعية للمجال السكني،** دراسة ميدانية، ط1، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 1995).
11. زهير سوكاج، **مراجعة كتاب الذاكرة الجمعية لموريس هالبفاكس،** مجلة تبين، المجلد 09، العدد 33، 2020.
12. سعيد ناصف، **علم الاجتماع الحضري، المفاهيم والقضايا والمشكلات،** ط1، (مصر: دار الكتب والوثائق القومية، 2006).
13. سمير نعيم أحمد، **النظرية في علم الاجتماع، دراسة نقدية،** مصر: دار الهاني للطباعة والنشر، 2006.
14. السيد رشاد غنيم والسيد محمد الرامخ ونادية محمد عمر، **النظرية المعاصرة في علم الاجتماع،** دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.
15. السيد عبد العاطي السيد، **علم الاجتماع الحضري بين النظرية والتطبيق،** دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1987.
16. السيد محمد بدوي، **علم الاجتماع ومشكلات المجتمع،** الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1995.
17. السيد عبد العاطي السيد، **علم الاجتماع الحضري بين النظرية والتطبيق مشكلات وتطبيقات،** (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1997).

18. شحاتة صيام، **النظرية الاجتماعية من المرحلة الكلاسيكية الى ما بعد الحداثة،** مصر العربية للنشر والتوزيع، 2009.
19. شوقي قاسمي، **مطبوعة في مقياس تحليل نقدي للنظريات الأساسية في علم الاجتماع الحضري،** قسم العلوم الاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2020/2019.
20. عبد الباسط عبد المعطي، **اتجاهات نظرية في علم الاجتماع،** الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1981.
21. عبد الرحمان المالكي، **الثقافة والمجال، دراسة في سوسيولوجيا الهجرة والتحضر في المغرب،** منشورات مخبر سوسيولوجيا التنمية الاجتماعية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، ظهر المهراس، فاس، المغرب، 2015.
22. عبد الرحمان المالكي، **مدرسة شيكاغو، ونشأة سوسيولوجيا التحضر والهجرة،** إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2016.
23. عبد الله إبراهيم، **الاتجاهات والمدارس في علم الاجتماع،** ط2، (بيروت: المركز الثقافي العربي، 2010).
24. عبد الهادي محمد والي، **المدخل إلى علم الاجتماع،** (القاهرة: دار المصطفى للنشر والتوزيع، 2003).
25. عقيل البكوش، **سياسات الذاكرة في سياق العدالة الانتقالية حالة هيئة الحقيقة والكرامة في تونس،** مجلة إضافات، العدد 46، 2019.
26. غريب محمد سيد احمد، **علم الاجتماع الحضري،** (الازاريطة: دار المعرفة الجامعية، 2006).
27. كمال التابعي، **تغريب العالم الثالث،** دراسة نقدية في علم اجتماع التنمية، (القاهرة: كتب عربية، 1991).
28. ليلى العرباوي، **الذاكرة الجماعية: الأصل والتفاوت،** مجلة أمارابك، الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا، م05، ع13، 2014، (154-145).
29. محمد احمد بيومي، **تاريخ التفكير الاجتماعي،** (الإسكندرية: 1998).
30. محمد الجوهري وآخرون، **تاريخ التفكير الاجتماعي، الرواد،** ط1، (الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2011).
31. محمد السموري، **الذاكرة الجمعية ومفهوم التراث الحيوي،** مجلة الثقافة الشعبية، أرشيف الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر، البحرين، العدد 14، 2011، (21-10).
32. محمد بومخلوف، **التحضر، التوطين الصناعي وقضاياه المعاصرة الفكرية والتنظيمية والعمرانية والتنموية،** ط1، (الجزائر: دار الأمة، 2001).
33. محمد ثابت الفندي، **الطبقات الاجتماعية من وجهة نظر المدرسة الاجتماعية،** مصر، وكالة الصحافة العربية ناشرون، 2019.
34. محمد سعيد عبد المجيد ووجدي شفيق عبد اللطيف، **المدخل إلى علم الاجتماع،** (القاهرة: دار الكتب، 2005).
35. محمد شهاب، **رواد علم الاجتماع،** (كتب عربية).

36. محمد عاطف غيث، **علم الاجتماع الحضري، (مدخل نظري)**، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2009).
37. محمد عاطف غيث، **قاموس علم الاجتماع**، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1989).
38. محمد ياسر الخواجة، **علم الاجتماع الحضري، بين الرؤية النظرية والتحليل الواقعي**، (القاهرة: مصر العربية للنشر والتوزيع، 2010).
39. محمود أبو زيد، **أعلام الفكر الاجتماعي والانثروبولوجي المعاصر**، ج3، (القاهرة: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، 1998).
40. مصطفى خلف عبد الجواد، **قراءات معاصرة في نظرية علم الاجتماع**، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، جامعة القاهرة، 2002.
41. موريس هالبواك، **المورفولوجيا الاجتماعية**، ترجمة حسين حيدر، ط1، (بيروت: منشورات عويدات، 1986).
42. وجدي شفيق عبد اللطيف، **علم الاجتماع الحضري والصناعي**، (مصر: دار المصطفى للنشر والتوزيع، 2005).

2 ـ المراجع باللغة الاجنبية:

1. Angèle Christin Etienne Ollion, **La sociologie aux Etats-Unis aujourd'hui**, la découverte.
2. *Anne-Marie* Fixot, **Paul-Henry Chombart de Lauwe et les enjeux d'une démocratie locale vécue,** Presses universitaires de Caen, p. 155-170, https://books.openedition.org/puc/10399?lang=fr
3. Benjamin Vignolles, Maurice Halbwachs: vers une théorie sociologique des prix et des besoins immobiliers, Regards croisés sur l'économie 2011/1 (n° 9).
4. Catherine Colliot, **la sociologie de Max Weber**, (Paris: La découverte, 2006).
5. David A. Karp, et al, **Being Urban, A Sociology Of City Life**, 3ed, Praeger, Usa, 2015.
6. Eric Le Breton, « **Paul-Henry Chombart de Lauwe, sociologue urbain**, chrétien, intellectuel et expert», *Chrétiens et sociétés* [En ligne], 21 | 2014, mis en ligne le 25 février 2015, consulté le 18 mars 2015. URL : http:// chretienssocietes.revues.org/3661 ; DOI : 10.4000/chretienssocietes.3661, p.16.
7. Fijalkow yankel, **Sociologie des villes**, la découverte.
19. Hans Blumenberg, **Money or Life: Metaphors of Georg Simmel's Philosophy**, Theory, Culture & Society 29(7/8) 249–262! The Author(s) 2012 Reprints and permissions: sagepub.co.uk/journalsPermissions.nav DOI: 10.1177/0263276412455230 tcs.sagepub.com.
8. Jean-Marc Stébé, Hervé Marchal, **Introduction à la sociologie urbaine**, 2 eme, Paris, Armand Colin, 2019.

9. Jean-marc stebe, Herve marchal, que sais-je ? **La sociologie urbaine,** Quatrième édition, puf**.**
10. Lassave Pierre. Christian Baudelot, Roger Establet, **Maurice Halbwachs, consommation et société,** collection Philosophies, 1994. In: Les Annales de la recherche urbaine, N°66, 1995. Régularisations de propriétés.
11. Mesure Sylvie. **Sociologie allemande, sociologie française : la guerre a eu lieu**. In: Espaces Temps, 53-54, 1993. Le rendezvous allemand. Sciences sociales début du siècle : Dilthey, Weber, Elias.
12. Paul-Henry Chombart de Lauwe, **La fin des villes, mythe ou réalité**, Calmann-Lévy, Paris, 1982, p.14.
13. Pierre Fournier', Sylvie Mazzella, La percée originelle: **entre aménagement urbain, transformation sociale et rentabilité financiere**, https://hal-amu.archives-ouvertes.fr/hal-01222029/file/m3.pdf, P.02-03.
14. Pierre *Ansart, Maurice Halbwachs, la créativité en sociologie, p. 17-31, http://books.openedition.org/psorbonne/401*
15. Thomas Hirsch, Une vie posthume Maurice Halbwachs et la sociologie française (1945-2015), Revue française de sociologie, 2016/1 Vol. 57 | pages 71 à 96.
16. William G. Flanagan, **Urban Sociology, Images and Structure**, 5 ed, (uk: Rowman & Littlefield Publishers, Inc, 2010).